

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

فهرس العدد

العدد الرابع ـ السنة الخامسة عشرة

جمادى الثانية 1392 ـ يوليوز 1972

يصدرها : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد : درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الرابع
السنة الخامسة عشرة
جمادى الثانية 1392
يوليوز 1972
ثمن العدد درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثــر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحســاب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفــون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

كلمة العدد

الإصلاح بإحسان ...

عندما شعرت الامة الاسلامية بضرورة اصلاح أحوالها . وتجديد ما بلي من عاداتها . واذكاء ما خمد من مقوماتها الدينية والاخلاقية . لتؤدي رسالتها الانسانية بثقة وأمل .. وتنال حظها المشروع من حياة العزة والكرامة ..! وجدت أمامها مسالك متشابهة ، وطرقا محيرة ، ودعاة اختلفوا في كل شيء .. !

ودارت دوامة الزمان بالارض ، وما فيها ، ومن فيها .. فاقامت واقعدت .. ورفعت ، ووضعت ..! وتعاقبت رواجف الحرب ، وروادف السلم .. وتبدلت خريطة القوة والضعف .. وتناسخت قائمة الغني والفقير .. والتقدم والتاخر .. والاستقلال والتبعيـــة ..

والامة الاسلامية في مشرق الدنيا ومغربها ما تزال واقفة أمام مشاعرها الاولى بضرورة اصلاح الاحوال .. ! وتحريك السواكن .. ! ونهج المناهج .. ! وقد شمت بها الخصم ، وتنكر لها الصديق .. ! وشاركت دول الدنيا ، ولكن في المغارم لا في المغانم ..! فكسبوا وخسرت ، وتقدموا ووقفت .. وفي كل راجفة من رواجف الدهر ، أو نكبة من نكبات الزمان ، تتعالى الاصوات ، وتتزاحم الاعتذارات والمبررات .. ! ثم يعود كل شيء الى ما كان عليه ، على حساب الذين تشابهت عليهم السبل ، وعميت عليهم المسالك ، واختلفوا في كل شيء ، ولم يتفقوا على شيء ..!

على ان شريعة الاسلام التي ندين بها ، وعقيدة القرآن التي نومن بها ، هي في جوهرها ، وأساسها ، اصلاح منشود ، وأمل معقود ، ومسلك واضح ، وطريق سوي ، جربته أمتنا الاسلامية أحسن تجربة ، فأعطاها احسن ثمرة ، وقادها الى انبل غاية ، واشرف هدف ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، بشهادة القرآن وشهادة قلم كل ذي قلم ، ولسان كل ذي لسان ..!

لقد جابهت أمتنا الاسلامية بوسائلها المادية والمعنوية ما نجابه نحن اليوم ، من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، وجحود الجاحدين ..! فخاضت بايمان ، وعزم ، وأمل، معركة الحياة في العلم ، والفكر ، والسياسة ، والحضارة . وكتبت سجلها بحروف من نور ..! في كل هذه الميادين ..!

— فلماذا كان ذلك بالامس ..؟

— ويكون هذا في اليوم ... ؟

ان السبب يكمن في أن اولئك نهجوا منهاج الصلاح والاصلاح بالاحسان ! وفهموا كل شيء يحيط بهم فهما شموليا مترابط الحلقات . وعلموا أن عنجهية القوى تنبت حقد الضعيف ...!

ورعونة الغني تنبت حسد الفقير ..!

واستهتار المسرف ينبت مكر المحروم ..!

فكان هدفهم ان يحسنوا التصرف ، ويفرضوا لا فرض القانون الملزم ..! ومتى نبت في مجتمع ما ، ضمير حي مومن رأيت الناس : حاكمهم ومحكومهم وخاصتهم وعامتهم ، يتسابقون الى الاصلاح وتقاسم السراء والضراء ، واداء الواجب الذي تفرضه الشريعة وتحتمه الطبيعة . ولم يحل ذلك بينهم وبين التمتع بالطيبات وجني الثمرات على اختلاف الحالات والمستويات ..! لان حسن التصرف هو الحد الفاصل بين الشيء ونقيضه . والحالة وضدها ..!

وعلى هذا الاساس كان المنهاج الاسلامي وما يزال حبل النجاة لاصلاح حالة المسلمين واعادة الثقة الى نفوسهم ، والايمان الى ضمائرهم وصدق رب العزةسبحانه في قوله :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

806

نصره الله
خطاب صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني
بمناسبة ذكرى عيد الشباب

وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطابا الى شعبه الوفي ، بمناسبة الذكرى الثالثة والاربعين لميلاد جلالته والتي توافق ذكرى عيد الشباب .

تحدث جلالته بهذه المناسبة عن اجيال المستقبل ، وعن الاسس التربوية والدينية اللازمة لخلق مجتمع فاضل متقدم ومتمسك بمبادىء الاسلام وقيمه الخالدة .

وكان الى جانب جلالة الملك وهو يلقي الخطاب صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد وسمو الامير مولاي عبد الله الممثل الشخصي لجلالته . واعضاء الحكومة يتقدمهم الوزير الاول .

وفيما يلي الخطاب التوجيهي الهام لجلالة الملك نصره الله :

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

الفنا ان نلتقي فى هذا اليوم من كل سنة لنحتفل جميعا بعيد الشباب الذى يصادف ذكرى ميلادي ، وقد أبيت شعبي العزيز وأبى والدي المرحوم محمد الخامس الا أن يجعل الاحتفال بعيد ميلادي والاحتفال بعيد الشباب عيدين مقرونين حتى يعطي لشباب هذه الامة الذى ليس شبابا موقوفا على جيل ولكن يجب أن يبقى شبابا مستمرا مدى العصور والاعوام والسنين والشهور ليعطي لهذا الشباب المغربي فرصة حتى يحاسب نفسه ويتذاكر مع نفسه وحتى ينظر الى مشاكله وحتى يمكنه كذلك ان يحلل طموحه وعناصر مستقبله .

التنمية الخلقية

شعبي العزيز ، مرارا تجاذبنا أطراف الحديث ومرارا خاطبتك فى ميادين شتى وفى مواضيع مختلفة ، واذا لاحظت كنت دائما أؤكد اكثر ما أؤكد على ناحية التنمية والتكوين حتى يمكن لهذا المغرب ولهذا الشعب ولابنائنا ان يعيشوا فى ظل ومأمن من الخوف والجوع والجهل والتخلف، ولكن اليوم أبيت الا أن انطرق الى موضوع آخر يمت الى التنمية الاقتصادية بصلة وثيقة وقريبة ألا وهي التنمية الخلقية والاخلاقية وموضوع التربية والتكوين والديانة والمواطنة وحتى يمكنني أن أنفذ الى مفاهيم جميع الناس والى قلوب جميع الآباء والامهات والى أذهان جميع الشبان سوف أرغم نفسي على التحدث اليك بالعربية الدارجة وان كانت العربية الدارجة الحقة أصعب فى نظري من العربية الفصحى .

العمود الفقري للأمة

لا يخفى عليك شعبي العزيز أن كل أمة وكل دولة زيادة على اطارها الدستوري ونظامها الاجتماعي والسياسي الذى تعيش فيها تكون قد اختارت بكيفية نهائية الاساس الخلقي والديني الذى ستعيش بمقتضاه وتضع لذلك حدودا وقواعد من الضروري ان يراعيها كل مواطن سواء أكان أبا أو أما حتى يمكن للابناء والاجيال المقبلة ان تعيش بعمود فقري ، ذلك أن الاخلاق والمذاهب والديانة هي بمثابة العمود الفقري للجسد وما بقي ليس الا اعضاء مثل الذراعين او الرجلين او الكتفين ، فلا يمكن للانسان ان يفكر فى جسد ليس له عمودا فقريا فكذلك لا يمكن للانسان ان يفكر فى مجتمع لا قانون خلقي انساني له ، وحقيقة اذا أردنا ان نتمعن فى البيئة المغربية نجدها لا احراج فيها ولا وجود لذلك النوع من الارغام الذى يجعل الديانة مكروهة او مذاهب منبوذة بالعكس اذا كانت بعض الديانات الاخرى



وثنية او سماوية ولكن تحرفت واستعملت لاستعباد الناس ففى الحقيقة الديانة الاسلامية جاءت بالتحرر، ولتحرير الناس فهي مطابقة تماما لما فى القرن العشرين ومطابقة تماما لفلسفة النقد الذاتي والنقد المطلق ، ولا تستعبد الناس وانما جاءت لتكرم بني آدم وجاءت قبل كل شيء لتحافظ على حقوق الجماعات قبل ان تحافظ على حقوق الافراد ذلك ان فى جميع قوانينها للتعامل والمعاملات دائما تعطي الاسبقية للمحافظة على المصلحة العامة قبل المصلحة الخاصة ، ودائما تعطى الاسبقية ايضا لدرء المفسدة على جلب المصلحة فاذا كنا نرى ان بعض الاجيال فى بلاد نامية او فى طريق النمو تنتقد كل شيء وساخطة على كل شيء يمكن لنا ان نلتمس لها الاعذار لانه ربما فى دياناتها او فى مذاهبها ما من شانه ان يضيق رقعة الحرية الخاصة ويكبت المطامح ويطلب الى الناس احترام سلما للسن او سلما اجتماعيا أما الديانة الاسلامية لم تات بهذا وانما الديانة الإسلامية بالعكس نحن الذين فرضنا على المكلفين بلوغ احدى وعشرين عاما اما الديانة الاسلامية فهي كرمت بني آدم وجعلت من المكلف من وصل سن البلوغ وانت تعلم شعبي العزيز ان سن البلوغ عند الرجال مثلا يكون احيانا لدى الوصول الى سن الثانية عشر او الثالثة عشر او الرابعة عشر عاما فاذا الديانة الاسلامية جعلت منك ايها المواطن المسلم مسؤولا قبل السن المعترف به فى جميع الدنيا ، وتعطيك حق خوض معركة المسؤولية العامة فى اي وقت كان والمهم ان تكون مكلفا فمهما كلفت شرعا الا ويمكنك ان تصلي بالناس كما يمكنك اذا كنت عالما او مثقفا أن تكون قاضيا بين الناس ، وأن تنحر وتحل الاضحية على يديك ، مما يعتبر مسؤوليات عامة واكثر من هذا فان الديانة الاسلامية تجعلك فى أول وهلة وأنت مكلف قادر على ان تكون عضوا كاملا متكاملا مع الاعضاء الآخرين فى المجتمع الاسلامي .

فلماذا يا ترى نرى أن شبابنا يهرب من كل ما هو ديني ؟ ويتنكر لماضيه ولاسرته ولمجتمعه ؟

البيت ـ المدرسة ـ الشارع

حاولت تحليل الموضوع ، ووجدت ان المسؤولية ملقاة على ثلاثة ميادين :

الميدان الاول : البيت والاسرة

الميدان الثاني: المدرسة والاستاذ وبرامج التعليم

الميدان الثالث : الشارع والملاهي غير المحمودة

أما فى البيوتات فنجد نوعين منها : اما بيت مثر او فقير ونلاحظ أن ابناء الفقراء وابناء الاغنياء يكبرون متنكرين للبيئة التى يعيشون فيها .

أبناء الاثرياء يأخذون على آبائهم وامهاتهم فى غالب الاحيان انهم لا يؤدون فريضة الصلاة والقليل منهم يرون أن أقاربهم يصومون ويحتفلون بأعيادهم

الدينية وهم يحتفلون بعيد ميلاد المسيح او براس السنة الميلادية فى حين انهم لا يحتفلون بعيد المولد النبوي ولا بعيد الاضحى ويؤاخذ هؤلاء الابناء على اقاربهم انهم لم يبيتوا ليلة واحدة يتضورون جوعا ولا لبسوا ثيابا رثة بالية ولا ذاقوا قساوة البرد .. وحينما تلتقي هذه التربية ، تربية « الفشوش » مع عدم ديانة الآباء يكبر الاولاد حينذاك ناقمين على هذه البيئة التى جعلتهم فى مأمن من الجوع والبرد ويؤاخذون عليها انها جعلتهم فى هذا المأمن ..

والطبقة الثانية فى البيت نجد بيوتات متواضعة جدا : والأم تصلي وتصوم والاب كذلك ولكن الحالة التى يعيشون فيها والمسكن والبيئة والدار الضيقة التى غالبا ما تكون فى ملك غيرهم تجعل من ابنهم رغم اطمئنان نفسه من الناحية الروحية يتطلع الى يوم التخلص من ذلك العش والمجتمع وتلك البيئة حيث تربى ويريد ان يغير ويقلب راسا على عقب حياته التى تربى فيها رغم انها كانت متدينة نقمة على الفقر والجوع وعلى عدم السكن فى بيت يلازمه ويتمشى مع مستواه ويصبح ثائرا على مجتمعه وعلى دينه ، وحتى اذا حاولنا ان نعيده الى طريق الصواب نجد ان الميدان الثاني وهو ميدان المدرسة غير ملائم لاننا نجد ان البرامج الابتدائية والثانوية وحتى العليا تهمل ناحية الاخلاق هذه وكذا الناحية الدينية ، فمثلا نستمع الى محفوظات تقرا ما هي الا محفوظات لائكية ، ولا يوجد شاب مغربي الآن يمكن ان يحفظ فى ذاكرته ولو خمسة أبيات شعرية من البردة بينما بامكانه ان يحفظ خمسة او عشرة ابيات للسموءل او من المعلقات فى حين خير ما يجب الابتداء به ان يحفظ الانسان بعض ما جاء فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذى هو اب هذه الاسرة الاسلامية اما اذا وصلنا الى مرحلة التعليم الثانوي والعالي حيث من المفروض أن نعرف بالمفكرين المسلمين فاننا لا نعرف بهم ونجد الشاب يدرس فلسفة كانط ولايبنز وسبنسر وهيوم وآخرين ويترك جميع فلاسفتنا الحقيقيين .

أين ابن رشد والغزالي وأبو حيان التوحيدي ؟ هؤلاء الكتاب والمفكرون ؟ نجد انهم غير معروفين وجميع الافكار كما نعتقد تأتينا عن طريق الغرب فالافكار كلها والتفكير لا يمكن التعبير عنه الا بلغة أجنبية كأن الفلسفة والمذاهب ما هي الا وليدة للغة أجنبية .. وفى الحقيقة نحن نحفر قبورنا وقبور اللغة العربية والمدنية الاسلامية بأيدينا .

المغرب ساهر على التراث الاسلامي

والحالة هذه ان المغرب كان ولا يزال وسوف يظل ان شاء الله الساهر على التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية كما كان طيلة القرون والعصور وحتى لو فقدنا هذين الميدانين نرى الميدان الثالث وهو الشارع ماذا نجد فيه :

نجد نوعا من الاستهتار واللا مبالاة والمس بالكرامة العامة ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ومن ابتلى منكم بمثل هذه القاذورات فليستتر ولم يقل صلى الله عليه وسلم فليمسك لم يقل فليعاقب بل فليستتر علما منه صلى الله عليه وسلم بان البشر معرض للخطأ والغلط .

وكما تعلمون فاننا كنا فى وقت ما نخرج الى الشارع وكنا طلبة اذ ذاك ونشاهد اخواننا المسلمين فى المقاهي وامامهم كؤوسا من القهوة ، وعصير الفواكه اما اليوم فان الخمور تشرب علنا وهكذا نرى اننا لم نرب ابناءنا على احترام قوانين الاخلاق الاسلامية بل هناك من يرى والده فى الشارع يتعاطى المحرمات .

الديانة الاسلامية كرمت بني آدم

فحقيقة كيف يمكن نحن الآباء والمربين والساهرين ان نقف أمام الله سبحانه وتعالى فى الآجل وامام ضمائرنا فى العاجل ونقول أننا ادينا واجبنا والحالة هذه اننا لا نعطي للشباب المغربي ولابنائنا اية ضمانة ليتربوا تربية اسلامية حقيقية .

ولا يهمنا وراء هذا كله ناحية النسك والعبادة ولكن قبل كل شيء ناحية المعاملة ، وطهارة الضمير واستقامة الروح فلا يمكن أن يعقل ان نترك شبابنا تتلاطم به الامواج من الافكار الهدامة وافكار لا دينية، افكار كلها تخريب وشغب ، كيف يعقل ان نترك أبناءنا يرون ان شخصا يقوم باختطاف طائرة مقابل 400 او 500 الف دولار ويشاهدون افلاما مهدمة للاخلاق ومخربة للبيوت والحالة هذه نبقى مكتوفي الايدي سواء فى البيت او الشارع لمواجهة ذلك .

كيف يمكن ان نربي ابناءنا على الايمان بالفكرة والعقيدة الا اذا توفرت فينا نحن الآباء والامهات والمربين والاساتذة عزيمة قوية على بعث اسلام جديد، لا أقول، ذلك الاسلام المتزمت ذلك الاسلام الذى لا

يعد الانسان الا بالنار او الجنة، انه اسلام المعتزلة الذي يدعي ان فاعل الخير مصيره الجنة وفاعل الشر مصيره جهنم .

يجب ان نعمل بالاسلام الحقيقي الذى جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والقائل : لن يدخل الجنة أحدكم بعمله ، وقال ولا انت يا رسول الله ، قال ولا انا لولا ان يتغمدني الله برحمته .

واذا كنا نعلم أن رحمة الله سبقت غضبه وانه سبحانه وتعالى يمهل الخلق حتى يرجعوا الى الطريق السوي ، واذا كنا نعلم ان الاسلام دين الجماعة وليس دين الفرد وأن الاسلام قبل كل شيء مبني على التعامل النقي الطاهر فى سبيل فلسفة وغزو ومعركة فلي اليقين اننا سنجعل من سنتنا المقبلة سنة بعث اسلامي .

وأنا اشعر أن كلامي هذا سيجد الصدى الحسن فى قلب وذهن كل مغربي لانني أشعر وحاستي السادسة تشعر على ان جميع الناس فى حاجة الى بعث اسلامي وتجديد اسلامي وحركة اسلامية.

فالاسلام جاء ليوسع حقوق الناس لا لتضييقها وكل شيء مضر بحقوق الآخر هو مضر بالمجتمع وكما قلت لكم فالاسلام لا بد ان يفهم على حقيقته ، فالاسلام يترك الباب مفتوحا على مصراعيه شريطة ان لا تضر باخيك واول ضرر باخيك هو أن الانسان يتبرج تبرج الجاهلية ليعمل نفس الاعمال التى يقوم بها امام الناس وتحديا للناس اما من ابتلي منا بقاذورات فليستتر ولم يقل صلى الله عليه وسلم فليمسك . واذا أردنا فى الحقيقة ان نجعل من الناشئة الطالعة قادرة على تسيير معاملنا وتستثمر سدودنا لابد ان نعيد النظر فى أن نفكر تفكيرا مطابقا لسنة وسائل التربية فى بيوتنا واعتقد شخصيا انه فى استطاعة الانسان ان يربي ابنه تربية حسنة وان يعوده على تقبيل يده فى الصباح والمساء اعترافا لوالده لما له عليه من فضل فى تربيته وتعليمه واعالته واعتقد شخصيا أنه من العبث ان يسمح الاب لابنه ان يدخن ذلك من المسائل الرجعية ولكن أمامه ، وقد يعتقد البعض ان فى الحقيقة هي بمثابة الحصار الضروري .

وانه ليس من الضروري أن يتحدث الاب مع ابنه او ابنته بلغة أجنبية عوض اللغة العربية،من الضروري أن الاولاد والبنات لا يرتدون يوم الجمعة الزي التقليدي ولا يذهب الابن مع ابيه الى المسجد لاداء الصلاة وان تساعد البنت امها فى البيت او تؤدي الصلاة بجانبها اللهم الا اذا قررنا أن نعيش كأولئك الملفقين ، تعبيرنا أوربي ، تفكيرنا ليس مغربيا ولا اسلامية ، لباسنا ناقص ، وأخيرا يوم نتزوج ونلد ، نلد خليطا .. لا يمكن ان يعيش فى مجتمع منظم ، لا يمكن ان يعيش الا فى مجتمع فوضوي .

واذا سرنا على هذا المنوال فاننا فى الحقيقة نخلق هذا المجتمع الفوضوي لاننا نخلق اناسا سيكونون فى هذا المجتمع الفوضوي .

علينا أن نراجع تربيتنا فى بيوتنا ، علينا ان نراجع البرامج والمناهج التعليمية فى المدارس ، علينا أن نفتح ملاعب للشبان ودورا للثقافة وخزانات ونعرض عليهم الافلام ونساعدهم على ملء أوقات فراغهم لضمان نجاح تربيتهم ، واذا بقي الطرف الثالث وهو الفراغ علينا ان نملأه بكيفية حتى اذا لم ننجح فى كل شيء فاننا سننجح فى تربية صالحة للناشئة ، وهذه مسؤولية تقع على عاتقنا فلهذا يجب أن نربي ونظمم، فاذا قمنا بذلك ، نكون قد خلقنا ناشئة سليمة ومكرمة من الناحية المادية والروحية ، واذ ذاك ، فان تلك الناشئة ستقصد بنفسها المسجد لان التربية الاسلامية هي التى ستجلبها لذلك .

فلنجعل اذن ، شعبي العزيز ، من السنة المقبلة سنة تهذيب وتربية وبعث اسلامي بالمعنى الصحيح وبالفلسفة الاسلامية الصحيحة ، ليست تلك الفلسفة المتزمتة ، بل الفلسفة المتفتحة الواعية لضرورة الوقت ، والمطابقة لكل ضرورياتنا .

فاملي فى الله سبحانه وتعالى أن يعيننا فى هذه الطريق ، وسوف يعيننا واننا ندعوه سبحانه وتعالى ان يجعلنا من المتفيئين ظله ومن الراعين أمانته ، ومن الذين لايقفون وقفة ولا يتحركون حركة الا فى سبيل الله لسبيل اعلاء كلمته وتوطيد دينه وسنة رسوله .

ونطلب من الله سبحانه وتعالى ان يزيد تلك العروة التى هي موجودة بيننا وبينك شعبي العزيز أن يزيدها متانة وصلابة حتى يمكننا أن نغزو الافكار كما سبق لنا أن غزونا الاحداث وان نترك للمغرب الجديد تنمية اقتصادية ، وتجديدا دينيا وفلسفيا ومجتمعا نقيا طاهرا والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات اسلامية

نظرية التأميم نظرية أجنبية وطبيعة التأميم طبيعة شيوعية

للأستاذ الرحالي الفاروقي

اصبح الكثير من الهيئات والحكومات يتغنون بالاشتراكية ، ويتسابقون الى اعتناقها ومصافحتها ، ويظنون انها منهج تقدمي ، وازدهار مادي ، وعدالة اجتماعية ، واشتراكية اسلامية ، والواقع انها مستوردة من النظام الشيوعي وملصقة بالنظام الاسلامي ، والاسلام براء منها اذ ليس له اشتراكية تفرض بالعنف والقوة وتقوم على المصادرة والتهريج ، وعلى التحريش بين الطبقات ، واستغلال الظروف والملابسات ، فلا ينبغي بحال من الاحوال ـ ان يشبه نظام الاسلام بأي نظام من الانظمة الوضعية ، ولا ان يلصق به أي شعار من الشعارات الاجنبية ، وانما هو نظام ازلي رباني يجب أن يوخذ بكليته ، وعلى وجهه وحقيقته ، غير مجزأ ولا مبعض ، وغير مزور ولا مشوه ، فلا تفصل فيه بين الروح والمادة ، ولا بين الدين والدولة ، ولا بين الاحوال الشخصية والاحوال المدنية ، وقد قال الله جل وعلا للمومنين به «أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون » .

فنظام الاسلام شيء لا يتبعض ، وكل لا يتجزأ ، فاما ان يوخذ كله واما ان يترك كله ، واما اذا بعضته او زاوجته مع غيره كالقضاء بالشرع في الاحوال الشخصية ، وبالقانون في الاحوال المدنية والجنائية ، فانه لا يتجد ولا مردة فيه ، وتلك هي طبيعته وخاصيته فهو نظام الانظمة ونظام التماسك والوحدة ، لا يقبل تجزئة ، ولا ازدواجية ، وهو نظام شامل وكامل كما

قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » ، وهو رابطة بين الفقراء والاغنياء ، والضعفاء والاقوياء ، والمرضى والاصحاء ، والنظر الى هذه الطوائف بنظر الاخوة والسواسية واعتبارهم اداة للنهضة والنصرة ، من صلب الاسلام وصميمه ، ومن حبابه ولبابه ، وفي الحديث الصحيح: انما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، فلا ايمان لمن لا يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، ولا لمن لا يسهم للمحتاج من ماله ، وذلك شأن من شؤون التربية الاسلامية ، وقضية من قضايا التكافل في الحياة الاجتماعية ، اذ لا يتحقق هدف الاسلام الا بالتضامن بين الطبقتين ، ولا يتم انتصار في الحياة الا باجتماع الطائفتين ، وهذا ما تضمنه مشروع التآخي بين الصحابة في اول الاسلام بمكة المكرمة ، وبين الانصار والمهاجرين بالمدينة المنورة ، ومشروع الزكاة الذى هو دعامة من دعائم الاسلام ، ونظام من نظامه المالي ، على انه لا قيام لمجتمع بدون تكافل جامع ، ولا اسلام لمن بات شبعان وجاره جائع ، وبعد :

فالتأميم الذي هو موضوع حديثنا بدعة منكرة ومذهب اجنبي فرضته التيارات العصرية والتاثيرات المادية ، والاحلاف العسكرية ، وهو لا يسير مع طبيعة الاسلام ، ولا يجري على قواعده الاصلية ما دام الاسلام يعترف بالملكية لاصحابها ويحترمها ، وما دامت المحافظة على الاموال احدى الكليات الخمس التي اجمعت عليها الملل فلا يخرج مال الانسان الا برضاه وعن طيب نفسه ، واما الاستيلاء على الاموال بوجه

الغصب والقهر فليس من شريعة الاسلام في شيء ، وليس بمصلحة كلية ولا ضرورية ، بل في ذلك غاية الضيق والحرج ـ فاذا ما اردنا التقدم الصحيح ، والاصلاح المتين، والعدل الذي يوفر الامن والاستقرار، فعلينا ان تحكم النظام الاسلامي ، ونجربه في تقدمنا وواقع حياتنا ، ونجسمه في اصلاح انفسنا واراضينا، من دون اشتراك ولا استثناء ، فان له وسائله الخاصة في النهوض والظهور ، ونستغني بذلك عن جلب المذاهب واستيراد القوانين من الخارج فان لكل مذهب وقانون اثره في مكانه ، وطبيعته في مجتمعه ، ومن ثم كان كل ذي مذهب حريصا على مذهبه وقائما على اسسه وقواعده .

واما الخلط والخبط فانه لا يقود الى طريق السلامة ولا الى باب السعادة ، وانما يخلق البلبلة في نفوس الناس ، والقلقلة في سلوك الطريق ـ فالاصلاح الحق يكمن في اتباع تعاليم الاسلام وتحري مقاصده، وتنفيذ احكامه ونصائحه ـ والقول بان الاسلام اخر المسلمين محض زور ومجرد افتراء اوحى به الخصوم الاشرار ، الى الضعفاء والاغرار ، الذين يقصرون عن التمييز في مجال الاختيار ، وانما الذي اخرهم بحق هو ابتعادهم عن الاسلام ، واعتمادهم على اعداء الاسلام ، ومتى طبق المسلمون او الحاكمون منهم ـ الاسلام في حياتهم حتى يقدمهم او يؤخرهم ـ ؟ وانما كان ذلك في نشأة الاسلام وقد ظهرت نتائجه في الانتصار على دولتين عظيمتين : دولة الفرس ودولة الروم ، ولم يكن العرب الا حفنة من الناس ، ولم يكن سلاحهم الا السنان والرماح .

واما التفاضل بين الناس في افكارهم ومواهبهم، وفي ارزاقهم ومواردهم ، ـ فهو شيء طبيعي وواقعي ـ بين الدول والشعوب ، وبين الافراد والجماعات ، وبين الشيوعيين والشيوعيات ، وهو حكمة الله في ارضه ، وقسمة الله بين خلقه على ما جاء في سورة النحل : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » اي الحسي والمعنوي ، وفي سورة الزخرف : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » اي مسخرا في الاعمال والاشغال ، وعلى هذا كان في الدنيا القوي والضعيف ، والغني والفقير ، وكان كل من الغنى والفقر ابتلاء واختبارا من الله لعبده : « فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني كلا » اي فليس الاكرام والتنعيم امارة على المنزلة والمكانة ، ولا الفقر دلالة على الحقارة والاهانة ، وانما ذلك امر يجري على مقتضى الحكمة وسنة الطبيعة .

فالاشتراكية ان صح هذا الاطلاق في الاسلام ليست في تاميم الاموال والاملاك ، وانتقالها من مالك الى مالك قسرا ، وانما هي في تامين حياة الضعفاء ، وبين الاغنياء والفقراء كما قال صلى الله عليه وسلم : توخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم . ومن جراء ذلك كانت ذمة الاغنياء لا تبرأ باخراج زكاة اموالهم بل عليهم حقوق اخرى لظروف استثنائية تنتظرهم يجب عليهم القيام بها ، والا دخلوا في الوعيد الوارد في قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب **والفضة** ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » فامتلاك المال حق من حقوق الانسان في الاسلام ، واكتناز المال بمعنى حبسه وعدم رواجه محظور في الاسلام ـ لان المال حكم بين الناس وليس من الحكمة حبس الحاكم الذي يفصل بين الناس ويترك الناس فوضى لا يجدون من يفصل بينهم ، وهناك مذهب مشهور ان الكنز هو عدم اخراج الزكاة من المال ولكن ليس معنى هذا ان الاغنياء تبرأ ذمتهم بذلك اذا ما تعرض اخوانهم لمجاعة او مضاعة بل عليهم ان يبادروا الى اسعافهم ومواساتهم مرة اخرى ، وعليهم ان يؤسسوا لهذه الغاية صندوق الاسعاف والضمان الاجتماعي .

هذا ولقد سمعنا ورأينا ان بعض الكتاب استطاع ان يكتشف ان التاميم المتعارف في هذا العصر دعا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل به عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاراضي المفتوحة ـ والحق ان هذا الاكتشاف واقع في غير محله وخروج عن جادة الاسلام ، وتقرب الى الانظمة الاجنبية ـ اما الحديث المشار اليه فقد رواه ابو داود في سننه ، وهو : الناس شركاء في الماء والكلأ والنار . وقد فسره المكتشفون تفسيرا يتلاءم ورغبتهم ، ويتخالف مع تفسير العلماء قبلهم ـ وكيف يكون الحديث دلالة على التاميم . وقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ما هو ضروري لعموم الناس ولم يذكر الا هذه الاشياء الثلاثة ، ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يؤممها وانما اخبر بالشركة فيها وعدم المنع منها ؛ والشيء المشترك في اللسان العربي ما كان لك ولغيرك فيه نصيب بحيث لا يتميز الواحد عن الاخر من اى جهة كانت حسية او معنوية ، يقال طريق مشترك وامر مشترك وراى مشترك ، ولو كان لذلك معنى زائد على اللغة وكان

ذلك هو القصد لبلغه صلى الله عليه وسلم الى الناس وبينه لهم وعاملهم به اذ هو صلى الله عليه وسلم مامور بالتبليغ والتبيين ، فمن اين يوخذ التاميم واين هي الشركة فى التاميم المعروف ، قال بعض العلماء المراد بالنار فى الحديث الحطب المباح لوقودها او الشجرة التي توقدها ، كما قال تعالى : « افرايتم النار التي تورون آنتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون » والمراد بالماء الانهار والامطار ، وقال ابو عبيد القاسم ابن سلام فى كتاب الاموال بعد ان ذكر هذا الحديث وحديث المسلم اخو المسلم يسعهما الماء والشجر واحاديث اخرى ما نصه : فقد جاءت الاخبار والسنن مجملة ولها مواضع متفرقة واحكام مختلفة، فاول ذلك ما أباحه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس كافة فجعلهم فيه اسوة وهو الماء والكلا والنار ، وذلك ان ينزل القوم فى اسفارهم وبواديهم بالارض فيها النبات الذي اخرجه الله للانعام مما لم ينصب فيه احد بحرث ولا غرس ولا سقى ، ـ يقول ليس لاحد ان يحتظر منه شيئا دون غيره ولكن ترعاه انعامهم ومواشيهم ودوابهم معا وترد الماء الذي فيه كذلك ايضا فهذا قوله : الناس شركاء فى الماء والكلا ، وكذلك قوله : المسلم اخو المسلم يسعهما الماء والشجر فنهى صلى الله عليه وسلم ان يحمى من ذلك شيء الا ما كان من حمى لله ولرسوله كما رواه البخاري وغيره ، قال ابو عبيد رحمه الله فالى هذا انتهى تاويل قول النبي صلى الله عليه وسلم فى اشتراك الناس فى الماء والكلا الذي يكون عاما ، وتاويل استثنائه فيما يكون خاصا ـ واما قوله صلى الله عليه وسلم : لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلا ، فغير ذلك وهو عندي فى الارض التي لها رب ومالك ، ويكون فيها الماء العد اى الماء الجاري له مادة لا تنقطع كماء العيون والآبار ، فاراد انه ليس يطيب لربها من هذا الماء والكلا ـ وان كان ملك يمينه ـ الا قدر حاجته لشفته وماشيته وسقي ارضه ، ثم لا يحل له ان يمنع ما وراء ذلك ، ومما يبين لنا انه اراد بهذه المقالة اهل الملك ذكره فضل الماء وفضل الكلا ، فرخص صلى الله عليه وسلم فى نيل ما لا غناء له به عنه ، ثم حظر عليه ما سوى ذلك ، ولو كان غير مالك له ما كان لذكر الفضول هاهنا موضع ، ولكان الناس كلهم فى قليله وكثيره شرعا سواء انتهى ، فبان من هذا معنى حديث : الناس شركاء فى الماء والكلا والنار ، وانه لا سبيل الى المنع من ذلك اذا لم تكن الارض مملوكة ، واما اذا كانت مملوكة فمالكها احق بها الا انه لا يمنع فضل مائه عن المحتاجين اليه ، واين هو التاميم من هذا المعنى ؟ فالتاميم العرفي هو انتزاع الاموال المملوكة وجعلها تحت سيطرة الدوله . وهذا شيء مناف لمعنى الحديث وللاعتراف بالملك فى نطاق المحافظة على مصلحة المجتمع العام ، ولو اردنا ان نستدل بحديث الناس شركاء فى الماء والكلا والنار، على منع حمى غابات الاشجار والنباتات فى الارض المشاعة بين الناس لامكننا ذلك لان الحمى لله ولرسوله كان لشيء معروف .

واما نزع الملكية لمصلحة عامة كتوسيع مسجد أو مقبرة ، فلا يصح ان يكون سندا لنظرية التاميم ، لان ذلك من باب الحكم على الخاصة للعامة ـ وهو يتميز بالتعويض المعقول ، وبعدم الاطراد ، ويكون المصلحة لا تتشخص فى معين .

واما فعل عمر رضي الله عنه فهو ليس اجتهادا منه خالف به النص ، وليس واقعا فيما كان من املاك الناس واموالهم ، وانما كان فى غنائم الحرب ومكاسبها ـ وانما كان استنادا الى نص الآية الكريمة ـ وايضا فقد كانت الاراضي المفتوحة تبقى بيد اصحابها الاصليين على ان يؤدوا خراجها للدولة ، وليست هذه هي طبيعة التاميم المتعارف اليوم . قال ابو عبيد رحمه الله بعد ان ذكر آثارا تدل على قسمة الارض التي اخذت عنوة ، واخرى تدل على وقفها وجعلها للمسلمين ما تناسلوا ، ما نصه : فقد تواترت الآثار فى افتتاح الارضين عنوة ، بهذين الحكمين اما الاول منهما فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خيبر ، وذلك انه جعلها غنيمة فخمسها وقسمها ، وبهذا اشار بلال على عمر فى بلاد الشام واشار به الزبير بن العوام على عمرو بن العاص فى ارض مصر ، وبهذا كان ياخذ مالك بن أنس رحمه الله. واما الحكم الآخر فحكم عمر فى السواد وغيره وذلك انه جعله فيئا موقوفا على المسلمين ما تناسلوا ولم يخمسه ولم يقسمه ، وهو الراي الذي اشار به على عمر علي بن ابي طالب ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهم ، وبهذا كان ياخذ سفيان بن سعيد الا انه كان يقول الخيار فى ارض العنوة الى الامام ان شاء جعلها غنيمة فخمس وقسم ، وان شاء جعلها فيئا عاما للمسلمين ولم يخمس ولم يقسم ، قال ابو عبيد : وكلا الحكمين فيه قدوة ومتبع من الغنيمة والفيء الا ان الذي اختاره من ذلك ان يكون النظر الى الامام كما قال سفيان بن سعيد وذلك ان الوجهين جميعا داخلان فيه ، وليس فعل النبي صلى الله عليه وسلم براد لفعل عمر ولكنه صلى الله عليه وسلم اتبع

آية من كتاب الله تبارك وتعالى فعمل بها ، واتبع عمر آية أخرى فعمل بها ، وهما آيتان محكمتان فيما ينال المسلمون من اموال المشركين فيصير غنيمة أو فيئا . قال الله تبارك وتعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » فهذه آية الغنيمة ، وقال الله عز وجل : « ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم . وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم » ، فهذه ءاية الفيء وبها عمل عمر واياها تاول حين ذكر الاموال واصنافها ، والى هذه الآية ذهب علي ومعاذ رضي الله عنهما حين أشارا عليه بما أشارا فيما نرى والله أعلم انتهى ، فقد علمت من قول ابي عبيد رحمه الله ان عمر رضي الله عنه انما عمل بئاية من القرآن الكريم ، وان الآية انما هي فيما أخذه المسلمون غلبة من المشركين . وأما اموال الناس واملاكهم فهي معصومة ومحترمة . والتاميم المتعامل به اليوم هو مصادرة اموال الناس من دون فرق بين مالك وغاصب ولا بين مستغل وكاسب .

واذا استدل من استحسن محدثة او ابتدع بدعة ـ بان السلف الصالح اخترعوا اشياء لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ككتب المصحف وتصنيف الكتب وتضمين الصناع وسائر ما ذكره الاصوليون في أصل المصالح المرسلة ، فيقال له كما قال الامام الشاطبي رحمه الله : ان هؤلاء الذين ادركوا هذه المدارك ، اما أن يكونوا قد ادركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الاولون أو حادوا عن فهمها ، وهذا الاخير هو الصواب اذ المتقدمون من السلف الصالح كانوا على الصراط المستقيم ، ولم يفهموا من الادلة المذكورة وما أشبهها الا ما كانوا عليه ، وهذه المحدثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها فدل على ان تلك الادلة لم تتضمن هذه المعاني المخترعة بحال ، وصار عملهم بخلاف ذلك دليلا اجماعيا على ان هؤلاء في استدلالهم وعملهم مخطئون ومخالفون للسنة ـ فيقال لمن استدل بأمثال ذلك . هل وجد هذا المعنى الذي استنبطت في عمل الاولين او لم يوجد ؟ فان زعم انه لم يوجد فيقال له اكانوا غافلين عما تنبهت له او جاهلين به ـ ام لا ؟ ولا يسعه ان يقول بهذا لانه فتح لباب الفضيحة وخرق للاجماع ، وان قال انهم كانوا عارفين بمآخذ هذه الادلة قيل له فما الذي حال بينهم وبين العمل بمقتضاها على زعمك حتى خالفوها الى غيرها ، ما ذاك الا لانهم اجتمعوا فيها على الخطا دونك ، والبرهان الشرعي والعادي دال على عكس القضية . وان زعم ان ما انتحله من ذلك انما هو من قبيل المسكوت عنه في الاولين ، واذا كان مسكوتا عنه ووجد له في الادلة مساغ فلا مخالفة انما المخالفة ان يعاند ما نقل عنهم بضده ، قيل له بل هو مخالف ، لان ما سكت عنه في الشريعة على وجهين ، احدهما ان تكون مظنة العمل به موجودة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يشرع أمر زائد على ما مضى فيه ، فلا سبيل الى مخالفته لان تركهم لما عمل به هؤلاء مضاد له فمن استلحقه صار مخالفا للسنة . والثاني ان لا توجد مظنة العمل به ثم توجد فيشرع له امر زائد يلائم تصرفات الشرع في مثله وهي المصالح المرسلة اذ هي راجعة الى ادلة الشرع حسبما تبين في علم الاصول ، وقضية التاميم لا تقبلها طبيعة الاسلام ولا تحتملها تصرفاته ومقاصده ، وتخلق ما لا يعلمه الا الله من انواع الحيل والمراوغات ، وتقضي على الطاقات ، وتخل بالمعاملات ، وكل ما يمكن ان تقبله قواعد الشريعة ونصوصها العامة هو مراقبة الحياة الاجتماعية ، واتخاذ اجراءات حاسمة وعادلة تستهدف ـ تحقيق ازدهار مادي في المرافق العامة ، او حماية المجتمع من استغلال غير مشروع ـ او احداث ما هو ضروري من الضرائب لنهوض دولة فتية مجدة لها اتجاه مقبول وهدف معقول ، وهذا ما تيسر ذكره في هذا المقام ، والاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

مراكش : الرحالي الفاروق



المقدمـــة :

منذ ان نفذ حكم الاعدام شنقا فى حق الاستاذ الشهيد سيد قطب (1) .. والفكر الالحادي فى العالم العربي ــ خصوصا ــ يصوب طعنات تلو الطعنات لكل شيء يمت بصلة الى هذا الدين !.. زاعما انه « اسطورة » احدثها البورجوازيون ! والاقطاعيون ! « لتلهية الجماهير بنعيم الآخرة عن حياة الحرمان فى الارض » حسب تعليمات المحرك النظري للحركة الشيوعية كارل ماركس .. وهي نغمة صهيونية شكلا وقالبا ، يطرب لها الملاحدة ومن ورائهم تلامذتهم الابرار !.. ومكيدة استعمارية مقصودة تبدو ــ وللوهلة الاولى ــ واضحة المعالم ... تبرهن على ان هؤلاء العبيد من الذين فقدوا خاصية التفكير الذاتي ــ والمنتمين الى اللائحة السوداء للفكر الالحادي يريدون فقط ان يتخذوا من انفسهم آلهة مقدسة بيدها الحل والعقد فى دنيا العقيدة والمنهج كوسيلة غير مباشرة لدعم « فرضياتهم » ــ التى لا ترتقي بأي حال الى نظريات ــ فى صورة يوهمون الناس فيها انهم يخدمون العلم ! ويسعون الى اسعاد البشرية .. مدحضين فى ذلك كل فكرة تناقض تصوراتهم الشاذة للكون ، والحياة ، والانسان .. مرددين جميعا قولة « نبيهم » المقدس اليهودي الماسوني كارل ماركس ــ حين جرفته انانيته ، وجهله بحقيقة نفسه فبالاحرى جهله بحقيقة الكون ، والحياة ــ الى القول : « لا اله الا المادة ، ولا وجود الا وجودي » .

وهذه النغمة السحرية ــ التى يعزف على اوتارها كل مخدر ابله ــ هي التى تصيره جثة هامدة تتلقفها ايدي المخابرات الصهيونية او الامريكية او الشيوعية كيفما شاءت ، وبأي طريقة ارادت .. مستغلة ضعف ارادته ، وانعدام وعيه فى تشويه مفهوم الحقيقة .. هذه الحقيقة المعذبة ، البائسة ــ التى ترزح تحت رحمة المقامرين بالكلمة ممن شوهوا معالمها ــ تقف الآن فى فترة احتضار على يد الفلسفة الالحادية المقوتة التى اتخذت من العنصرية اولا ، والعصبية ثانيا ، والجهل بحقائق الاشياء ثالثا ، منطلقا ديماغوجيا نحو اقرار ذاتيتها ومنهجها فى عالم الواقع ..

(1) حكمت محكمة خاصة بالقاهرة على الاستاذ سيد قطب بالاعدام ، وذلك فى غضون شهر غشت من سنة 1966 بتهمة التآمر على أمن الدولة » وبعد بضعة ايام من اصدار الحكم ، نفذ فى شهيدنا هذا الحكم شنقا بالرغم من كثرة الاحتجاجات والاستعطافات التى تقاطرت على قصر القبة بالقاهرة فى ذياك الوقت من مختلف الجهات الحكومية والهيئات السياسية والاسلامية فى العالم !

ولقد كانت الظروف الاخيرة التى اعقبت استشهاد الاستاذ سيد قطب ـ كرائد للفكر الاسلامي المعاصر ، وبالتالي كمحرك نظري وعملي فى آن واحد للحركات الاسلامية فى العالم ـ ظروفا خصبة بالنسبة لتلامذة الاستعمار وعبيد الصهيونية العالمية ، اتاحت لهم فرص نشر ترهات وافتراءات اسيادهم بين ابناء الجيل الصاعد .. وذلك فى وقت كثرت فيه النكبات ، والهزائم ، والويلات ، التى اجتاحت العرب خلال السنوات الخمس الاخيرة ، والتى ايقظت الانسان العربي من سباته العميق ، واذكت فى ذهنه روح الحيوية ، والوعي ، والتبصر بحقيقة امره .. كما الزمته البحث عن وجوده الضائع بين الاوهام والآمال الذابلة .. وقد احدثت هذه النكبات ـ التى واكبت المسيرة العربية منذ حرب خامس يونيو ـ فجوات ، وثغرات ، تسرب من خلالها كل ذي فكر استعماري الى اسواق العبيد كي يتسنى له بيع بضاعة اسياده التى نقلها من زبالاتهم ، وهو مخدر بنشواتها كاشبع ما تكون حالة السكير وهو يعربد بين الأزقة الخالية .. ذلك ان ميدان الشرف كان خاليا من وجود جنود من المفكرين الاسلاميين ، يتولون صد الهجومات المتكررة التى يشنها الملحدون على الاسلام .. اذ ان رواد الفكر الاسلامي كانوا ـ خلال هذه المدة ـ رهن الاعتقالات ، نظرا لما يتسمون به من افكار ثورية انقلابية .. يناجون جدران الزنزانات بالرحمة والعطف .. بعيدين عن اصداء المعركة المصيرية التى يحارب فيها طرف واحد فقط .. وكان بديهيا ـ اذن ـ ان تتاح الفرص لتلامذة الاستعمار ـ الذين يتوبون عن اساتذتهم فى العالم العربي ! ـ كي ينزعوا القناع عن وجوههم ، ويظهروا امام الجماهير العربية بنفس المعايير السيكلوجية التى تتقمص ذاتيتهم عقائديا ، ويعلنوا فى تحد سافر : « ان اي ثورة لا تكافح الاديان تعتبر خائنة » (2). وهكذا برزت اوائح عديدة من هؤلاء التلاميذ الابرار .. كنديم البيطار .. وصادق جلال العظم .. وادونيس .. وكاتب ياسين .. وابراهيم خلاص .. وهشام شرابي .. واخيرا ظهر وجه جديد ضمن هذا القطيع المخدر ، الا وهو المسمى « مصطفى النهيري » من البيضاء ، ولعله الوحيد فى المغرب من تجرأ على ان يعلن انتماءه الى هذه اللائحة السوداء من عبيد الاستعمار عن طريق كتابه « ازمة الفكر العربي » الذى هو موضوع حديثنا هذا ..

محتوى الكتاب :

اعتمد المؤلف على اسلوب جاف، معقد ، محشو بالعشرات من المصطلحات الفلسفية فى بسط آرائه حول الفكر الاسلامي ، مما يجعل القاريء فى تضايق محرج وممل .. فهو يمتطي صهوة اساوبه الركيك، العقيم ، الخالي من اي منهجية عامية ، او اي تصور ادبي يضفي على مخيلة القاريء وضعا من المتعة الادبية ، ثم يطلق العنان لقلمه كي ينقله الى الاجواء العليا .. حتى اذا استأنس به القاريء ـ فى تجواله هذا ـ يطرحه هناك فى الفضاء الرحب دون ان يمد له يد المساعدة ليعود به ـ ثانية ـ الى الارض حيث الواقع ... لكن القاريءمع ذلك يعيش معه ـ فى جولته تلك ـ حياة المقامرين المليئة بالوان من صور الشتم ، والسب ، والقذف ، والتى ليس لها ما يبررها الا نية الهجوم لذات الهجوم .. بالاضافة الى قيامه بحشد جملة من الآراء المتضاربة والمتناقضة التى لا يستطيع ربطها بأي دليل منطقي نتيجة فقدانه لأي حجة تدعم مزاعمه .. علاوة على وجود سمة اساسية طبعت جل آرائه ، وهي تلك التى تتجلى فى عملية المزج والخلط بين شتى الافكار والتصورات ذات الرؤيا المستقلة عن الاخرى .. اذ انه يعتقد ان ثمة «آلهة» وليس الها واحدا، وان هناك «اديانا» وليس دينا واحدا .. وهذا يعني انه ليس على خبرة واسعة بالدراسات المقارنة للاديان حتى يستطيع ان يفرق بين العقلانية الالهية ، والعقلانية البشرية ، وبين التصورات الاسلامية ، والتصورات الوضعية.. وبذلك يجد نفسه مطروحا فى دوامة مقوقعة داخل زوبعة من الاوهام الفارغة الهوجاء .. يعسر عليه معها التفريق بين فكرة : .. الكل والجزء ، والكمال والنقص .. والخير والشر .. والعدل والظلم (3).

(2) قائل هذه العبارة الطافحة بنشوة التخدير هو الملحد « كاتب ياسين » .. وقد نشر فتواه هذه على صفحات جريدة « النهار » اللبنانية فى عدد نوفمبر 1969 .

(3) للتوسع فى هذه النقطة ، يراجع بالتفصيل كتاب « معالم فى الطريق » وكتاب « خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » للعبقري الخالد الشهيد سيد قطب .

بحكم انه بات ذا عقلية معقدة ، ومتمردة على معطياته الذاتية وتصوراته الفطرية التي فقدها مذ أعلن تمرده على دين الفطرة : الاســلام .

وكطبيعة كل ملحد في مناقشة الافكار ، يحاول المؤلف بشتى وسائله ان يخضع الناس الى تصوراته الضالة سواء عن طريق أساليبه الديماغوجية أو من طريق تأويك الالفاظ بالصبغة الفلسفية دون اعتماده على أي مصدر وثائقي ، فحين يهاجم مثلا « النظــام السياسي في الاسلام » يجعـل من الظلم الاجتماعــي الذي ساد بعض العصــور « الاسلاميــة » صــورة التعريف بالنظام السياسي في الاسلام، متجاهلا دوره الطلائعي في تحرير الانسان من عبوديــة أخيــه الانسان ، وفرضه لحرية الراي ، واقراره لعدالــة اجتماعية لم يشهد التاريخ السياسي مثيلتها اطلاقا.

واني هنا اذ أريد ان استفتي المؤلف فاوجه له هذا الســؤال :

هل ثمة ايديولوجية « علميــة » حقــا آمنــت بالعلم ، فوهبت « العدل المطلق » باسم هذا العلم كما وهبه النظام الاسلامي ؟ (4)

ثم اي حرية تفتخر بها الايديولوجيات الحديثة الا افتخارها بالظلم والاستبداد ؟.

لقد كان الاسلام ايام الخلفاء الراشدين يهيمن على الدولة الاسلاميــة من النواحــي السياسيــة ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسلوكية ، فعــاش المسلمون ــ اذ ذاك ــ في ظلال حكم عادل أدهــش رجالات التاريخ ، والقانون في أوربا وامريكا .

اولم يقل عمر بن الخطاب ــ وهو رئيس الدولة ــ امام تجمع عام : «ان رايتم في اعوجاجا فقوموني»! فيقوم الصحابي المعروف سلمان الفارسي ــ ليشهر سيفه الذي جرده من غمده في وجه عمر ــ فيقول له محذرا : « والله يا عمر لو رأينا فيــك اعوجاجــا لقومناه بحد سيوفنا هذه » اذ ذاك ، هــل لقــي سلمان الفارسي ــ وهو يجابه عمــر بهــذه الجــرأة والشجاعة ــ سوءا سجله التاريــخ ؟ ترى ، بمــاذا اجابه الخليفة العادل اذن ؟ لقد حمد الله ان وجد في رعيته من يمثل الاتجاه المعارض في دولته ، وقال قولته المشهورة ، ليعلم شعبه ويعلم الدنيا كلها مــن بعده : « الحمد لله الذي وجد في رعيــة عمــر من يقوم اعوجاجه بحد سيفه » !

هذه هي الحرية ! وهذه هي العدالة ! وهذا هو التعامل الانساني بين الحاكــم والمحكــوم في نظــر الاســلام (5) .

الخطــوط العريضــة للكتــــاب :

يركز صاحب الكتاب اهميته على النيــل مــن القدرة الالهية ، والتمرد على شرائعــه ، وبالاخــص سعيه وراء دحض الايديولوجية الاسلامية ، واعتبارها « خرافة » ! قيدت الفكر العربي مدة اربعــة عشــر قرنا عن كل بحث علمــي ! وعن كل تجربــة عقليــة نظرية ! .. هذا مع اعترافه بان النبي مبعوث من قبل الله قصد نشر الدعوة الاسلامية .. وان هذه الدعوة احدثت تغييرا جذريــا في التصــورات ، والقيم ، والاوزان .. وانها اوجدت مفكرين واعين قــــادوا الجماهير الاسلامية ضد الاستعمار والاستبداد ..

اوليس هذا تناقضا مائعا يجمع بين التصورات الايجابية والسلبية في آن واحد ؟

وكيــف لا .. و « الخرافــة » لا يمكنــهـا ــ سوسيولوجيا ــ انتحدث هذا التغيير الجــذري مدة اربعة عشر قرنا على التوالي !.. انها الديماغوجية بعينها تراود اوهام التفلســف الالحــادي في عقليــة المؤلف . ثم يرى ان العرب قضوا هذه المدة الطويلــة في غيبوبة «خارج الوعي» حسب ادعائه ، دون ان يدلل على رايه باي ادلة منطقية ، ويعقد مقارنة فكرية بين العصر الجاهلي ، والعصر الاسلامــي ، فينــوه

(4) يستطيع ان يجيب عن هــذا السؤال بالنسبــة للراسمالية الكاتب الامريكي « هنري جيمس » في كتابه « امريكا تحترق » وبالنسبة للماركســية المفكر الشيوعي « مليوفان دوجلاس » في كتابــه « الطبقة الجديدة » .

(5) يراجع بتوسع كتاب « العدالة الاجتماعية في الاسلام » للشهيد سيد قطــب ، وكتــاب « دولــة القرآن » للاستاذ طه عبد الباقي سرور ، وكتاب « منهاج نظام الحكم في الاسلام » للاستاذ محمد اسد .

بالاول الذى كان يحتكم الى « العقل » فى حين يحمل باللائمة على الثاني الذى يراه « يستنزف » طاقة العقل فى الاختيارات الايجابية للتفاعلات السياسية، والفكرية والسلوكية .. ومن ثم ينفي وجود هيمنة « العقل » فى بعث وعي فكري بين المسلمين ، لان العقل العربي — فى نظره — كان مجمدا بعقدة « الطابو »! الشيء الذى حال دون ان يشارك فى العطاء والانتاج ، ودون ان يكون فى مستوى الاحداث حتى يتمكن من معرفة كينونته ووجوده !!.. (وهي آراء هستيرية مائعة ، تضع المؤلف فى وضع اقرب ما يكون الى « براح » مهرج) .

وينتهي من هذه النظرات الصبيانية الى نتيجة باهتة سخيفة طالما رددها اعداء الاسلام فيقول : « ان عبر مسيرتنا التاريخية الطويلة اليوم لم نستعمل «العقل» واداته « التفكير » فى بنائنا الذاتي والحضاري » .

وينقل نفس هذا المعنى ، ليؤطر به « العقل » العربي فى الجاهلية ، وليجعل منه « عقلا » غير متاهل — منهجيا — على تقصي مفاهيم الحياة ، وذلك كخطوة نحو استصغار ابعاد تفكيره خاصة اثناء وقوفه وجها لوجه امام «المنطق الاسلامي» المناقض للعقلية العربية اذ ذاك .. وقد رأى ان هذه العقلية لم تستطع تحليل او مناقشة القرآن الكريم ، بل سلمت به من غير فهم وادراك ! (6) لان قساوة معاني النذير والتحذير — حسب تعبيره — التى جاء بها القرآن الى الانسان الجاهلي « البسيط » كانت اكبر ، واعنف من ان يحللها او يناقشها ، فما كان عليه الا ان ينكسر امام منطق الغيب » . (7) .. ويعطي تعليلا على ذلك حين يصف هزال العقلية العربية امام آلهتهم المصنوعة من الحلوى ، والتى كان — غالبا — ما ينتهي دورها باكلها ! .. وهذه العلة ليست كافية فى حد ذاتها لان تبرهن — علميا — عما كانت تتصف به العقلية العربية من عمق حيال ادراكها لحقائق الاشياء وطبائعها .. لقد تجاهل المؤلف — والتجاهل من خاصياته — ان العرب فى الجاهلية وقفوا — اول الامر — موقفا عنيدا جدا ضد الاسلام ، اذ انهم كانوا اشد الناس تعصبا لطقوسهم الوثنية ، وعداوة لهذا الدين الجديد (8) ، ولم يقبلوا به كدين رسمي لهم ، الا بعد وقوفهم على تحري دقائق الامور ، وتلابيب كل خاصية دينية .. ملمين بجميع مفاهيمها الشكلية والجوهرية .

ولانترك هذه الحيثيات التى اعطينا فيها نظرات عامة على منهجية المؤلف فى النقد ، لانفرغ الى معالجة « افكار » الكتاب بصورة تدريجية .

— ◆ —

ينطلق المؤلف فى مقدمته بالتركيز على ما زعمه بفقدان خاصية التفكير لدى العرب عموما ، وذلك بدا من البعثة النبوية حتى اليوم بحكم ان العقل صار « جامدا » خلال هذه المدة بالمقولات الدينية ، مستثنيا فى ذلك العصر الجاهلي كما المحنا الى ذلك قبل قليل ، ويبني رايه هذا على النقط التالية :

اولا : ان « العقل العربي » فى العصر الجاهلي لم يكن مدينا لاي هيمنة دينية ! متجاهلا الاوضاع الوثنية التى اكتست الطابع التفكيري لدى العرب فى الجاهلية !!

ثانيا : ان « العقل العربي » فى الاسلام اصبح ذاويا « ثيوقراطية » (9) غير موضوعية واعية !!

(6) كانه يريد ان يلمح الى ان العرب كانوا « اغناما » يؤمنون بلا روية وتفكير ، وينقذون بلا معرفة وادراك !!..

(7) راجع ص 10 من كتاب « ازمة الفكر العربي » .

(8) ان قصة اسلام عمر بن الخطاب كافية لان تقيم لنا « خاصية التفكير » لدى العرب فى الجاهلية خصوصا وان عمر كان اشد الناس عداوة للاسلام ، فاصبح اشد الناس تحمسا له .. لا استسلاما لاحد، ولكن اقتناعا بالحق الازلي .

(9) مصطلح «الثيوقراطية» لا يجوز — اطلاقا — الاعتماد عليه فى توضيح مفهوم الاسلام ، والمؤلف اذ ياتي بهذا المصطلح كي يشوه به معالم التصور الاسلامي !!

ثالثا : ان « العقل العربي » فـي الاسـلام لم يقدم للبشرية ـ على مدار التاريخ ـ اي نتاج فكري او حضاري على الاطلاق (10) !!

وهذا يعني في نظر المؤلف أن :

ا ـ العقل : لا يتحرر الا حين يتنكر الانسان العربي للمبادىء الدينية !!

ب ـ الوعي : لا يكمن في عقلية الانسـان الا بمحق التصورات الدينية !!

ج ـ الدين : «خرافة» ! يستغله «الرجعيون» لأغراضهم الخاصة !!

د ـ الدين : هو العائق الوحيد نحو كل تقدم وحضارة !!

وقد عبر المؤلف عن هذه النزعـة الالحاديـة ، فقال في ص 10 : « ان عنف الجـانب الميثولوجـي (اي الاسطوري) في القرآن ، قد « سطا » على أكبر مساحة من فكر الانسان العربي، و«نسف» بالتـالي جوانبه العقلية الاحتجاجية الاصليـة بيولوجيـا في النوع الانساني » (11) .

بهذه الفكرة الاستعمارية الالحادية ينزع المؤلف القناع عن وجهه الحقيقي لينصب نفسه ـ بغيـر حق ـ ناقدا ! فيلسـوفا ! فعالما ! ، وليجعل من ثـم جموع : الكتاب ، والاساتذة ، والمفكرين ، والعلماء ، مجرد اناس « اغبياء !! كانوا جميعهـم « فاقـدي الوعي » ! وذلك حين يضعهم جميعـا بين الاقـواس كأنهم لا يستحقون تلكم الالقاب ! مستعملا في نفس الوقت علامات التعجب ليكون لسخريته مفعول اكثر دلالة .. وحتى يكون لآرائه في النقد والهجوم ما يبررها اثناء استعراضـه للاحـداث التاريخيـة ، والسياسية ، والفكرية .. وهي مراوغة مالوفة لـدى الفكر الالحادي المتعصب .. تفي بمقدرة المؤلف في الانخراط في سجل « حكماء صهيون » الذين تفننوا في تاويل الكلمات، واخراجها في قالب « علمي » .. والعلم منها ومن تعاليم أصحابها براء ..

ويلاحظ ان المؤلف قد اغرق نفسه في بحر من المصطلحات الفلسفية ذات المفاهيم الخاصة، الموضوعة لعلم محدد .. وهي بطبيعتها حين تقـاس بعالـم آخر تبدو جوفاء واهية لا تـؤدي نفـس الوظيفـة المهيأة لها اول مرة ، لكن المؤلف ـ رغـم ذلـك ـ يختلس جملة من المصطلحات الفلسفية ـ وكأنها عين الحقيقة ـ ليقحمها ضمن آرائه المذبذبة ، وليتخذها وسيلة لمناقشة الايديولوجية الاسلامية ، جاهلا ان الاسلام لايناقش ولا يفهـم الا بمصطلحاتـه .. لان العقلية التي وضعت هذا الاسلام هي ذاتها التي تعرف وحدها وضع مصطلحاته .. ثم ان هذه المصطلحـات الفلسفية التي تبجح بها الكاتب ـ من غير ان يتسناق على خطى المنهج العلمي النزيه ـ افقدته حتى النظرة العلمية في النقد ، حيث رمـت به في معتـرك التناقضات والملابسات كما سنبين ذلك جليا فيمـا بعـد ..

— ◆ —

وفي الصفحات (12 حتى 45) يذكي المؤلـف حملة هجومية ، عنيفة ، مسعورة ، تشمل العناصر التالية :

1) الله ـ 2) والاسـلام ـ 3) والرسـول ـ 4) والخلفاء الراشدون ـ 5) والعلماء .

ويريد بذلك ان يقتنص الغايات الآتية :

اولا : يزعـم ان هناك صراعـا طبيعيا بين الله والانسان، الذي يتمتع « بروح العنـاد والتمـرد » على القدرة الالهية ! بحجة ان التعاليم الدينية «تعطل خاصية الثورة الابدية في عقل الانسـان » (12) وقد

(10) ونحن اذ ننصح المؤلف ان يراجع ـ كتـاب « شمس العرب تسطع على الغـرب » للمستشرقـة الالمانية : زيغريد هونكه ، حتى يتمكن من تغذية عقله بما يجهله عن الحضارة الاسلاميـة .. ومع ذلك فاننا نعذره على هفواته هذه ضد الفكر الاسـلامي ، لاننا نعرف ان « فاقد الشيء لا يعطيه ».

(11) الكلمات الآتية : « الميثولوجي » و « سطا » و «نسف» في عبارته هذه ، لها من الدلالة اللفظية ما افهمتنا بحقيقة الغاز المؤلف !

(12) راجع ص 25 من كتاب « أزمة الفكر العربي » .

راى أن اليونان واجهوا « الصراع الديناميكي بين الانسان والآلهة » ! عن طريق « المسرح » لكنه يشهد ان مثل هذا العمل لم يحدث عند المسلمين ، وكان ذلك كافيا لان يصف العقلية العربية الاسلامية بما اسماه « بالبلادة الانطولوجية » بيد ان الذي يطالعنا فى مواجهة هذه الآراء الضالة هي كون المؤلف يخلط بين « الآلهة » التى صنعها اليونانيون من محض خيالاتهم ، وبين « الله » الذى لا يشاركه احد فى تدبير هذا الكون ، ونحن اذ نثبت هذه الحقيقة واضعين النقط على الحروف ، لان « صاحبنا » لا ينكر وجود الله ، وان كان يستهزيء بعظمته .. وهذا ما يوميء لنا بسطحية ثقافته ، وبالتالي بضحالة تفكيره فى عجزه عن مناقشة فكرة « الوجود الخارجي » .

وافتح القوس هنا لاذكر المؤلف ان اليونانيين كانوا على عقيدة وثنية ، يتخذون من الشمس ، والقمر ، والنار ، والبرق ، والرعد ، والتماثيل آلهة مقدسة ، فهل هذه « الآلهة » هي التى آمن بها المسلمون حتى يقع فى هذا الخلط الشائن ؟ سؤال موجه للمؤلف وحده .

لكننا مع ذلك نعرف المقصود الذى حدا بالكاتب الى ان يخلط بين حقيقة « آلهة » اليونان ، وحقيقة الله ، اذ ان مهمته لا تنحصر فى البحث عن الحقيقة كبحاثة يحترم نفسه ، بل تراه يتقمص لباس الالحاد، ويشهر قلمه على العقيدة الاسلامية ، مريدا بذلك تهديمها بأي وسيلة يراها اهلا لتحقيق غايته .. حتى انه افرد فصلا خاصا اسماه « الاستعمار الفكري » (13) منتحيا فى ذلك منحى خاصا لفرض التعاليم الاستعمارية .. وذلك بتهكمه على كل الذين يقولون بأن الايديولوجيات الاوربية هي ايديولوجيات استعمارية ، أو انها تشكل مباديء هدامة .. فتراه يرد على هذه الفكرة بقوله ان هذه التعاليم « هدامة بالفعل للجهل » وان « الاستعمار الفكري » خدعة يستغلها « الرجعيون » (14) قصد الغاء المباديء المستوردة التى توقظ فى الانسان روح الوعي (كذا) .

ثانيا : يتعمد المؤلف تشويه الاسلام تشويها شموليا (15) واعتباره « اداة قمع يستغلها الاقطاعيون » ! مع مسخ حقيقته بادعائه انه مجرد « اسطورة » ، وهو يسعى الى هذا التدليس معتمدا على مصادر هي من الاسلام بعيدة عنه بعد السماء عن الارض .. وهذه المصادر تتلخص – حسب نظره – فى (الارهاب السياسي والاجتماعي الذى عرف فى عهد الدولة الاموية والعباسية والعثمانية) ويعتبر ان هذه الدول كانت تقترف تلكم المظالم بايحاءات دينية!.. اي ان الاسلام – فى نظره – هو الذى كان يحرك « الفتن السياسية » و « المظالم الاجتماعية » ويغذي «فتواه» هذه ، فيقول فى صفحة 14 : « هذه الظاهرة السيكوسوسيبولوجيا – غالبا – ما كان وقودها المباشر العامل الديني » ! ويقول ايضا : « كانت مرحلة القرون الوسطى (ويقصد العهد الاسلامي) حقبة جليدية جمدت بتراثها اللاهوتي الثيوقراطي الفكر الانساني عموما » .

ثالثا : يرى الكاتب فى صفحة 13 ان الرسول والخلفاء الراشدين تولوا تسيير دفة الحكم بعد « تخدير اعصاب المسلمين بقيم الاقطاع والاساطير » (وهي مزاعم أعلنها كارل ماركس ويرددها كل ملحد افاك أثيم) ، لكنه فى صفحة 14 يقف بعض الشيء موقفا ايجابيا فى نظرته الى مبدا الشورى الذى « نص عليه القرآن ونصب بواسطته ابو بكر وعمر » مبينا انه « أول نظام جمهوري عربي » ثم يحد من ايجابيته ليرجع بنا الى نزعته الشريرة ، وليشكك بالتالي فى عدالة الخلفاء الراشدين، ظانا ان اغتيال عمر بن الخطاب جاء بدافع ثوري ضد سياسته، ونفس المعنى يرددها بالنسبة للفتن السياسية التى اجتاحت دول بني امية، وبني العباس، وبني عثمان، وبذلك يعمد مرة اخرى الى فكرة الخلط – وهي تكتيك منهجي عنده – بين المنهاج السياسي فى عهد الخلفاء

---

(13) راجع ص 156 من نفس المصدر .

(14) هذا هو المصطلح الفتاك الذى يتستر وراءه تلامذة الاستعمار كي يتمكنوا من تنفيذ دسائسهم بين الجماهير الساذجة .

(15) يراجع بتوسع كتاب « شبهات حول الاسلام » للمفكر الاسلامي الشاب محمد قطب .

الراشدين وبين المنهاج السياسي فيما عدا ذلك من العصور ، ليخلص من ثم الى تشويه نظرية « القانون الدستوري في الاسلام » (16) .

رابعــا : لا بد هنا من وقفة فاحصة تمهد لنا السبيل لمعرفة نظرة المؤلف لمفهوم «الفكر الاسلامي» حتى نستطيع استجلاء رايه عن هذا الرصيد الضخم من التراث الاسلامي الذي يتجاهلـه هذا المتمرد . لقد وقف امام خريطة العالم الاسلامـي .. يتذكر ما قام به المسلمـون خلال هذه الأربعـة عشر قرنـا ، مستعرضـا احداث التاريخ .. فيخـرج بالنتيجـة الوهمية التي بيناها آنفا في نكرانه لأي عطاء او نتاج ايجابي .. الامر الذي حـدا به الى شـن حمـلات شعواء مركزة هادفة ــ كما اسلفنـا ــ على الفكـر الاسلامي ، معلنا في صفحـة 12 ان : « معاييـر المقدس واللا مقدس قد ارهقت ثقافيا الفكر العربي ، واجهضت نفسه الانقلابي لمدة اربعة عشـر قرنـا » مستنبطا العلة من « الحـوادث السياسيـة » التي عاشها العالم الاسلامي والتي « انتكس فيـها الفكـر العربي عن اي جدل او عطاء انقلابي » لكنه سرعان ما يناقض نفسـه ــ شأنه شأن تناقضاته الاخرى ــ وذلك باعترافه بوجود جمهرة من المفكرين المسلمين ممن كان لهم عطاء فكري ضخم ، ويقدم امثلة عنهم كالامام الغزالي ، وابن سينا ، والفارابـي ، وابـن رشد » (17) الا ان هذا العطاء كان ــ يراه ــ يشكل « فلسفة تبريرية تزكي من طغيان التحالف السلطوي للقيم الاقطاعية والمفاهيم الايديولوجية الحيادية»(18) .

بيد ان هذه الظاهرة التي اختلقها المؤلف يأتي الآن وعلى صفحة 16 ليعلن عن تجاهلـه لهـا ، بـل ليهدمها من اساسها ، فيعتبر ان « العقد السيكو ثقافية للفكر العربي يسهل العثور عليها في التراث الفقهي .. ذلك النتاج الفقهي على اختلاف مذاهبه هو الصورة الثقافية المعبرة موضوعيـا عن طبيعـة الاهتمامات العقائدية والفكرية والاجتماعية والسلوكية للانسـان العربي والمسلم » (19) .

اوليس هذا هو اعتراف قاطع يتبناه المؤلف ، ليزعزع به ما زعمه بنفسـه من آراء صبيانية مررنـا بها في السطور السابقة ؟

ان هذا الاعتراف وحده يثبت لنا ثلاث معطيات اساسية وهي :

ا ــ الاسلام نظرية قائمة بذاتها ، وليسـت « بخرافة » خلافا لادعاءاته السابقة .

ب ــ الفكر العربي اعطى نتاجـا ايجابيـا في الميدان الثقافي .

ج ــ النتاج الفقهـي هو المعبـر الوحيـد عن حقيقة الفكر الاسلامـي وليـس النتـاج الفلسـفي .

ولكي يدلل الكاتب على وجـود هذا العطــاء الفكري الايجابي ، يجشم نفســه عنــاء توضيــح « رايه الجديد » (الذي نتفق معه عليه) .. فيقتطف فقرات من كتاب الدكتور زكـي نجيب محمـود عن عمليات التعذيب التي استعملها « المأمون » في حق الامام احمد بن حنبل كرائد من رواد الفكر الاسلامي .. ويأخذ المؤلف اعجابه بشجاعة الامام ابن حنبل فيستغل الصفحات (18 حتى 22) في سرد اخبار الامام ، ومـا لقيـه من اصنـاف الاضطهـادات الوحشية ، ثم يعلق على هذا المشهد البطولي الرائع فيقول ــ وقد اعترف ضمنيا بوجود خاصية التفكير لدى العرب ــ في صفحة 22 : « صورة مؤثرة ، ومشاهد فظيعة لا زال يصطلي بنيرانها كل مفكـر حر » (20) .

---

(16) يراجع كتاب « نظرية الاسلام وهديه » للمفكر الاسلامي الكبير ابي الاعلـى المودودي ، وكتــاب « الاسلام واوضاعنا القانونية » للاستاذ الشهيد عبد القادر عــودة .

(17) راجع ص 16 من كتاب « ازمة الفكر العربي » .
ينهج المؤلف هذا التكتيك الديماغوجـي كي يظل ملتزما بالمبدا الذي رسمه لنفسـه اول مرة حين ادعى ان « العقل العربي » لم يقدم اي نتـاج فكـري !!

(19) راجع ص 16 من نفس المصدر .

(20) هكذا نجد المؤلف يقوض مزاعمه السابقة بنفسـه ، فيعترف بالامام ابن حنبل كمفكـر حر ، وكأنـه يلمح من بعيد ــ مع بعض التحفظات ــ ان الاسلام لا يجمد العقل ، استنادا الى رايه النزيه عن الامام ابن حنبل .

ينتقل المؤلف بعد ذلك الى صفحة 28 ، ليتحدث عن تطور الفكر الاسلامي ، ويعلن ان «الوعي الجمعي العربي استيقظ على صيحات محمد بن عبد الوهاب ». ويشرح ذلك فيقول : « لقد ثار هذا المصلح الديني على تفشي البدع والخرافات في امصار نجد بالجزيرة العربية ، فنصب من نفسه حاميا لدين الله ، واخذ يدعو الى الموروث من النصوص عن السلف الصالح المعتمدة على احكام الكتاب والسنة كما فسرهما ابن حنبل وابن تيمية » .

والملاحظ في هذه الفقرة ـ وفي سواها من الفقرات ـ ان المؤلف يخط كلماته احيانا من غير ان يعي للتناقضات التي تكتنف معانيها والتي لا تربطها مع بعضها ادنى رابطة معنوية ، فهو في ص 12 يرى ان الاسلام قد « بطش بالوعي الجمعي العربي » ويأتي في ص 28 لينفي زعمه هذا ، ويعلن ان الوعي الجمعي العربي قد انتبه (اي انه كان موجودا) في منتصف القرن الثامن عشر على صيحات محمد بن عبد الوهاب » وفي صفحة 13 يردد ما كان كارل ماركس يتهم به الاسلام من انه مجموعة من « قيم الاقطاع والاساطير » لكننا نجده على صفحة 28 يحبط رأيه هذا ، ويقول ان : « محمد بن عبد الوهاب ثار على تفشي البدع والخرافات » .

واذن ، هذا الداعية الاسلامي الذي ثار على « الخرافات » لا يمكنه ـ منطقيا ـ ان يعتنق « الخرافات » ليحارب بها نفسها .. لانه من الناحية العملية لا يمكن محاربة « الخرافات » الا بنظريات ثابتة تناقضها شكلا وجوهرا .. فماذا ـ يا ترى ـ يعتنق اذن ؟..

يجيبنا المؤلف نفسه بنزاهة فيقول: «اخذ يدعو الى الموروث من النصوص عن السلف الصالح (ويعترف ان السلف كان صالحا) المعتمدة على احكام الكتاب والسنة كما فسرهما ابن حنبل وابن تيمية (وهذا اعتراف ضمني بان هذين العالمين يمثلان ريادة فكرية اسلامية ، وذلك ماكان ينفيه المؤلف ولا يعترف به).

ولكي يدحض المؤلف بنفسه فكرته القائلة بان الاسلام « خرافات واساطير » يؤكد في ص 28 انه: « لا الفروات الاوربية النابوليونية ولا الريادات التعليمية المسيحية ، استطاعت ان تخلص الانسان العربي من اسلامه » .! (21) .

— ◆ —

وهكذا ، في وسط خضم هذه التناقضات الفكرية يبرز المؤلف كتلميذ استعماري غيور .. لا يهمه من امر هذه «الافكار» ! الا التلاعب بالالفاظ وارسالها عن غير هوية من مركز « اخطبوط » عقليته التي يزكيها بارائه العشوائية ، السطحية ، الفوغائية .. والمستمدة جلها من الملاحدة : نيتشه ، وفرويد ، وماركس ، وسارتر، وماركوز .. الذين يضع فيهم كامل ثقته في تلقي « المعارف » . ولما كان عقله متشبعا بايحاءات سدنة الالحاد ، فلا يمكنه ـ والحالة هذه ـ الا ان ينهج نفس الطريق الذي رسموه لانفسهم في التفنن في اساليب المكر والخديعة .. وهي اسلحة فتاكة قاتلة يحارب بها الملحدون اعداءهم ..

وهذه التناقضات العديدة التي استنبطناها من كتاب « ازمة الفكر العربي » تفسر بما لايدع مجالا للشك ـ ظاهرة المكر التي يتحلى بها الملاحدة كغريزة متاصلة في شرايينهم ، تلازمهم حتى في تعاملهم مع بعضهم البعض !..

وفي الصفحة 29 يجنح الى استعمال اسلوب آخر في معالجة « تطور » الفكر الاسلامي فيطلع علينا بعقلية متصنعة للكاتب النزيه ـ وقد هدأ من توتر اعصابه ، وانفعالاته كمهلة من الوقت للاستراحة ـ ليضع نفسه كناقد متحرر ، بعيد عن الترهات العقائدية الالحادية التي تعوقه ـ بطبيعة الحال ـ عن معرفة الرؤية السليمة لطبائع الاشياء..

وهكذا نجده يمجد الكاتب الاسلامي المعروف عبد الرحمان الكواكبي ، ويعترف بانه كان مفكرا ، وشجاعا ، وانه اشهر قلمه في وجه المستبدين من العثمانيين والانجليز .. وفي نفس الصفحة يعترف بان الائمة ، الافغاني ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا يعتبرون «رواد وعي قومي ومفكرين اسلاميين» (22).

---

(21) السبب واضح ، وهو يكمن في كون هذا الدين ليس بأسطورة تتداولها عقول الصبيان ..

(22) تناقض ملحوظ .. اذ انه كان يزعم ان العرب« بلداء » و « فاقدي الوعي » ! وهو معذور على كل حال لان « السكير » يعذر بما يتفوه به .

لكن نية المؤلف السيئة الخبيثة، تجره دائما الى الخساسة والميوعة، وتحجمه عن مواصلة بسط الحقائق التاريخية بمنظار علمي نزيه.. فسرعان ما يتحول الى عدو ماكر شرس عساه يتمكن من بث سمومه القاتلة التى لفحوه بها اثناء اصابته بعاهة التفلسفالاعمى! اذ ان غايته – كما عرفناها سابقا – تتلخص فى نشر البلبلة الفكرية ومحاولة زعزعة افكار القراء عما تلقوه من حقائق علمية تاريخية ينبض بها المنطق الحر قبل ان تقرأ على صفحات الكتب.. من ثم يحاول هذا التلميذ الاستعماري فرض آراء اساتذته بشكل او بآخر على ذاكرة القراء السذج..

وها هو ذا على صفحة 30 يطلع علينا برأي استعماري محض.. يستبعد فيه كون الاسلام يمكنه ان يزاول مهمته كما كان فى الاول، ويستهزيء – كعادته – بكل الذين يدعون الى مثل هذه المبادرة، فيقول ساخرا: « ان رواد الاصلاح الروحي (ولا يقول الاسلامي) كانوا يحلمون ويتوهمون (كذا) ان تخلف العالم الاسلامي يرجع فى الاساس المباشر الى كارثة تخلي الخلف عن محجة السلف، وسر تقدم المسلمين حضاريا، واقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا.. مشروط بادراك الشعوب الاسلامية لروح الاسلام، وحقيقة الاسلام، واصالة الاسلام، وجوهر الاسلام، الى غير ذلك – يقول المؤلف – من مصنفات بضاعة التبرير المسطحة التى يزخر بها عقل اكبر ابله على الارض » (23)

ذلك هو بيت القصيد الذي اراد هذا التلميذ ان يظهره للملأ.. وتلك هي غايته الدنيئة من وراء كتابته لهذا الكتاب الخبيث..

يستطرد المؤلف فى سرد شطحاته وترهاته بكل ما يملك من حقد وغل فى دنيا العقيدة.. تبعا لما تفرزه له ذاكرته من مصطلحات فلسفية التى تقوم – بدورها – بتغليف ما تذره عليه عقليته من اوهام واحلام طائشة كي تنطلي بالصبغة « العلمية » المزيفة.. لكن طلاوتها هذه تزول بمجرد ما ان تصطدم بأي حقيقة تاريخية معبرة عن ذاتيتها بنفسها..

وفى الصفحة 31 يسخر من كل الذين يقولون بان حضارة اوربا عتمدت على حضارة العرب، ناسيا او متناسيا حتى ما كتبه الاوروبيون (24) عن هذا الموضوع بمقاييس عادلة.

اما فى الصفحة 38 فيتعرض للحديث عن الفوبيا السياسية، فيهاجم بعض رؤساء العرب (ممن يطبقون المبدا الذى يؤمن به)!، محددا حديثه عن الاضطهاد الذى لقيه الحزب الشيوعي السوداني.. فاتحا بذلك نافذة اخرى على ساحة الفكر الاسلامي ليتمكن من جديد ارسال المزيد من التهجمات الهادفة على الاسلام الذى ليس له أي دور قيادي فى الوقت الحاضر، لكنه مع ذلك يريد – دائما – ان ينال من كرامته ظلما وعدوانا.. ويحاول جهد ما استطاع ان يظهر هذا الاسلام بمظهر « الغول » الذى يلاحق الناس ليفترسهم.. وهذا ما دعاه الى ان يركب مطية مفترياته لان يصدر « فتوى » غريبة يزعم فيها ان ثمة « تحالفا » بين الاسلام والبورجوازية السياسية، فيقول: « ان اربعة عشر قرنا من القهر الغيبي والقمع السياسي اهانت الجماهير العربية بشكل بهيمي »! ولعل هذه النظرة الزائغة المنحرفة هي التى حملته على مهاجمة جماعة الاخوان المسلمين! الذين يشكلون المنطلق الثوري للفكر الاسلامي.

ان الاخوان المسلمين (25) يمثلون امة الاسلام فى القرن العشرين، واذا كان يحلو لتلامذة

---

(23) راجع ص 30 من نفس المصدر.

(24) من بين هؤلاء الاوربيين نخص بالذكر منهم: الدكتور غوستاف لوبون، والدكتور جيب، والاستاذ اورلوند، والاستاذ ماسينيون الخ..

(25) جدت اجهزة الدعاية العالمية من صهيونية، فصليبية فماركسية فراسمالية امبريالية على ان تستعمل جميع الوسائل الممكنة للنيل من كرامة اعضاء الحركة الاسلامية الواعية فى مصر (الاخوان المسلمين) وتشويه سمعتهم كاتهامهم بانهم: «رجعيون»! و«متزمتون»! و«انتهازيون»! و « مجرمون »!! الى آخر اللائحة مما كانت تردده أجهزة الدعاية فى الشرق الاوسط. (يراجع فى هذا الصدد بالتفصيل كتاب « مؤامرة ضد الاسلام فى مصر » وكتاب « شهداء الاخوان المسلمين امام حبل المشنقة »، وكتاب « لعبة الامم » للامريكي مايلزكوبلند، ثم كتاب الموسم « الشعوبية الجديدة » للكاتب الاسلامي الشاب الاخ محمد مصطفى رمضان).

الاستعمار ، وعبيد الصهيونية العالمية ان يشوهوا سمعة الاخوان ، فلأنهم يريدون الغاء هذا الدين من حسابهم ، وذلك بمهاجمتهم لكل الذين ينطلقون على نهج الاسلام .. الداعي الى اقرار العدالة الاجتماعية الحقة غير المزعومة بين البشرية جمعاء .

والذي يثير انتباهنا — حقا — امام كل ما اثبته المؤلف في كتابه : من تهجم قاذع ، واستخفاف ساخر، وتهكم ماجن ، وتنكر سافر بدين الاله الوحيد (الاسلام) اننا نجده في بداية صفحاته الاولى ، وكأنه يطمئن القراء بلغة المساومات ، هامسا في آذانهم ببعض هاناته الشيطانية ، مدعيا انه سيبني آراءه على اسس منطقية صرف : « وبدون اي شكل من اشكال الاستلاب الثقافي والايديولوجي ، او الرفض التاريخي القومي ، وبعيدا عن اي صورة من صور الانسلاخ الشخصاني ، او التنكر القومي الوطني .. وانما بحثا عن الحقيقة العلمية ، واكتشافا لمميزات شخصيتنا » (26) .

واذا كان المؤلف لا يرى ان ما اعلنه في كتابه من « آراء » !! انسلاخا عن شخصيته ! ورفضا للتاريخ ! وتنكرا للتراث القومي !.. فاي مهزلة هذه .. يركع تحت وطأتها ان كان ممن يبتغون البحث عن الحقيقة الازلية ! .

واي فلسفة هذه .. تخدر بنشواتها وهو دون سن الرشد « الثقافي » كما يجب أن انعته !.

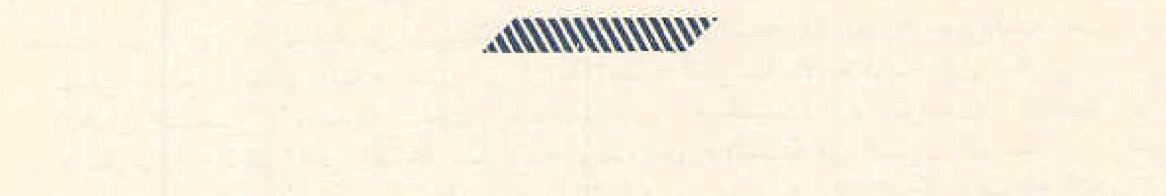
(26) راجع ص 7 من كتاب « أزمة الفكر العربي » .

يخبط خبط عشواء ، ويختفي وراء المغالطات اللفظية ..

الخاتمـــة : وفي نهاية هذا الرد — الذي لم اتمكن فيه من الالمام بجميع جوانب الكتاب — أود ان ألمح الى ان الملحد بطبيعته الشاذة يتنكر لكل الحقائق التاريخية والموضوعية حتى ولو كانت ماثلة امامه .. ويرمي عرض الحائط جميع الاعتبارات التي لا تواكب عقليته الضيقة المحدودة المقاصد ، والتي ترنو الى طبائع الاشياء من خلال زاوية واحدة لا اكثر .. لهذا ارى ان الملحد — غالبا — ما يكون في مستوى دون المناقشة لانه كالحرباء لا يتمتع باي نزاهة ، او رزانة ، او تركيز ، او استقامة ، او عمق ، او وعي الا ما يتشدق به من معان فوضوية غامضة ، الامر الذي يصبح فيه معه يحيا في الغموض ويدافع عن هذا الغموض .. لان منطقه هو منطق الرفض ليس الا . وتلك هي العقدة النفسية ، والعقائدية التي يصاب بها كل ملحد .

ان الفكر الالحادي لا يريد البتة ان يسير في اي منعطف علمي نزيه ، ولا يريد ان يتجاوب مع اي عقلية تخالفه ، لانه فكر شاذ ، متعصب ، يصدر عن اشخاص انانيين ، معقدين ، متألهين ، يعتقدون انهم معصومون من الخطأ ، وان سواهم مخطئون ! بلداء!!.

الربـاط — محمد محمـد النـوري





رايت من الضروري قبل معالجة موقف السنة من الراسمالية ، ان اناقش آراء الاستاذ مكسيم رودنسون حول السنة (1) لأن هذه الآراء مبينة على مغالطات ومزاعم لا أساس لها من الصحة ، ولانها اساس لكثير من استنتاجاته وافتراضاته الباطلة ، ولأنها قبل كل شيء « هجمات » على السنة النبوية الشريفة .

ان الاستاذ رودنسون يعتقد ان السنة مجموعة ضخمة من النصوص غير القاطعة : (ان تعاليم الاسلام مقننة فى وثيقة محددة معروفة هي « القرآن » كلمة الله المنزلة على رسوله محمد ، وفى مجموعة ضخمة من النصوص غير القاطعة هي « السنة ») (2) .

ليس رودنسون اول من يزعم أن السنة مجموعة ضخمة من النصوص غير القاطعة ، ولم يكن بذلك اول من يطعن فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل سبقه الى ذلك كثير من العلماء المستشرقين ، وكثير من المنسوبين الى الاسلام الذين تتلمذوا عليهم بطريقة او اخرى ... كما ان الادلة التي يدعم بها رايه ، ليست بأدلة جديدة ، ولا متفتقة عن عبقريته الفذة ، وانما هي ادلة عتيقة من يراع الآخرين أيضا ! .

على أن الجديد فى آراء رودنسون حول السنة، هو تجميعه لآراء المستشرقين ، وصياغته لها بطريقة مركزة ، تستهدف التشكيك فى السنة النبوية ، والطعن فى رواتها وفى المناهج الاسلامية لمعرفة الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، زاعما ان استعمال المنهاج النقدي الحديث يمكن من الوصول الى نتائج مناقضة لتلك التى يتعارف المسلمون على التسليم بها !

التشكيك فى السنة النبوية :

يزعم رودنسون ان المؤرخ لا يستطيع ان يعتبر روايات السنة ممثلة حقا لتفكير الرسول الا فى أحوال محدودة (3) اذ الواقع هو : (ان هذه الروايات قد دونت على الورق بعد الرسول بقرنين او ثلاثة قرون، وان التاريخ الاسلامي مر بمرحلة لم تكن تعطي هذه السير كبير ثقة) !

ان هذا الزعم لا اساس له من الصحة ، والملاحظات التالية تبين ذلك :

أولا : فالصحيح من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثابت لا جدال ولا نقاش فيه بين المسلمين.

---

1) هذا المقال جزء من دراسة نقدية لكتاب « الاسلام والراسمالية » للعالم الاجتماعي اليهودي مكسيم رودنسون . وقد سبق ان عالجت موقف القرآن من الراسمالية فى مقال تحت عنوان : القرآن والمؤسسات الراسمالية ، نشرته مجلة دعوة الحق المغربية فى عدد يناير 1972 .

2) الاسلام والراسمالية ص 45 ترجمة نزيه الحكيم.

3) الاسلام والراسمالية ص 46 .

وصحيح السنة لا يمثل تفكير الرسول صلى الله عليه وسلم ، لانه ليس من ابداعه ، ولكنه يمثل النهج الرباني الذي ينبغي على المسلمين ان يسلكوه في ظل المبادىء القرآنية !

ثانيا : ان رودنسون حين اقر بوجود روايات صحيحة تمثل تفكير الرسول في أحوال محددة، فذلك اقرار منه بثبوت الأحاديث الصحيحة .. لكنه ناقض نفسه حين زعم أن السنة مجموعة ضخمة من النصوص غير القاطعة ، وحين عاد ليشكك في السنة النبوية اطلاقا ، على أساس ان رواياتها مدونة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام « بقرنين » او « ثلاثة » !

ثالثا : التناقض والتقلب بين النفي والاثبات ، هو دليل قاطع على جهل رودنسون بالسنة النبوية ، وجهله بما صدر عن الرسول حقيقة ، وما وضع عنه ونسب اليه ، ومن المسلم به ان جاهل الشيء لا يصلح للحكم عليه !

الطعن في رواة الاحاديث :

ومن التشكيك في السنة النبوية الشريفة ، ينتقل الاستاذ رودنسون الى رواتها ، فيزعم ان : (القيمة الوثائقية لهذه الروايات تعتمد على سلسلة ترادفها دائما من الرواة الثقاة ، تسند اليهم ، ويعلن آخرهم انه سمع الرواية من آخر ، سمعها بدوره — عبر سلسلة الناقلين المذكورين دائما — من معاصر لمحمد شهدها بعينه أو سمعها بأذنه . ولكن من المستحيل الاطمئنان التام الى هذه السلاسل التي لا ضامن لصدقها في نظر العلم ، بل ان فيها ما يتناقض بعضه مع بعض ، مما دعا المؤلفين العرب في العصور الوسطى الى وسم بعضها بالتلفيق ، والى القاء الشبهات على بعض آخر منها وفقا لمعايير مختلفة) (4) .

هذا الاستدلال «العلمي» كان من الممكن ان يكون له رصيد من الصحة ، ونصيب من الموضوعية ، ولو ان العلماء المسلمين المختصين في علم الحديث ، اطمأنوا الى « الرواة » وحدهم ، دون تمحيص ولا بحث ولا دراسة ، ولم يهتموا بما قد يوجد من تناقض بين « روايات » السنة .. اما وانهم لم يطمئنوا الى الرواة وحدهم ، وكانت لهم « معايير مختلفة » بشهادة رودنسون نفسه ، لمعرفة « الصحيح » و « الموضوع » عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه .. فان هذا الاستدلال ليس له اي رصيد من الصحة ، وليس من هدف له سوى الطعن والتجريح في العقيدة والشريعة الاسلامية .

ومن المحزن حقا ان نجد كتابا منتسبين الى الاسلام ، كالاستاذ أحمد امين في كتابه فجر الاسلام ، والاستاذ محمود ابو رية في كتابه اضواء على السنة المحمدية ... يحاولون اثبات هذا الاتجاه (5) وتدعيمه وتركيزه ، زاعمين ان علماء الحديث تناولوا نقد « سند » الحديث واهملوا متنه ، متناسين ان هذا الراي بعيدين كل البعد عن الحقيقة والصواب ، لان علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا متنه ، وان الجهود التي بذلوها في نقدالمتن لا تقل عن جهودهم في نقد السند ، بل انهم وضعوا ثمانية قواعد لتمييز المتن الموضوع واربعة لتمييز السند الضعيف من السند الصحيح (6) .

المنهج العلمي لنقد الحديث :

ويصل رودنسون ذروة التشكيك في السنة النبوية الشريفة ، وذروة الطعن في رواتها ، حين يدعي بأن المسلمين « يسلمون باحاديث ليست هناك أدلة على صحتها ولا ضامن لصدقها » مقترحا استعمال المنهج النقدي الحديث : (ان المنهاج

---

(4) الاسلام والرأسمالية ص 47 .

(5) يلاحظ على انصار هذا الاتجاه انهم يعترفون بأن علماء الحديث درسوا السنة باتقان، لكن هذه الدراسة في رأيهم كانت موجهة الى السند والى معرفة الرواة والالتقاء بهم والسماع اليهم .. وعلى هذا الاساس يزعمون ان الحديث اضيف اليه الكثير لان رواياته كانت مشافهة ، وهم لا يقصدون بهذه « الاضافات » الاحاديث الموضوعة ، وانما يقصدون صحيح السنة !!

(6) للتفصيل يراجع كتاب « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » للدكتور مصطفى السباعي ، وكتاب « السنة قبل التدوين » للدكتور محمد عجاج الخطيب .

التاريخي الحديث ادق تمحيصا في الاستقصاء ، فلا يمنح ثقته لرواية الا اذا عمت صحتها حجج بالغة القوة ، مما يظل معه نصيب قليل منها — اي من السنة) (7) .

ان استقراء هذه الفقرة يؤدي الى استخلاص ما يلي :

اولا : المسلمون كانوا يمنحون ثقتهم للاحاديث دون ان تكون هناك حجج على صحتها .

ثانيا : هناك نصيب قليل من الاحاديث يمكن ان يكون صادرا عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثالثا : فساد المناهج الاسلامية في التمييز بين الاحاديث الصحيحة والاحاديث الموضوعة .

انهذه الآراء سبق اليها المستشرق اليهودي النمساوي اجنتس جولد تسيهر في كتابه «دراسات اسلامية » حيث يزعم ان القسم الاكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعيللاسلام في القرنين الاول والثاني وانه ليس صحيحا ما يقال من انه وثيقة للاسلام في عهده الاول ، ولكنه اثر من آثار جهود الاسلام في عصر النضوج (8) واخذا بهذا الراي يرى مكسيم رودنسون ان استعمال المنهاج التاريخي الحديث سيجعل الاحاديث : (وثائق صالحة لوصف العصر الذي يمكن ان ترجع اليه ، ووصف العصور التي تلته كدلالات على بعض اتجاهات التفكير وعلى ما كانت بعض التيارات تحاول فرضه من قواعد) (9) .

قد لا يكون من الصدفة ان يكون مكسيم رودنسون واجنتس جولد تسيهر من اصل واحد ..

ولكن الثابت الذي لا جدال فيه هو ان المسلمين لم يغفلوا عن ادق قواعد البحث العلمي في جمع الحديث وتصنيفه ، وان الصحابة وائمة المسلمين لم يكذبوا على الرسول عليه الصلاة والسلام ، فوضعوا ما راق لهم من الاحاديث كما يزعم اعداء الاسلام .

الدراسات النقدية الحديثة :

ويحاول رودنسون في الختام ، ايهام قراء كتابه بأن الكتابات المعادية للاسلام ، التي اتجهت الى التشكيك في السنة النبوية ، والطعن في الصحابة والائمة ليست الا دراسات نقدية تعتمد على المنهاج النقدي الحديث، رغم اعترافه بأن هذه الكتابات تتفق جميعها على مهاجمة السنة النبوية لاهداف صليبية ويهودية والحادية : (الدراسات النقدية التي قام بها العلماء المستشرقون قد احاطت بها الشبهات حتى لدى بعض العناصر التحررية والتقدمية ، واتهمت بدوافع استعمارية وعنصرية للنيل من الدين القومي ، وكثيرا ما كان هذا صحيحا في الواقع ..) (10).

ليس هناك اكبر من اعتراف رودنسون بالحقيقة ، فالمستشرقون على اختلاف نوازعهم ومشاربهم ، استخدموا احقادهم واضغانهم في الكتابة عن الاسلام ، واعتمدوا على اصول فاسدة ، تؤيدهم في ذلك طائفة من اصحاب الاهواء في البلاد الاسلامية ، تعمل على نشر آرائهم ومناصرتها .. بل ان ذلك الوصف ينطبق على رودنسون نفسه . وهو لذلك ينصح المسلمين على عادة اكثر المستشرقين حقدا وعداوة للاسلام : (لا ريب في ان

---

(7) الاسلام والراسمالية ص 47 .

(8) وفي كتابه « العقيدة والشريعة في الاسلام » ص 49 و 50 يزعم ان :

ا — رجال الاسلام القدامى كان لهم يد في وضع الاحاديث .

ب — بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة سمح لاصحاب المذاهب بانتحال الاحاديث لدعم مذاهبهم .

ج — وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الاجانب الذين لا يسلمون بصحة كثير من الاحاديث التي قرر المسلمون صحتها .

د — يصور الكتب الستة بأنها ضم لانواع الاحاديث التي كانت مبعثرة ورأى جامعوها انها صحيحة .

(9) الاسلام والراسمالية ص 47 . وهذا الاقتراح سبق اليه الكثيرون ، ويمكن ان يطبق على الاحاديث الموضوعة وليس على الاحاديث الصحيحة كما يرغب الاستاذ رودنسون ! .

(10) الاسلام والراسمالية ص 46 .

الضغط الاجتماعي هو احد الاسباب التى حالت بين فقهاء المسلمين وبين ان يفعلوا ما فعل علماء اللاهوت الكاثوليكيون (11) فيضعوا نظرية تنطلق من اعتبار الاصل فى الاحاديث الا تكون مطعونا فى صحتها ، فلا يؤخذ منها الا بالموثوق الذى لا شك فيه . فهم لو فعلوا ذلك لصانوا جوهر العقيدة الاسلامية) (12).

لقد انتظر المسلمون السيد مكسيم رودنسون منذ اربعة عشر قرنا ليعلمهم الطريقة التى يصونون بها جوهر عقيدتهم !

لقد انتظروه ليقول لهم ان صحابة الرسول وائمة المسلمين كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقول لهم أنهم بحاجة الى استبدال « اسلامهم » باشتراكيته العلمية ، فليس هناك تعارض فى الاخذ بالاثنين !

هكذا يفسر رودنسون للمسلمين دينهم الذي عجزوا عن فهمه ، واخطأوا فى تفسير نصوصه ؛ رغم انه يجهل هذا الدين ، ويعتمد على آراء ونظريات لم يثبت الا تحاملها وعداؤها وحقدها على الاسلام والمسلمين .

لقد يئس اعداء الاسلام من النيل فى القرآن الكريم ، فوجهوا سهامهم الى السنة النبوية ، ليشككوا المسلمين فى عقيدتهم وشريعتهم ، زاعمين أن السنة أهملت قرنين او ثلاثة قرون ، وانه التبس على الامة وعلمائها حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان المسلمين خدعوا فى عقائدهم وتشريعاتهم بأحاديث موضوعة !

الرباط : عبد الواحد الناصر

---

(11) يبدو أن الاستاذ رودنسون يجيد « حيل » بني قومه .. فمن البلاهة ان يعتقد المرء ان عالما اجتماعيا متخصصا مثله يجهل الظروف المتناقضة التى مرت بها التعاليم المسيحية والاسلامية . فتعاليم المسيح عليه السلام مرت بفترة من السرية والتستر والاضطهاد تفوق القرنين .. اما تعاليم نبينا عليه الصلاة والسلام فكانت شائعة ذائعة صحيحة سليمة منذ اليوم الاول !

(12) الاسلام والراسمالية ص 46 .

الإسلام في مواجهة الفكر الوافد

للأستاذ أنور الجندي

(1)

ان الاخطاء التي توجه الى الاسلام من خصومه انما تقوم على اساس محاولة تطبيق مناهج الاديان الاخرى عليه ، بينما يختلف الاسلام عن هذه الاديان التي يكون قد اصابها التحريف او القصور عن شمول الاسلام وتكامله .

ان معظم الاديان تتقارب وتتشابه وتلتقي فى كثير من مفاهيمها ، لذلك فقد يجد الباحثون من الغربيين فى مفاهيم الاسلام شيئا مختلفا يعسر فهمه عليهم وربما بدا غريبا كل الغرابة .

ذلك ان الاسلام لم يكن مجرد دين ، بل هو طريقة فى الحياة ومنهاجا واضحا عن كل ناحية من حياة الفرد منظما سلوكه الاجتماعي والخلقي والقانوني والديني وهو منهج اخلاقي يربط الحياة الدنيا بالآخرة ، ويربط العقل بالقلب ، ويربط العلم بالعمل .

والتوحيد هو الاساس الاول للاسلام وهو ايضا المحرك الاول العربي الاسلامي وبه تنتفي صور الخلاف والصراع التى تقوم بين العلم والدين ، والروحية والمادية ، وبين الفردية الاجتماعية ، وهو يعلن من شان الانسان ولكنه يجعله دائما تحت ارادة الله وليس فى الاسلام خطيئة اصلية ، ولكن فيه مسؤولية فردية وجزاء اخروي .

فهو لا يقر مسؤولية احد من البشر عن شيء لم يفعله وهو يؤكد قيمة الانسان بصرف النظر عن لونه وديانته .

(2)

وقد رفض الفكر الاسلامي مبدا التقليد ومبدا التبعية

ان التقليد يمنع الاصالة والتبعية لا تتيح معرفة حقيقية ..

والتقليد ينطبق على الوافد وعلى القديم جميعا.

وقد دعا الاسلام الى التفرقة بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية ، وقد نادى بالاهتمام بالاولى والتركيز عليها .

كما عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التاثير الاجنبي ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية التى تستهدف تغيير المعالم الاصيلة لعقيدتهم وفكرهم ومزاجهم النفسي .

ولقد كان اعداء الاسلام يعلمون ان الطريق الوحيد الى ضرب الاسلام هو اثارة الشبهات وطرح الدعوات الهدامة فى طريق وادخال تفسيرات ومفاهيم غريبة عنـه .

ولا ريب ان الطريق الى حفظ وجودنا وكياننا وحماية العقائد والاصول التى تقوم على التوحيد والاخلاق من الشبهات والشكوك التى تلتزمها الفلسفة المادية هو طريق واحد : انه الاستعصام القادر وحده على الغطاء فى حل جميع المتناقضات .

ان الفكر الغربي لا يقدم للمسلمين عوامل بناءة او ايجابية فهو حريص على ان يبقيهم داخل دائرة ضعفهم وتخلفهم ، انما يقدم لهم صراع المذاهب الفكرية ليفتنهم عن قيمهم ، ويمنع عنهم العلوم التكنولوجية التى شاركوا فى صناعتها وهم فى حاجة اليها ..

انهم يعطون ما لا يحتاجون اليه ويمنعون من حاجتهم الوحيدة فى حضارة العرب .

◆

ان وحدة الثقافة العالمية عبارة خلابة ولكنها تخفي في أعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الانسانية ، ومعناها الحقيقي هو سيادة الثقافة الغربية على حضارات الامم ولاسيما الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، لقد ظل كفاح المسلمين مستمرا على مدى الاجيال فى سبيل تحرير الفكر الاسلامي من هيمنة الفلسفات الوافدة والنظريات المادية والوثنية ، حيث لم يستسلم الفكر الاسلامي طوال تاريخه للنظريات الوافدة وقاومها طويلا .

ان اخطر معطيات الفكر الغربي هي الانشطارية:

هذه الانشطارية هي الفصل بين القيم عامة ، بين الاخلاق من ناحية والسياسة والتربية والاجتماع من ناحية اخرى .

واخطر ما فى المناهج الغربية الوافدة انها تتوزع دون ان ترتبط فى تكامل مع الانسان نفسه وحاجته « فترى علماء يدرسون الاخلاق فى عالم المثل ، وعلماء يدرسون الانسان مجردا عن الاخلاق ».

ويرى العلماء ان هذا الفصل واجب ومفيد فى العلوم الطبيعية ولكنه خطر مستحكم فى علوم النفس والاجتماع ، ذلك انه ما دام الناس يعيشون فى اطار مجتمع ، وهذا المجتمع داخل فى نفس كل فرد كجزء اساسي فيه فلا يمكن ان تنشأ قيم خلقيه واجتماعية منفصلة عن الانسان .

(3)

لا ريب ان على المفكرين المسلمين والعرب ان يفكروا بلغتهم ومن داخل اطار فكرهم لينطلقوا فى الطريق الوحيد الذى تضيئه امامهم اضواء التوحيد والعدل على المسلمين ان يعرفوا كيف حطم الاسلام قيد الاغريقية الثقيل وحررهم من منهجها العبودي الوثني وان عليهم اليوم ان يحطموا قيد المادية فى العصر الحديث ، وعلى المسلمين ان يفرقوا بين الاصيل والبديل وان يذكروا دائما ان الدعوات الهدامة تعمل على تقديم البديل الزائف البراق فى مواجهة الاصيل الذى لا يجد طريقة فى زحمة الباطل .

ان تمجيد العقل واعتباره سبيلا واحدا فى البحث ليس منهجا اسلاميا اصيلا وعلى المسلمين ان يذكروا أن هناك ظاهرة انحلال واضحة فى الفكر الحديث كله ، سواء فى الادب او الفلسفة او الاجتماع .

لقد حرر الاسلام المسلمين من ركام الفكر القديم ووثنياته واضطرابه واخطائه فاذا كان فى الفكر القديم اي ضياء من نور فانه انما جاء من رسالات السماء وقد اعاد الاسلام تشكيله من جديد على صورة مضيئة ربانية ، وما سوى ذلك فلا حاجة لنا به .

ولا بد ان يكون هناك تفرقة واضحة بين مفهوم « التخصص » وبين مفهوم « فصل القيم » وتجزئتها ، ان التخصص هو اعطاء « علم » معين او فن معين اكبر قدر من الاستيعاب والاستقصاء ولكن التخصص فى مفهوم الاسلام لا يتم الا فى داخل نطاق التوسع فى الدرجة الاولى من الفكر كله والاهتداء بقوانينه وعلاماته ، اما فصل الاخلاق عن السياسة او عن التربية او عزل الدين عن المجتمع او الادب عن الفكر ، او العروبة عن الاسلام ، او اللغة عن القرآن ، فذلك ليس تخصصا ولكنه فصلا مضيعا لمفهوم « التكامل » الذي هو ابرز ركائز الفكر الاسلامي والذى هو بمثابة الجدار السميك الذى تعجز الدعوات الهدامة والفكر الوافد ان يخترقه ، فالمنهج الاسلامي فى المعرفة يقوم على الثبات والتطور معا ، يقوم على قاعدة الثبات وحركة التطور من داخله

شأنه شأن كل شيء فى الكون له قاعدة يتحرك عليها ولا ينفصل عنها ، وفى الاسلام اهداف ثابتة ووسائل متغيرة : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

ان الدعوة الى التخصص على هذا النحو ليست الا دعوة تمزيق جبهة واحدة وتفريق اصل واحد .

ان مسالة تجزئة المفاهيم فى الفكر الغربي لها طابعها وعواملها ومبرراتها ، ذلك ان الاصول القديمة للفكر الغربي تقوم على الفصل بين القيم واهمها الفصل بين الدين والمجتمع .

(4)

وبعد .. فماذا تعني كلمة « العقائد الموروثة » التى يرددها بعض الكتاب ويلحون عليها : انها كلمة يراد بها الغض من شأن الاديان والقيم الاسلامية ، ولا ريب ان العقائد الموروثة صنفان : اصيل وزائف .

وهي فى اطلاقها دون تحديد نوعها ، انما تريد بالتمويه أن تخدع بعض الناس وان تصور لهم ان العقائد الموروثة كلها زائفة .

والحق ان العقائد الاصيلة غير العقائد الزائفة ، وان هناك عقائد زائفة جديدة هي فى ذاتها نتائج موروثة زائفة ايضا .

ونحن نعلم ان الاسلام حين جاء بالحق انما كان حجة على العقائد الموروثة الزائفة وقد كشف عنها ودحضها فى قوة عن طريق اسلوب الاقناع القائم على العقل والقلب معا .

ونحن نعرف العقائد الاصيلة من العقائد الموروثة الزائفة بوسائل كثيرة ، فلا شك ان كل ما يقدم لنا الاعداء والخصوم زائف مهما بدا بريقه ، وكل ما يتعارض مع فطرتنا ومع روحنا ومع طابعنا ومع قيمنا الاصيلة هو زائف مرفوض .

اما الاسلام وأما حقائقه من التوحيد والقرآن والنبوة والبعث والجزاء فلن تكون ابدا عقائد موروثة على النحو الذى يقصده دعاة التغريب .

(5)

وهناك صيحة تقول (ان البشرية بلغت رشدها) .

فهل البشرية بلغت رشدها حقا ولم تعد فى حاجة الى الدين ؟ هذه هي الصيحة التى تحملها الدعوات الهدامة فى العصر الحديث من اجل التحرر من القيم والمفاهيم التى ورثتها الانسانية من رسالات الاديان والتى هدتها فى دياجير الظلمات وامدتها بالقوة على معارضة الظلم والطغيان والفساد .

ونحن نسأل عن هذه القيم الجديدة التى اغنت البشرية عن هداية الدين ؟

ونبحث فلا نجد شيئا ، ان كل ما تقدمت به البشرية فى القرنين الاخيرين عما كان من قبل لا يزيد عن هذه المعطيات المادية التى منحت الانسان بعض الرفاهية فى المسكن والملبس والطعام والشراب ، ولكن هل قدمت الحضارة او قدم العلم اي اضافة حقيقية فى مجال النفس والاجتماع والاخلاق !

ثم نحن نعرف ان كل هذا التقدم المادي انما جاء على حساب النفس البشرية وضد ارتفاعها وتقدمها الاصيل الذى يقوم على الروح والمادة معا ومن خلال العقل والقلب جميعا .

ان الانسان قد اصبح بالتقدم المادي اكثر حاجة الى هداية الدين واكثر بعدا عن الاصالة والايمان ، وقد كشفت لنا الدعوات الهدامة كالوجودية والهيبية مثلا عن مدى الخطر الذى يهدده وتدفعه الى الغربة والتمزق .

ان الانسان بطبيعة تركيبه (نفسا ومادة) فى حاجة الى هداية من خارجه ، من كتاب الوجود الذى يكشف للنفس الانسانية الطريق الى الحق ، ومن كتاب الله الذي يهدي البشرية الى النور والضياء .

(6)

ثم ماذا تعني صيحة الصائحين الى اعادة النظر فى كل المسلمات وما اصطلح الناس على انه نهائي ومطلق .

الحقيقة ان هذه كلمة حق يراد بها باطل ، فقد اصبحت الوثنيات الآن هي « المسلمات الجديدة » ، اما المسلمات المقصودة عند اصحاب الصيحة فانها لا تتعدى النظر الى الدين على انه نتاج عصر انتهى.

ومن حق السائلين ان يقولوا لنا اي دين يقصدون ؟!

وهل اطلعوا على الاسلام حين عمدوا القول بكلمة الدين ؟

ان حملات ضخمة وجهت الى أديان كثيرة وبعض ما فى هذه الحملات صحيح ، لان هذه الاديان قد تجاوزت بالتأويل مجموعة من الحقائق الربانية الثابتة ، ولكن كل ما يوجه الى الاديان فى الغرب لا يمكن بحال ان يصدق على الاسلام الذى يختلف ، ويتميز فى معطياته وفى تاريخه وفى موقفه من الانسان ومن العلم ، ومن الحياة .

هذا الذى كان عطاؤه لقضايا العلم والانسان والحياة أكثر تقدما.

والحق انه ليست هناك « مسلمات » اصطلح الناس على انها نهائية ومطلقة غير الايمان بالله الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد وليس غير الايمان بالدين الحق المنزل على الانبياء ، رسالة بعد رسالة حتى اتمها الاسلام فكان خاتمها .

وليس غير الايمان بالقرآن كتاب الله المنزل وخاتم رسالاته وليس غير الايمان بالملائكة والنبيئين واليوم الآخر والبعث والجزاء .

فهل هذه المسلمات التى اقرتها الاديان نهائية ومطلقة ام يمكن ان تكون موضع شك او شبهة فى محاولة لاعادة النظر ؟!

ان القائلين بهذه الصيحة انما يريدون ان يعلنوا عن حقيقتهم ، أما فيما سوى ذلك من حقائق فنحن ندعو الى النظر فى المسلمات الباطلة التى يحاول خصوم الاسلام فرضها والدعوة اليها وتزيينها، مثل العلمانية والنظرية المادية والفرويدية والوجودية وغيرها فتلك هي المسلمات الزائفة .

القاهرة ـ انور الجندي

متاعب اليقظة بعد الغفلة

للأستاذ التهامي الوزاني

امامنا قصة اصحاب الكهف ، وامامنا قصة عزير الذى « مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال كم لبثت ، قال لبثت يوما او بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام ، فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير » .. هذه قصة نبي من انبياء بني اسرائيل ، كانت حادثة انسانية من الاحداث القليلة التى تزيد الانسان خبرة وتربط الصوري من الوقائع بالمعاني العميقة التى تهدف اليها : فهي كالتينة تؤكل قشورها وبزورها وزبدها وعسلها ، ولهذا قال الحكماء : ان التين شجرة خرجت من الجنة ، وانها الشجرة التى اكل آدم عليه السلام منها ، ومثلها فى القصص قصة عزير وقصة اصحاب الكهف التى تفيد الحكمة والعبرة بصورتها السطحية ، وبمعناها الرمزي المحتاج الى تامل وتأويل ، زيادة على ما فيها من اعاجيب خرق العادة ، التى تستهوي الاطفال والسذج من الناس ، فهي كالطعام المريء ، والشراب الحلو اللذيذ .

اما معناها السطحي فهو واقعها كما يستفاد من ظاهرها ، ولا غرابة فى ذلك فان الانسان قضى على الارض من الآماد الطوال ما لا يقل عن مليون سنة ، وقد تقلبت فيها الاوضاع ، ووجد فيها من الممكنات ما انقرض بعضه وبقي بعضه : ولو ان الذين سبقونا قبل لهم : ان عالما من العوالم الماضية او المقبلة يستطيع ان ينقل قلب انسان ميت الى انسان مريض القلب هالك لا شك فى هلاكه ، ولا سلامة له الا باستبدال قلبه بقلب سليم معافي ، لكان جواب العامة جواب الفطرة ، اندهاشا واستسلاما وتصديقا . ذلك لان انسان الفطرة قريب عهد بالحقائق لم تفسد رايه فيها الحالات الاجتماعية ، التى تفرض فروضا مفروضة ، منها ما يتلاءم مع الطبيعة ومنها ما ينفر منها ، ولكن المجتمع فرضها وتحمس لها ، غير عابيء بالفطرة ولا بالامكانات الكونية ، وتظل التقاليد والعادات الفاسدة مستحكمة حتى تزعزعها ثورات وثورات ، ثورات ناجحة موفقة ، وثورات فاشلة لم تساعدها الظروف ، ولم تتجمع لها الشروط التى تمهد الانسان الى الاخذ بها ونبذ ما يخالفها من التقاليد ، تلك التقاليد التى ارست قواعدها فى نفوس المستفيدين من تلك الوضعية ، الذين يتأكدون بان الاعتراف بالحق ، والاعراض عن الباطل من شانه ان يضر بمصالحه: فاذا كانت مصالحه الخاصة فى القول بان الشمس كوكب مظلم ، فانه ــ وهو العاقل السميع المبصر ــ سوف يشن حروبا حقيقية ونفسية حتى تبقى شمسه التى يصلحه ظلامها وغض الطرف عن نورها .

ونقول للذين يحملون الحقد لوحدانية الله ، ويحملون الحقد لما لا يعلمونه من العجائب ،

ويحملون الحقد لما يدفعهم الى التامل الهاديء البطيء، والبحث الدقيق ، لانه عمل مضني عسير ، لا يمتطي متنه الا ذوو الهمم العالية ، والصبر على البحث الدائب المستمر ، دون انتظار اية ثمرة ، وانما هو البحث المتواصل الذي لا بد ان يوصل الى ثمرة طيبة حتى ولو كان الباحث يجهل ما يقصد ، نكنه قرر مواصلة السعي ، مثل ما قرره القسيس البريطاني الذى عقد العزم على ان يعرف منابع النيل ، التي كانت عند بعض ذوي الفروض تنبع فى الجنة ومنها تخرج الى الدنيا فتصب فى مجاري النيل حتى يصل الى بلاد الفراعنة : فقصد القسيس منابع النيل عن طريق محاذاة مجرى هذا اليم ، حتى اذا اعترضت سبيله شلالات وغابات ومستنقعات وجبال وفتن واهوال ، داور المجرى حتى توج عمله فى النهاية الى اكتشاف بحيرات فكتوريا ، والبرت ، وتياترا ، فرسم الخرائط ، ورفع الوهم عن البشرية جمعاء ، وقضى على الدجالين والمتخرصين . وهذا العمل الصعب العسير انما قام به رجل لم يخبر احدا بما سيفعله ، ولا بماذا سيقصده ، ولا عرف من اين يبدؤه : وجهله بكل شيء عنه اراه الطريق سهلا ميسورا ، فانه متابعة المجرى الى النهاية ، ولكنه رجل لم يخف ذبابة تسي تسي ، ولا فكر فى آفات الملاريا، ولا فت فى عضده انه سيدخله بلاد قوم فيهم من يستحل أكل لحم الانسان الابيض ، لانه يحسبه بعض الانعام التى لا لوم على من اكلها : كل هذا نسيه القسيس ، أو تذكره ، ولكن ارادته الصادقة دفعته حتى كشف عن حقيقة جغرافية ظل الانسان الابيض آلاف السنين لا يعرف عنها شيئا .

ان ما نعيشه فى الثلث الاخير من القرن العشرين من الاطلاع على السيارة ، والدبابة ، والقنبلة الموجهة ، وزرع اعضاء انسان فى جسم انسان آخر، لا يستثنى من ذلك قلب ولا عين ، وما تعامه من وصول الانسان الى القمر ، وكيف حارب الجراد ، وكيف اكتشف الجراثيم ، وتغلب على التعفن الداخلي بمصل البنيسلين ، وما تتحدث به الكتب والصحف عنها ، كل هذا وغيره ينبغي لنا ان نتوسع فى المعرفة يسيرا ، حتى ندرك ان هذه الحضارة ، ربما ستستمر الى فناء الدنيا ، وربما طال عمر امتا الارض مليونين او عشرة ملايين من السنين ، حدث فى خلالها ما ضاعت معه المعرفة الانسانية جملة وتفصيلا ، وانتقلنا من احسن تقويم ، وتدهورنا فى اسفل سافلين ، وبقيت العجائز عن طريق التوارث تحدث عن الآلات الالكترونية ، وعن السينما والراديو والتلفزيون ، فاذا باطفال العشرة مليون سنة كاطفال اليوم يضربون عن الفطرة ويومنون بعجائب الخلق ، لان عجائب الكون لا تنقضي ، اذا بهم يومنون بالغيب بان السيارة كانت موجودة ، اما المتحذلقون الاذكياء، فسوف يضحكون من هذه الخرافات ، لانها امر لا يصدقه هذا العقل !! وما اسرع ما يتعمد العقل القاصر الانكار ! : ان الايمان والتصديق جهل بسيط سهل علاجه ، اما العناد والنكران فجهل مركب عسير الزوال .

لقد قرا القرآن الكريم احباؤه واعداؤه والمحايدون : وكل ذي راي ثاقب لم يبق له مجال فى تماسك القرآن وصحة الاسس التى يقصد اليها ويقوم عليها . وسيعرض علينا عجائب صادقة ، وهي حقائق لا بد ان يكشف عنها البحث ، فالذين هم من المنصفين يقولون : ان ما تقراه فى القرآن مما تعرفه كل صحيح ، ونقرا فيه ما لا تعرف فلا بد انه صحيح ايضا : اما الانهزاميون فانهم يلقون السلاح من اول لحظة ويستسلمون للصهاينة فى غير مقاومة، ويرضيهم ان يضحك فى وجههم عدوهم لانهم انكروا ما لا يعرفونه ، وحكموا عليه بالجهل ؟. وهل توجد فتاة عاقلة ينظم عقدها على اكمل وجوه النظم ، وترصعه بنوادر تذهل الالباب : فاذا وضعت فى عقدها اللؤلؤي الناصع البياض ، لآلىء سوداء غالية الثمن عند الناقدين ، قالوا : ما هذه القواقع ،وهذه التوابد ؟ فكان اتهامهم عليهم لا لهم ، وللفتاة لا عليها. لان العلم والقياس يحكمان حتى توجد الحقيقة الصرفة، وكلما وجدت او توجد، فانها لصالح القرآن وله لا عليه .

ان امثال قصة اصحاب الكهف وقصة مثل قصة عزير ،لهي من الحقائق البالغة وما وضعت فى مستوى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » حتى كانت حقيقة انسية فى مستوى الحقيقة الطبيعية الموجودة فى جزاء عمل الخير والشر .

ان ايمان المومن ليحمل منه من الثقل ما لا يستطيع ان يستقل به او انه غير مومن ، هذا مع قرب الايمان من الحق ، وهدفه دائما حينما يتصدى العقل لمحاسبة الدين من حيث هو فضلا عن ان يكون هم الدين الاسلامي الحنيف الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ان صورة قصة اهل الكهف تتلخص في ان جماعة من الاصدقاء قرروا الايمان بالله ، ونبذ تأليه البشر والاصنام ، وقرروا مع ذلك مبارحة هذا البلد الضال المصر على الوثنية في اقبح صورها ، وذهب القوم وخرجوا من المدينة ومعهم كلبهم ، حتى وصلوا الى مغارة ، فاستراحوا بها ، وناموا عسى ان يهيىء لهم ربهم من امرهم رشدا ، فأخذهم النوم واستمروا في نومهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا. وكان الغار مستقبل الشمال بحيث لا تدخله الشمس مطلقا مما زاد في برودته حتى صار صالحا لتجميد الذوات الحارة . وقد عهد ان بعض الاحياء تكتم انفاسها ، وتتوقف دقات قلبها ، ويجمد فيها الدم دون فساد او تعفن ، وبعد انقضاء المدة السابقة عادت المنطقة الى الحالة المعتادة ، ولما شعرت الاجسام بالدفء عاد الدم الى الجريان ودفئت الاجساد وعادت الروح الى جسدها بعد ان كانت في عطلة هذه المدة كلها . ولما فتح القوم اعينهم بعثوا احدهم ليشتري لهم طعاما ليتزود بما يغذي القوم لرحلة غير قصيرة ، مع مراعاة الاقتصاد والبحث عن الاقوات ذات الثمن الرخيص : ودخل الرجل المدينة وهو يحسب انه انما فارقها يوما او بعض يوم . في حين انها كانت ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وانكر الرجل كثيرا مما كان يعرف ، وفي مضي ثلاثة من القرون تتغير الاشياء كثيرا ، وحتى اذا كان التغير بطيئا ، فان طول المدة لا ينصرف عبثا .

واما الذي مر على قرية (ويجب ان يفرق بين النص القرآني القطعي وما عداه من النصوص ، كما يجب ان يعطى كل نص او نقل درجته من الخبرية : يقينية في الحديث المتواتر ، وظنية في الحديث الصحيح غير المتواتر ، ثم مرتبة مستوى الطرفين وهو الشك ، ثم الوهم ، ثم مجرد الذكر لاجل ان يعرف انه قد قيل) فانه – اي الذي مر على قرية ومعه حمار وطعام وشراب – شاهد القرية الخالية من السكان ، فقال : كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟. فأماته الله مائة عام ثم بعثه . وقال له : كم لبثت . قال : لبثت يوما او بعض يوم . قال الله له : بل لبثت مائة عام ، فانظر الى طعامك وشرابك اللذين من شأنهما التغير السريع كيف بقيا على حالهما ولم يتغيرا ، واما الحمار الذي من شأنه ان تطول حياته فانه مات في الوقت المعتاد ، وجرت عليه التصريحات المعتادة فتساقط لحمه ، واندثرت عظامه ، على صورة تثبت مرور المائة سنة . وعندئذ قال الذي مر على قرية : اعلم ان الله على كل شيء قدير .

والغرض من هاتين القصتين هو تنبيه الانسان الى ان عامل الزمان المتحرك لابد ان يخلف أثره ، حتى ولو كان الانسان ذاهلا وغافلا : فان فتية الكهف لما بعثوا من يشتري لهم الطعام ، رجع اليهم واخبرهم ان اهاليهم قد انقرضوا ، وان المدينة تغيرت معالمها ، فلما عرفوا انهم كانوا في طي النوم، عادوا الى النوم بعد ان عرفوا ان الدهر يجري بتصرفاته ، الى ان يستيقظوا ليروا آية اخرى ، ومدينة ذات طابع غير الذي تركوها عليه ، وان بها اناسا ليسوا ممن يعرفهم الذي دخل المدينة يوم كان يحيا حياة معتادة ، او الذين وجدهم بعد مرور تسعة وثلاثمائة سنة . ومع ذلك فان التاريخ احتفظ ببعض آثاره القديمة ، وابقى قطعا نادرة في متحفه الرائع، ليدرك الوجود انله نظاما اكبر مما يتصوره ، واعظم من ان يتخذ حوله قراراته الجازمة ، فان من وراء النظام عدة تحفظات ، وكثيرا من الاستثناءات الداخلة في صلب التصميم الاول . وابان الوحي عن بعض هذه الاسرار الموجودة والتي كانت بالفعل ، وسارت على قاعدة خفية لا يعرفها الانسان الذي لم يؤت الا قليلا من العلم .

ان اجدادنا واجدادهم واجداد اجدادهم كانوا يحسبون ان عمر الدنيا يتحدد في الف سنة او اقل.

ويرى اليهود ان عمر الدنيا نشأت الى سبعة آلاف سنة ، وذلك من لدن خلق آدم الى النفخ في الصور ، كان ذلك الفرض قبل وجود الادوات العلمية التي توصل الانسان بواسطتها الى ان عمر الكوكب الارضي نحو خمسة بلايين سنة (خمسة عشر صفرا من اليمين يتبعها رقم خمسة) وعلى مضي هذه الآماد فان الارض لا يظهر عليها شيء من الهرم (يسألونك عن الساعة ايان مرساها، فيم انت من ذكراها ، الى ربك منتهاها ، انما انت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) . ومن حق الانسان ان يبحث كل شيء ، وان يجرب كل شيء ، وما دام يومن بطول الاستمرار، وما دام يومن بالتطور، فان واجب الانس ان يستجيب لما هو مخلوق من اجله وهو عبادة الله الاختيارية عن طريق الدين ، والقهرية عن طريق القيود الطبيعية التي لابد من الخضوع لها : وقد اعطى الانس من الاستعداد ما يحمله على مواصلة البحث . والانقياد

لفروض الاوضاع الحتمية زمانية ومكانية ، وقد أوتي الانسان العقل — والفطرة تكفيه للمحافظة على النوع، كما تكفي العجماوات ؟ فلماذا وجد هذا العقل الزائد على الحاجة التى يتطلبها حب البقاء ؟ ..

ان العقل سجية خاصة بالانسان ، وهو فى غنى عنها من حيث استمرار الوجود ، وانما اوتيها على قاعدة التصميم الالهي الذى هيا لصاحب هذا العقل ان يفهم من أسرار الكون شيئا غير الاحتفاظ بالبقاء: ذلك هو الكشف عن ذخائر هذا الكون، فانها تنفاق على العجب العجاب : وكانت لها نتائج فى الماضي كبساط سليمان ، وتسخير الريح له ، وانتفاعه بأعمال وطاقات الجن ، وفى ايامه كان الانسان على درجة عظيمة من معرفة اشياء عن الخلق ، تختلف فى اصولها اختلافا اساسيا عن القاعدة المتبعة فى عصرنا : وكانت سهلة غير محتاجة الى هذه الاكداس من الادوات العلمية الخفيفة والثقيلة : فان عرش بلقيس استطاع الذى عنده علم من الكتاب ان يحضره قبل ارتداد الطرف : مع العلم بأن ملك سليمان صلى الله عليه وسلم لم تكن فيه هذه الادوات العلمية العظمى، اذ لو كانت لاحتفظ التاريخ ببقاياها وآثارها. ومع ذلك فان علم الانسان وصل عن طريق العلم ، لا عن طريق الجن ، ولا عن طريق النبوءة ، وصل الى احضار عرش بلقيس من سبأ الى اورشليم قبل ارتداد طرف سليمان .

لا نريد من شبابنا ان يظل يعيش داخل القوقعة التقليدية كما تعيش الحلازين ، ولا ان يشكل حول نفسه عالما محدودا وينغلق فيه كما تصنع دودة الحرير : لا نريده يكون ظلا للمفكر الغربي ، فان الحضارة الغربية آذنت شمسها بالافول ، واصيبت بمبادىء داء الهرم ، الذى قد يصل الى بضعة آلاف من السنين ، لكنه سيبيد هذا الشكل الحضاري الأشل ، الذى يفصل الروح عن الجسد ، والذى تسيطر عليه فكرة الانانية وحب الذات . نريد ان يأخذ العالم الثالث يسيرا عن الغرب ، وان يحتفظ بشخصيته ، فان العهود الجادة ، تتمطى لاستقبال حضارة من نوع آخر ، لا يقال عنه انه من اساليب ما قبل التاريخ ، ولا من اساليب القرون الوسطى ، ولا من اهتمامات القرن العشرين . وانما هو عهد يحزننا فى اعماق ذاوينا ، وسنشعر معه بآلام الوصم، المتجلية فى هذه البلبلة الفكرية ، وفى هذا التشاؤم من الحياة ، وفى هذه الهزائم التى يستسلم لها الشباب الحائر الضائع ، هذا الشباب الذى لا يدعي ليكون شبابا رجعيا بائدا منقرضا قبل ان يبدأ المسيرة، لان المسيرات التقليدية مسرعة الى غروبها. وانما عليه ان يتعلم ان منفذا جديدا الى حضارة جديدة والى حياة تختلف كل الاختلاف عما نعيش فيه من ضيق تفكير ، وسوء تدبير ، وسوء ظن بالطبيعة وبانسان اليوم (واستعينوا بالصبر والصلاة) هذه هي الاسس الاولى، وهي تكوين الانسان واستصلاحه ورد ما اضاع من انسانيته اليه ، فقد اضاع نصف بشريته وهي الروح ، وطريق انعاشها الصبر والصلاة ، وطول الفكر ، والانكباب على البحث عن طرق قائمة على اسس الحب العام وفكرة احترام الانسان ، والاجهاز على كل العثرات التى يخلقها الانسان لنفسه ، مضيعا للوقت فى دورات كدورة الرحى ، لا تقطع مسافة ، ولا تقضي اربا .

ان الصبر والصلاة شعاران للعمل الدائب والتضحية ، ولايقاظ الفكر ليربط الروح بالجسد فى سبيل خلق عالم افضل : وانما تفيد الشعارات اذا كانت عناوين صادقة تدل عما وراءها ، والصبر عمل من اعمال الغرائز ومغالبة جانب الخير والعقل لجانب الشر وعاطفته ، كما ان الصلاة عمل من اعمال الجوارح والقلب الذى وظيفته اثناء الصلاة ان يكون خاشعا ، وقيمة السلوك ان يكون اصيلا ، اما سلوك من قبيل المحاكاة الحركية فليس داخلا فى هذا الباب، وحقيق به ان ينظر اليه نظر الوضعيين فى انه لا خير ولا شر ، هو عبث لا يدرج فى قائمة السلوك الجدي ، او ان ينظر اليه نظر علماء النفس الى لعب الاطفال بالنسبة لمن يقولون انه صرف زائد النشاط. ولعل هذه هي الصورة التى ادركها عن الصلاة اولئك الذين يجعلونها رياضة بدنية مفيدة الى حد ما . وعلى الانسان الجاد الذى يقيم الوزن لسلوك اعظم اعاظم المخلصين من الناس وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام أن يفهموا ان الصلاة فى الاسلام شعار يدل على ما وراءه لان الاسلام يقول : منزلة الصلاة من الدين منزلة الراس من الجسد . وهذا امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب الى عماله : ان اهم اعمالكم عندي الصلاة : فمن حافظ عليها فهو مما سواها احفظ ، ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع : ومع هذا الوضوح عن فكرة الصلاة الاسلامية ، فان القوم كأنهم ما سمعوا كلمة فى هذا الباب . اما الصلاة الشكلية المحض فداخلة فيما يحكى عن بعض اهل المعرفة من ان بعض اصحابه قالوا

له : اننا نذكر الله ولا نجد في قلبنا حلاوة ، فقال : احمدوا الله الذي شغل جارحة من جوارحكم بطاعته. حدث العلامة الجليل سيدي عبد الله كنون فقال : كانت امراة تزور دارنا ، وفي مناسبة عرس عادة اهل طنجة فيه ان يقدم الاحبة بعضهم لبعض هدايا مصحوبة بوسائل الاشهار كل على طاقته . قال : فعمدت المراة الى طبقة بشنها (ميدة) وملاتها باغصان النعنع ، واعدت لصحبتها من يزغرد ومن يقوم باشهار الهدية ، وصارت تقول بين الحين والآخر : «القصد هو الهمة ، والله يعلم بما ثمة » ، ويكفي في سلوك العامة متابعة الفكرة ، وعلى العارفين ان يوجهوا الناس ويوجه بعضهم بعضا . والبلاء كل البلاء انما هو في الذين يقولون (انما كنا نخوض ونلعب) وهؤلاء هم الذين يميعون الافكار الجادة البناء، فيجب استصلاحهم بان يتوجه المجموع الى الاعراض عن السخرية والاستخفاف ، وان ينظر الجميع الى كل شيء نظر الوزن الثقيل للاجهاز على المخدرات القولية التي تؤثر على الارادات ، وتفسخ طموح الطامحين .

ان القرآن الكريم يشير الى احداث بالغة الخطورة في ميدان البحث العلمي والفكر البشري : ففيه ذكر بقرة موسى (ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة) (فذبحوها وما كادوا يفعلون ، واذ قتلتم نفسا فاداراتم فيها، والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيي الله الموتى) وفيه ذكر عجل السامري المصنوع من الحلى ثم صار له خوار ، وفيه مسخ الانسان قردة ، وفيه مبلغ تأثير السحر ، وفيه اقامة يونس عليه السلام في بطن الحوت ، ثم خروجه ضعيفا ورجوعه الى صحته وفيه صيرورة النار بردا وسلاما على ابراهيم وفيه ما صنعه السحرة من تخييل صيرورة الحبال والعصي حيات تسعى ،وفيه نزول الملائكة في عدة مناسبات وفيه انفلاق البحر امام قوم موسى ، وفي الاحاديث ظهور جبريل في صورة رجل رآه الناس كلهم .. ذاك جبريل جاء يعلم الناس امر دينهم ، وفيه ظهور جبريل في صورة دحية الكلبي.

وعرفت الجاهلية : القيافة ، والعرافة ، والكهانة، وزجر الطير . ونال اليهود بسحرهم ما كانت عاقبته ان سحروا حتى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقراه جبريل المعوذتين . وهذه وغيرها وغيرها كثير كل ذلك بقية حضارات بائدة ، كانت مظاهرها هذه الشؤون وما شاكلها ، وترجع اسبابها الى ان الاسباب العامة وهي توفر مجموعة من العوامل ، زيادة على مستوى العقل البشري الذي يدخل الذات في الموضوعات . وهذا يدل على ان الحضارات متنوعة ومتعددة ، ومن قواعدها قواعد عامة في كل زمان ومكان ، وفروع تفتقر الى عوامل تفنى ويدخلها الانقراض . ومهما بحثنا هذه الحضارات الا وجدنا فيها كثيرا من ظاهرات انسانية تشير الى نشاط الانس بحقيقته الكاملة القائمة من شطرين مثل ما يقول المناطقة : الانسان، حيوان ناطق . وكل من الجنس والفصل ذاتيان ، ونشاطهما مزدوج . اما الحضارة الغربية المادية فانها حضارة جانبية : تركت النفس والروح وتفرغت للجسد والمادة . فهي سائرة الى انقراض سريع لانها مرهقة من جانب الاندفاع ، وبتراء من حيث اغفالها الجانب الروحي.

وماذا يمكن ان ياخذه العالم الثالث من هذا القفر اليباب ؟ مقابل ان يدفع ثمنه ثروته التي لا تقدر بقيمة ، والتي لا تزال تحتوي على عناصر يمكن منها الانطلاق الى حضارة فتية مقبلة ، قائمة على التعاون بين المادة والروح ، وتضامن انسان العالم الثالث في محافظته على لغاته وجميل عوائده ، وافضل تقاليده .

لكي يؤدي العالم الثالث رسالته مجموعا بعد ان اداها في فترات التاريخ في عزلة بعضه عن بعض ، لكي يؤدي ذلك ، فانه دائب على توحيد اتجاهاته ، ومعالجة نقط الضعف التي اوقعته تحت سنابك الاستعمار والصهيونية : يجب ان نتعلم كل ما بالغرب من عناصر المعرفة ، لان للخير شطرين : معرفة الشر بتفصيل قصد تجنبه وحذر البقاء فيه : ومعرفة الخير قصد التخلق به وجعله الصبغة الواضحة لسلوك العالم الثالث الجديد الفتي . ولن يستقيم حاضر بدون اعتماده على الماضي ، ولا سعادة في المستقبل الا باعداد الانسان اعدادا نفسيا وتقنيا لمواجهة الفترة التالية ، والمرحلة المقبلة من حياة البشرية . وهي فترة كالفترات السابقة في تطورها ، ولكنها تختلف عنها في اسلوب سلوكها . وقد سجل الانس اغلاط الفترات التاريخية ، وعرف كثيرا من عوامل الفساد ، ومن اخبثها الانانية وحب الذات ، واستعمال الاقوياء قواهم في استغلال الشعوب : هذه الصبيانيات لا ينبغي ان تنبت في العالم الثالث وما هو موجود منها لابد من ابادته

برفع مستوى التفكير الى الحد الذى يصبح معه كل فرد متمتعا بكل ما يحتاجه من ضروريات وبعض الكماليات ، بحيث يصبح من المجمع عليه ان الدولة مسؤولة عن تقديم احتياجات الفرد كما هي محتاجة الى استتباب الامن . والخطوات الاولى لابد من الاتفاق على أن أي عمل او ركن من اركان الحياة الاجتماعية لابد ان يدرس دراسة مستفيضة ودائمة واقامة حماة لتطبيق النظم واصلاحها لفائدة الفرد اللا نهائي المستغرق للمواطنين عن بكرة ابيهم : وايجاد ميادين للتفكير ، ومؤسسات لجعل الفكرة تؤدي ثمرتها وتصبح جزءا متمما للحياة، من شانه ان يصرف الانس عن التوافه ، وعن اصرار قوم على غصب حقوق آخرين . والنظام الصالح لا يعيش الا فى ظل انسان واع محافظ على حقه محافظته على حق كل فرد . وكيف تمكن المحافظة على الامن فى مجتمعات مضطربة ، فى وسع انفراد القوى عنها بوجه من وجوه السيطرة العلمية او التقنية او التنفيذية ، واعتبار الجماهير كميات مهملة لا يقام لها حساب ولا وزن ؟ .

من واجب العالم الثالث ان يشرع فى العمل على فهم طبيعة الانسان سالكا فى ذلك اعتماده على فهم الحضارات ودراستها ودراسة اسباب تقدمها وانحطاطها ، فاذا سمعنا قول الله سبحانه (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) ان يداب حتى يتوصل الى العوامل الكونية التى سمحت بموت آلاف من الخلق ، ثم احيائهم بعد مماتهم ، ومواصلتهم للحياة حتى يموتوا الموتة الاخيرة : اما التاويل فانه بين ايدينا فى التفاسير ، التى حاول مؤلفوها ان يفهموا التاريخ البشري كله على انه تكرار ابدي لعمليات محدودة ، لا تختلف فى شيء عن الفترة التى تعرفها ، غير مقيمين لوزن الجوانب الاستثنائية الداخلة فى نظام الكون ، دخلا ليس من قبيل المعجزات وخوارق العادات ، فان الخوارق احدى مظاهر التفنن فى وجوه الخلق والاتقان ، ولن تكون الخوارق على الشيء الوحيد الذى ياتي عن طريق غير معتاد ، فان الخوارق جعلت قاعدة اساسية لعمل مجموعة من الانسان الفاضل وهم الانبياء ومن على قدمهم من الاولياء ، وثم طبقات اخرى من الناس ، عناية الله بها كعنايته باية طبقة من عباده الابرار منهم والفجار ! وفى مقابلة اكرام المقربين بالكرامات والخوارق ، عدالة للفجار بامدادهم بوجوه الضلالات (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمان مدا) : ويهم البحث العلمي ان يعرف كل شيء عن هذا الامداد الذى يتمتع به علماء الضلال ، مثل العلماء الذين انصرفوا لبناء القنابل الذرية ، والاسلحة الجرائيمية ، وما شاكلها من وجوه الفساد . فاستطاع اخوان الشياطين من العلماء الضالين ان يحتكروا نحو ثلاثة ارباع الثروة العالمية تصرف فى وجوه الابادة والهلاك ، والاجهاز على الحيتان فى البحار ، وعلى الصخرة الكبرى الكافة للنار داخل الكرة الارضية ، ويوشك ان يمد لهم فى الضلال حتى يخربوا هذه الارض الجميلة الراقية التى اصدعت عن مخلوقات فى غاية الاتقان من النبات والحيوان، فائت بالنخلة وبالانسان .

افليس من الواجب على العلماء الاخيار ، ان يحاربوا هؤلاء العلماء الفجار ، فيفسدون عليهم شيطنتهم عن طريق تحصين الانسان بسلوك قويم حتى يتكون الجيل الذى قال الله سبحانه فيه لابليس الرجيم (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) : وكذب من قال النار تطفيء النار ، وانما يطفيء النار الماء ، كما نقل عن عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن الماء توعية الانسان المتفتح ، الذى لم تفسده الفرضية والتعصب ، حتى يمتنع عن دفع الضرائب التى تنفق فى ادوات الخراب ، وان يكون بصيرا فى كل حكومة حتى تستعيض عن البارود وادوات الهلاك باستنباط علاجات نفسية وعقاقيرية لتصفية فكر الانسان ، وتوجهه لدراسة الحضارات البشرية ، وكيف اجهزت الخلافات والحروب الناجمة عنها ومن حدة حب المال موت امة كالامة الاسلامية ، وانحطت الى هذه الدرجة من التخلف . وكم هلك من الامم الغابرة ذات الحضارات المتنوعة ، كانوا اشد قوة واكثر جمعا ، فبادوا وانقرضوا ، ولم يبق لنا من نبئهم الا مخلفات فيها عبرة فيما اذا توقف الانسان وتفرغ للخلق والابداع ، وعظة وذكرى للذين يحبون المال حبا جما ، ويندفعون الى جمعه غير مبالين باية قيمة من قيم الانسان ، فاذا بهم صرعى كما صرع اصحاب رؤوس الذهب . الذين قال فى حقهم بعد هلاكهم وتركهم للذهب عملاء عيسى ابن مريم عليه السلام : هكذا عهدي بالدنيا تصنع باهلها .

ان من الخطأ الفادح التفرقة بين الدين والدنيا، والدولة والامة ، والصالح والطالح ، والمهم والتافه ،

فما دام الانسان لن يتحول عن هذه الحالات الا ويجب ادراجها فى حاجات الانسان : ومن بنى القصر المنيف ، لا بد ان يتخذ فيه الكنيف ، وكل التحركات التى لا يستقيم مجتمع بدونها لابد من وضع الحلول العملية للابقاء عليها ، والاحتياط لرفع اضرارها ، كالامراض المعضلة التى تتخذ لها العلاجات ولو كانت صعبة ، وفى نفس الوقت تتخذ الاحتياطات للوقاية منها عن طريق ادراجها فى العمل الرئيسي — وكل الاعمال الرئيسية — مع التسجيل العلمي للاحصائيات قصد ملاحظة الزيادة والنقصان . وكل حضارة تعرض عن جانب من جوانب نشاط الانسان حضارة بتراء ، لابد متزعموها انالبون اعتدوا بنفوسهم الى حد الغرور فجعلوها القياس الوحيد ناسين او متناسين نفسيات ما لا يحصى من الاقليات الانسية التى لها غرائز تدفعهم الى الجهة غير التى يخطط لهم السير عليها ، وتلك فترة لا تغالب ، ومن تجاهلها وحسب ان استعمال العنف يقتلها ، غفل عن ان الفطرة لا تقاوم ، وانه بتناسيهما يفتح الثغرة للتخريب فى نفس اللحظة التى يبدا فيها بالبناء والتشييد ، وهذا الحكم الطبيعي الصارم يوجب ان يتعمم النظام والسلوك الاسلاميان اللذان يحسبان الحساب للامكانيات بنفس الاهتمام المتخذ للاكثرية الساحقة . فما من انسان الا وله فى الاسلام مكان ،وقد وضع الاسلام فكرة العلانية والى جنبها السر . والظاهر والى جنبه الباطن « امرت ان احكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر » ومعنى السرية هنا لا يقصد منه النسيان والاعراض ، بل ان الانسان لا بد له من استخدام غريزة الاستطلاع ، بحيث تكون التقارير السرية عنالاعمال السرية تقارير واجبة خافية داخل اعمال الدولة الادارية فى مجموعها، ثم لها حلول لمقاومة النخر، ومطاردة الفئة التي تجهز على النظام الحضاري المتراص المحكم ، الذى يجعل الانسان ذا ممكنات للاعمال الجادة لا تعرقلها مساعي الخفافيش التى تعمل فى الظلام : ان لها ان تعمل ، واذا لم تعمل تجب اثارتها خشية الانفجار ، حتى يكون نشاطا متحركا دون ان تقع العقيدة عن شروره .

وفى المدينة الفاضلة لابد ان يكون الحاكمون حكماء ، واذكياء غير بله : والبله والبلادة تتضح فى الرجل الذى ساعدته الظروف بقدر ان يفعل آمنا على سلوكه ان تعترض طريقه لانه يملك القوة ، وهذا هو الرجل البليد ، لانه كالنعامة تخفي راسها كي لا ترى احدا ، ظنا منها انها حين لا ترى احدا ، يشمل ان لا يراها احد . وهنا لا بد من تذكار كلمة « من اسر سريرة البسه الله رداءها » ولا بد من تذكار (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر) . اما الحكيم العاقل فيسلك سلوك من يحسب ان عمله فى السر كعمله فى العلانية بالنسبة لاطلاع الناس عليه، فضلا عن اطلاع الله الذى لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ، وانه يطلع على غيبه من ارتضى من رسول : وقد يكون الرسول فى بعض الحالات غير نبي ولا مرسل اليه بوحي ، ولكن عن طريق الحس والظن ومراقبة وجوه السلوك ، وبمواهب ربط الاسباب بمسبباتها .

هذه ملامح تلوح وراء افق فجر الحضارة المستقبلة التى سيكون انسان العالم الثالث فى اولها متعلما مقلدا متحمسا للتقليد ، محتقرا لنفسه، ناسيا انه انسان يجب ان يتمتع باستقلاله ، واخلاصه لقومه ودينه ولغته ! وبعد ان ادرك ان الحرية والمساواة والايخاء ، فى اصطلاح متزعمي حضارة القرن العشرين لا تتناول العالم الثالث ، الواسطة بين القرد والانسان ، وانما يتناول الغرب فى الدرجة الاولى ، والشرق الاشتراكي فى الدرجة الثالثة . وهنا ينتهي الانسان المتحدث عنه . ويأتي دور حدائق الحيوانات، ومجمعها الاكبر الذى هوالعالم الثالث ، الذى جهل انسانيته حتى ظن اعداء الانسان ككل لا يتجزا ان كلمة انسان فى قاموس العالمين الاول والثاني ، مثل ما هو معروف فى المنطق من ان نوع الانسان يشمل كل حيوان ناطق : بل ان منطق الذى يمثلون حضارة القرن العشرين يضيف تعديلا طفيفا ، فتجعل الانسان هو الحيوان الناطق فى العالمين الاول والثاني .

وانتظر العالم الثالث من العالمين الاول والثاني ان يلحقوه بهما ، وفعلا فانهما من لطفهما ضماه اليهما تحت سقف جامعة الامم ، وقالوا ان الناس سواسية كاسنان المشط : ولما كان لابد من تلقين دروس فى الانسانية ، ومن بعثة تعليمية تضحي وتتخذ مقرها فى قلب العالم الثالث ، لتلقن كيف ينبغي له ان يكون تابعا ، وكيف ينبغي له ان يتخلص من قومه ، وينسلخ عن عالمه ليكون ذيلا للعالمين الاول والثاني ، فتكرموا على الصهاينة باحدى حدائق الحيوانات اسمها فلسطين ، واوحى الشياطين بعضهم لبعض ان وجود جماعة من المتحضرين الاكفاء فى قلب العالم الثالث من شانه ان يرفع مستوى الشرق الاوسط ، حتى يرى سكان هذه المنطقة المتعصبون كيف تكون حضارة

الغصب والنهب ، وعدم احترام القيم التي لا تنتسب العالمين الاولين .

ونجد السابقة لا يزال رأي العالم الثالث حسنا في المتحضرين ، لان من شأن الحضارة ان ترفع المستويات الى رتبتها ، كما فعل العرب والمسلمون ايام زعامتهم الحضارية ، فانهم فتحوا جميع الابواب المؤدية الى كامل المساواة في المستوى الذي عليه القادة السادة .

لا يزال رجل العالم الثالث شاكا في قيمه ، ولا يزال فاقدا لثقته بنفسه ، ولا يزال غير مؤمن بثقافته ولغته : ومعنى هذا انه لا يزال يحمل العقد التي اشربها قلبه الاستعمار البغيض ، ولا يزال واثقا من ان الاسلوب المطبق في العالمين الاولين هو الاسلوب الوحيد لرد العالم الثالث لقيمته في نفسه : وشر العالم الثالث يكمن في العناصر التي كونها الاستعمار وزودها بشيء من المهارة ، وسلطها على شعوبها تمتص دماءها وتتحكم في مصائرها : وليس من الانسانية ان يحارب بعضنا بعضا ، فان الدم لا يغسله ، والعلاج هو الاعتراف بذوي الاموال باموالهم ، وضمانة انها ستبقى بيدهم حتى ولو لم يكونوا حاكمين ، ومن الاغلاط ان نقارن بين الثروة والنفوذ ، فاذا كنا راغبين في بناء عالم متماسك فليكن شأن الثراء آخر ما نفكر فيه : وانما الحكم يجب ان يكون لا يهدف الى الانتقام ، ولا قلب الاوضاع ، وانما يقوم على العمل لكي يجد كل فرد عملا يكفيه ضروريات العيش ، مقابل مجهوده في نطاق امة عاملة كادحة كامة النمل ، كل من لا يعمل فيها ليس له حق في الحياة ولا في البقاء ، واذا كان يملك المليارات ، فله ان يؤدي فيها حق الله وحق الدولة ، ثم هي له بشرط ان تروج في أسواق الامة ، وبشرط ان لا يبقى المثري عاطلا ، يقضي ليله على موائد الميسر ، ونهاره وراء الستور نائما : بل عليه أن يبكر صباحا في الساعة الاولى للعمل ، ويظل في عمل مفيد له وللامة كأي مواطن صالح . ثم لا عليه في ذلك ان يملك نصف الدولة اذا ساعدته ظروفه .. ولا خشية من الراسمالية في نظام اسلامي : لان توارث المال على الطريقة الاسلامية من شأنه ان يوزع الثروة ، ويفرقها بين الوارثين ، فاذا جعلت الدولة في برامجها ميزانيات واسعة لاشتراء الاملاك التي تباع في الاسواق بالمزاد العلني ، وان يكون لها حق الضم ، فلن يمضي قرنان من الزمان حتى تصبح الاملاك كلها للامة وللدولة ، وسيصير العالم الاسلامي كله اسما على الطريقة التي طبق فيها منع الرق في السعودية ، التي قامت الدولة فيها باشتراء الرقيق حتى استوعبته كله واعتقته ، وسنت منع رق جديد .. ولغة العالم الثالث ، التي يجب ان توجد بين اهل هذا العالم ، تكون هي لغة اصغر دولة في المجموعة ، وهي التي تكون اللغة الثانية بعد لغة الام ،ولتكن لغة افريقية او اسيوية ، وهي اللسان الذي يستعمله اقل عدد من الناطقين في اطار المجموعة ، وهذا من شأنه ان تكون هذه اللغة ضيقة الآفاق ، لكن يتخذ لها جمع لغوي من المجموعة كلها لترقيتها وتوسيعها حتى لا تعجز امة بأن هذه لغتها .

ان المغرب في عمله على توحيد الاقتصاد بين سائر الاقاليم لسالك مسلك الحضارة في المستقبل التي ستهدم فيها الفروق .. وعمليات السير بالاقاليم الصحراوية نحو تقريب اقتصادي بينها وبين اقاليم السهول الخضراء ، من اجل الافكار واكثرها تقدمية . والسياسة التي تفهم أن الاعتماد على البترول مهدد بالخطر ، سياسة تنظر الى ابعد الآفاق : سيما وقد انتشرت فكرة التخوف من تلوث الجو لكثرة ما يحترق فيه من الغازات البترولية وغيرها ، واخذت تجارب الاستعاضة عن البترول بالكهرباء تطبق بصورة اعطت نتائج مبشرة بنجاح هذه الخطة ، وهذا مهم جدا بالنسبة لعالمنا ودوله المعتمدة في اقتصادها على هذه المادة الحية ، وحتى اذا لم يستغن العالم بالمرة عن البترول ، فانه سيستغنى عن نسبة مرتفعة جدا ، سوف تحدث اختلالا في توازن القوى الانتاجية ، لكن المغرب لا بترول له واهتمامه في الدرجة الاولى انما هو باستصلاح الارض للانتاج الفلاحي بسائر وجوهه ، وعساه ان يدرج في الحساب قضية الاكتفاء الذاتي فيما يرجع لعالم النبات بسائر شعبه وفروعه .

واذا قدر للمغرب ان يتفهم سائر المشاكل بمثل الصورة التي تفهم بها مشكلة التعليم التي اخذت تسير نحو قصد هدف محدد ، واذا اتسع صدره لتقبل بعض وجوه الضغط بمثل الصدر الرحب الذي تقبل به الحركات الطلابية ، فان مستقبل سياستنا القومية سوف يكون — بحول الله — مضيئا واضحا : وعمليات التكوين والتحسين والتجديد بالصورة الهادفة البينة النتائج، لا بد ان يصحبها شيء غير قليل من الضغط كنتيجة حتمية للصراع الضروري الحتمي المتولد عن الرغبة في التخلص من

الركود، وركوب متن الطموح للعمل على خلق مستقبل افضل ، هذه الاهداف المشتركة في جانب ، ومعاكستها من الجانب الذي يرى فيها قواتا لبعض مصالحه هي التي وجهت الامم المتضاربة في التفكير الى فض نزاعاتها دون تدخل الوسطاء ، ودون الالتجاء الى حماقات الحروب ، وهي التي أكدت لهم ان التضحية باليسير الذي يستفيد منه نفس العالم الثالث في قطاع من قطاعاته ، التي تتجاوب مصالحها ، اخف شأنا من تكبد اتعابه ونفقات تقتضيها اعمال العنف ، ثم لا تكون النتائج كما يهوى جانب، لان الجانب الآخر هو بدوره راكب راسه ، ماض في تعنته وزعم الدفاع عن كرامته .. وسياسة المغرب الاقصى في هذا المضمار كانت ناجحة كل النجاح، سواء من حيث ترضية القطر الجزائري الشقيق ، او من حيث قول القائل :

اذا رميت يصيبني سهمي

فان موريطانيا والساقية الحمراء جزء لا يتجزأ عن المغرب ومع ذلك فقد اتبع فيه قول الحريري :

طويته على غره ، وصنت شفاه عن قره

وعن طريق حسن التفاهم عاد قطاع سيدي ايفني الى حضن الوطن في كل هدوء ورزانة . ولن تعجز الحكمة وحسن النوايا ان يحل مشكل طرفاية على الوجه التاريخي الاصيل ، سيما وقد انتهج المغرب في الجهات الصحراوية منهجا على عكس التخطيط الاستعماري الذي فرق في السياسة والعناية بين اجزاء القطر الواحد ، حتى ابقيت المناطق السوسية والصحراوية على حالتها البدوية .. ولولا لطف الله لما ركنت بلاد سوس الى النظام الانفصالي ، ذلك ان مناطق الجنوب كان يحز في صدرها عدم ادراجها في اعمال التحضير الحديثة ، ويسيئها ان تظل في مجالات الفقر التي تحدث عنها ابن خلدون وغير ابن خلدون . وطمحت الى حياة الاستقرار ، والتمتع بشرب الماء البارد النقي الجاري في الانابيب والواصل الى البيوت : وهذه من العقد النفسية الاساسية التي نفرت موريطانيا من مواصلة هذه الحياة البائسة ، وقررت ان تتحول الى عالم متحضر مهما كان الثمن غاليا .

ان العناية بصحراوات المغرب، بالباقي منها معدودا منه ، وتشييد السدود ، والقيام بالاصلاحات الاساسية للحضارة بمفهومها في القرن العشرين ، هو الثمن الوحيد ، والدواء الناجع لكي يفهم المغاربة اجمعون انهم من طراز واحد : ومن يقولون ان الاكثار من تشييد السدود والخزانات من شانه ان يفتت المجهودات ، انما نظر من زاوية واحدة ، وحقه ان ينظر الى العقد النفسية بين الاخوة المتساوين في الاخوة والحقوق والواجبات ، حينما يتمتع ابناء احدى الضرائر بالخيرات ، في حين ان ابناء الضرائر الاخريات لا يجدون حتى الماء البارد يشربونه في فصل الصيف . لكن امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله اشد ما يكون حرصا على التقارب الاقتصادي والاجتماعي والحضاري بين سائر المواطنين : وهذا تخطيطه في توزيع الاقاليم توزيعا عموديا — حسب تعبيره نصره الله — مع الاحتفاظ بوضعياتها الافقية ، من شانه ان يرفع من مستوى الاقاليم المختلفة نوعا ما ، لتدنو من الوضع النسبي انعام ، وهذا معناه ان الاقاليم الواسعة الثراء عليها ان تضحي نوعا ما في سبيل استكمال الوحدة الوطنية بسائر مظاهرها ، فاذا وصل الفرق الى عشرة او عشرين في المائة ، فان التغلب على هذه العقبة يصبح من الميسور والمقدور عليه فاذا اضفنا الى مؤازرة الاقاليم الفقيرة بضمها في النطاق الاقتصادي للاقاليم المترفة ، اذا اضفنا الى ذلك هذا المجهود الضخم المبذول في المناطق السوسية والصحراوية ، ووجدنا ان هذين العملين يقومان في تاريخ واحد ، امكن ان نفهم الابعاد البعيدة الواسعة التي يعمل في نطاقها هذا العقل الموهوب الجبار الذي يتمتع به ملكنا سدد الله خطاه : اذ من حق انسان الفقر والقفر ان يأسف ويحزن حينما يسمع ويرى ويلمس ان انسان الترف والخير والخمير يحسب ثرواته بالمليارات بعد ان تجاوز الملايين ، في حين انه لا يزال يطمح الى الآلاف فلا يدركها الا ذوو الحظ العظيم .

لعل الأزمات التي نعانيها عنيفة ، والتي تتكرر (في كل عام مرة او مرتين) تعلمنا ان لا نعود الى غسل الدم بالدم ، فقد عهدنا الناس يتحلون بذكر الثورة ، ويذكرون ان اصلاحات من غير ثورة ضرب من ضروب المستحيلات ، ويقصدون بالثورة غير الموصوفة الثورة الحمراء حتى اذا ما خطر اهم وازع ينفث في روعهم ان الفتنة اشد من القتل ، سموها بالثورة البيضاء . وهذه الكلمات الغامضة لا شك انها صادرة عن تفكير غائض ، ونشاط غير مهذب الاطراف والحدود ، وقد قام رجال التاريخ بحركات

واسعة النطاق دون ان يسموها بالثورة وانما شاع ذكرها عند الثورة الفرنسية التى حدثت فى فترة تعفن ، اي عمل اصلاحي يترتب عنها فانه عمل صالح بالنسبة لما كان عليه الوضع من ترهل وبلاء ، سواء فى الكنائس او القصور ، وبين رجال الجيش ورجال العلم . وادت الثورة مهمة انسانية جعلت العالم يعيش عيشة أفضل مما كان عليه قبلها ، ولم ينج من داء التضخم حتى هذا اللفظ، فقد ابتذل ورخصت قيمته بين أسعار القيم ذات الجدوى والجدية ! ان كلمة ثورة من الكلمات غير الخالدة ، فقد احدقت بها ظروف الفناء ، ككلمات الديمقراطية، والمساواة ، والحرية ، والاخاء ، واصبحت اللغات الى لفظ جديد قوي يعبر عن عواطفها ، ويصدر آلامها وآمالها ، ويحق ان يأخذ نصيبا غير قليل من نضالها وكفاحها ضد التخلف . وفى سبيل مقررات نهائية من الا نسان ان يتمتع بحقوقه على كل حال ، وقد فتح غاندي باب العصيان المدني ونهى عن العنف واستعمال القوة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل) : يريد رجال اصلاح المجتمع عن طريق قتل اقوال ، وتعذيب اقوام ، ومحاكمات لآخرين ؟ ومن يدري ؟ فقد تتبدل النزعات نزعات وينسى الناس الاسباب ، التى قد تكون كافية فى البطش وقد لا تكون ، ولكنهم لا ينسون العنف والشدة والقسوة . وهذا جنكيزخان له اسبابه ومبرراته التى منها الاعتداء على رجاله وسلبهم اموالهم ، وقد يكون ظن ان اعماله التاريخية البغيضة انه كيل صاع بصاعين او آصع ، لكن التاريخ نسي الاسباب وسجل المجازر البشرية التى جعلت من الانسان وحوشا ضارية لا تملك قلوبا ولا عواطف ، وانما هي آلات التخريب والهدم والدمار . وبين حين وآخر من فترات التاريخ يكشر نوع من الانسان عن انياب الفهود والذئاب ؛ ويغلب الطبع التطبع ، فاذا باليهودي المتواضع الهادىء ينقلب الى كلب عقور لا يختار اين تقع انيابه . وانا لفي شك من احاديث بعض الاقدمين الذين ذكروا ان الثكلى تعطف على الثكلى ، وان المصاب بالم ضرر يكون اكثر الناس شفقة على الذين يصابون بذلك الداء : فان اليهود ذاقوا مرارة الاضطهاد من عدة شعوب ، الا الشعب العربي الذى ضمهم الى صفه ، ونقلهم من معاملة محاكم التفتيش فى الاندلس ، واسكنهم بالمغرب وغير المغرب : فكانوا مكلومين مصابين ، وكان العرب وحدهم هم الذين آووهم وحموهم ، وتركوهم يستولون على الاموال ، حتى اذا وجدوا اول فرصة جعلوا هدفهم العرب حيثما كانوا ، وكذبوا علم النفس القائل باثارة غرائز الخير ، واستبان ان حضارة القرن العشرين ، حضارة الحروب والاستعمار بدلت الانسان ، وحققت فيه (فجعلنا منهم القردة والخنازير) .

هذا الحماس الزائف يجب ان يصرفه الشبان فى لعب كرة القدم ، حتى اذا هدات اعصابهم واشبع بعضهم بعضا لكما ورفسا ، فكروا فى حالة البدوء فى زيادة من معاهد تكوين الانسان والسعي فى تزويده بما يسهل عليه مأمورية الحياة الشاقة العسيرة ، ونحمد الله الذى امتن على المغاربة برزانة رائعة، حتى اذا هبت زوبعة اجتماعية فكروا واطالوا التفكير ، وقرروا ادخال الاصلاحات اللازمة على الجوانب التى لا تزال خارجة عن نطاق الاصلاحات الضرورية لعالم متخلف صادق العزم على ان ينفض عنه غبار التخلف عن طريق البناء لا عن طريق الهدم ، وحتى اذا فكر فى البطش راجعه ضميره ، لان البطش سيكلف البلاد ما لا تطيقه ويجعلها يمنا اخرى تقع فى شمال القارة الافريقية .

ان الطفل يلبس جلابية خاطها له ابوه وهو ابن سبعة اعوام ، وكانت فضفاضة ، وفى السنة الثامنة صارت قياسه ، وفى التاسعة ضاقت ، وفى العاشرة اصبح لابسها مثلة بين الاقران ، وكان الطفل رضيا راضيا ، ولكن الحاح القرناء عليه واستخفافهم به فرضت عليه ان تكون له جلابية اخرى باي وجه كان ، فاما ان يخيطها له ابوه ، واما ترك الخروج واعرض عن المدرسة ، واما استعارها ، فاذا كان الاب له عدة ازواج ، وقد انهكه العمل عن التفكير ، وهذا جعله اصم لا يسمع نداء حتى الواجب عليه، واذا تذكر انه مخل بالواجب على كل حال ، اخلالا قسريا لا اختيارا ، فصرخ الطفل وتبعه الآخرون ، فاذا كان الاب عاقلا تدارك الموقف ورضي الابناء ما دام فى وسعه ان يفعل . وكذلك يفعل التاريخ ، وهذا ما توحيه الاحداث الجارية فى العالم الثالث الذى استيقظ بعد نومة ضعف نومة اهل الكهف ، فلما تكشف له الامر تذكر قول الله سبحانه (جيئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة) !. وتقول الكتب القديمة : ان الشجرة التى اكل منها آدم كانت شجرة من طعم منها ادرك معنى الخير ومعنى الشر، فوجد آدم نفسه وزوجته عاريين بعد ان كان حصل

على الوعد (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى) . وعرف ـ لانه اصبح عاريا ـ ان عراءه ناتج عن تلاعب الشيطان ، الذى اطمعه فى الخلود لو انه اكل من الشجرة (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) : لكن آدم عرف وجه المخالفة ، وعرف وجه التوبة ، فتاب .. وعرف مضرة العراء ، (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) فكان خصفه انطلاقة بدأ بها عمله الانساني بما فيه من تكاليف له ولذريته معه او من بعده .

اننا ابناء آدم وقد شعرنا بوجوه النقصان ، وحاولنا التقليد فاخفقنا ، لان الذين نقلدهم أصبحوا يعتمدون فى حياتهم على اجهزة غالية الثمن ، وحتى السباحة فى الماء لم تستطع مجاراتهم فيها : لانهم يتمكنون من التنفس ، ويستطيعون ان يتقوا شدة البرد بملابسهم المطاطية ويبصرون بنظارات ، ويجهزون على الاسماك بالحراب او القذف ، واذا كانت الظلمات الثلاث كانت لهم مصابيح ، اما الرجل الوسط فى العالم الثالث فانما يسبح بالتبان ان وجده !.. فكيف لا ينهار !..

ان المشكل امامنا ، والوقت شديد السرعة لا يمهلنا حتى للتفكير ، فلنحل المشكل بالمشاكل ، وننشد قول ابى نواس :

وداوني بالتي كانت هي الداء

وكل مشكل نثيره لا يهمنا ، فاما ان يضحي بعضنا فيخلص البعض الآخر ، واما ذهبنا كلنا جبناء مقرنين فى اصفاد الوهم الذى خلقناه لنفسنا بنفسنا ، ونحن مجموعة هائلة اذا تضامنا تضامن الحمامة المطوقة والجرذان ـ فى قصة كليلة ودمنة ـ سلمنا كلنا ان شاء الله !. ونود ان نفهم المشكل وان حله هو ان نغامر فى المجهول من اجل حياة وغد افضل ، سواء فيها الرؤساء والمرؤوسون، وبتضامننا يزداد الرؤساء مجدا ، ويزداد الشعب قوة وعزا . ومن أوليات الاجهزة العتيدة التى تساعد على النهوض : الايمان بالله ، وثقتنا بنفسنا . وواضح ان الثقة بالنفس تحتاج الى العمل فى جو من الثقة والوضوح ، وهذا يفرض جهازا من الاعلامات لتحصل التوعية الكاملة ، وكل مجهود ومال يبذل فى باب التوعية فانه يخلق لنا عالما ثالثا من الوعاة المومنين، على اساس الصدق ، وان تكون الانباء تشرح لنا حال الحاكمين واهل الثراء ، وتذكر تضحياتهم بأموالهم وانفسهم وافكارهم ومهاراتهم وحيلهم وحبهم الشامل واخلاصهم ، واذا عدنا الى نظام تعديد المنافقين وسرد اعمالهم دون ان يلحقهم اذى ولا سجن ، ولا غمط فى حق بشري ، مثل ما كان شان المنافقين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فان ذلك يجعلنا فى حل من كثير من الصعوبات لم يكن الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذون سجنا لا فى مكة ولا فى المدينة ، مع علمهم به ، لانه مذكور فى القرآن (فلبث فى السجن بضع سنين) (رب السجن احب الي) ومع ذلك فان صراحتهم اغنت عن السجن وسائر وجوه المتابعات والاضطهادات : بحيث كان المنافق آمنا على ماله ونفسه وعرضه ، والشيء الوحيد الذى يكرهه هو الذى يصلح المجتمع وهو ذكر الحقائق الثابتة عن تصرفاته ضد الوطن وضد الامن ، دون مرافعات ولا مراجعات . ثم باب التوبة مفتوح على مصراعيه دون اثارة لاحقاد الماضي ، وحتى الاطفال عليهم ان يفهموا ان المنافق لا يعامل بسوى الاعراض عنه حتى اذا نظموا جماعة المنافقين ، وثبت مخالفتها للمصلحة العامة لا يزاد على منعهم من معالجتها ـ ولتذهب الحريات الكاذبة الى الجحيم ـ ولما اخذ المنافقون يأوي بعضهم الى بعض فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتبادلون النكث امر صلى الله عليه وسلم باخراجهم ، فاخرجوا سحبا ، ولم يزد الامر على ذلك . ثم بنوا لهم مسجدا خاصا ، وهم لا يتعرفون الا ضد الحركات المؤدية الى مجد الوطن والعرب والناس كافة ـ أذن الله وذم هذا المسجد ، ولم تكن التسمية حصنا كافيا للابقاء عليه ، بل سمي مسجد الضرار فقال تعالى (الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون ، لا تقم فيه ابدا) ، فهدم مسجد الضرار ، اما بناته من المنافقين فلم يصابوا فى ابدانهم ولا فى اموالهم ولا فى حياتهم وحقوقهم الاجتماعية كلها ، التى مقياس الحق فيها عدم الدس ـ الا ان تكون هفوة وبيضة الديك ـ فيعفى عنها كما وقع العفو على حاطب بن ابي بلتعة ، وانما الاصرار والعناد والادمان على العمل لغير صالح الوطن ذلك ما يجب اعلانه واثارته فى المجامع والبرلمانات مع اعطاء الفرص الكافية لبيان وجهات النظر فان ذلك من الدين ، وما اعتذر منافق لرسول الله صلى الله

عليه وسلم الا قبل عذره ، ولا طلب منه حاجة مما يطلبه منه المسلمون وتعطاهم الا واعطاها ، وحتى راس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول لما مات فانه صلى الله عليه وسلم صلى عليه واذن بان يكفن في قميصه ، ولما سئل عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم : وما يغني عنه قميصي ؟ انه لا يغني عنه من الله شيئا . ولم يترك الصلاة عليهم حتى نزل قول الله سبحانه (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) . وكان ذلك من آخر ما نزل ، لانه بعد غزوة تبوك .

ان النمو في بلد تختلف اقاليمه بعضها عن بعض اختلافا شديدا ، فمنه سهول خصبة ، وجبال قاحلة ، وعوائد متحكمة متباينة ، ولهجات متنوعة ، ليتطلب في عهد الوحدة الوطنية الكاملة مجهودات وذكاء وتضحيات . واذا كان الماضي يستر بلدا عن بلد واقليما عن اقليم ، بحيث لا يعرف الامور على ما هي عليه الا السلطة التي تربط بين هذه الاجزاء فان المواصلات المعاصرة وتقريب المسافات عن طريق البريد المنظم ، والحافلات الغادية الرائحة . فاذا زار رجل الاقاليم القاحلة المتاخرة اقليما مزدهرا ، تحلبت شفاهه وسال لعابه ، ونسي طبيعة البلاد وارجع الفرق الى ارادة الحاكمين الذين يؤثرون بعنايتهم جانبا على جانب، وفريقا على فريق ، وان لفقد النفس نشاطا كنشاط السموم الزعاف ، ولهذا فان الشعور الكامل بالوحدة الكاملة يتطلب مهارات وعلاجات نفسية دواؤها صرف القناطير المقنطرة لمواجهة التذمر والامتعاظ ، اضف الى ذلك ما اذا كانت الاقاليم الغنية تزيد على ثروتها المادية ثروة ثقافية ، وقد ادرك العاهل الكبير هذه النقطة من الضعف ، فعمل على تعميم التعليم ، ورفع مستويات الاقاليم المتاخرة لحفظ التوازن نسبيا ، ولو كانت مظاهر الحضارة الاولى في عهد الاستقلال، لكانت المهمة اسوا اما وقد سلك الاستعمار في المغرب سلوكا حسيا اهون تكليفا ، فانه عمليا صير المغرب طرائق قددا ، فاقتص من اطرافه اوسعها بقاعا ، واختصر القطر اختصارا ، وقسمه الى بلاد عرب وبلاد بربر ، وشكل دائرة رئيسية تشمل القنيطرة والرباط والدار البيضاء وفاسا ومراكش ، فهذه المنطقة احدث فيها من الاصلاحات ما يضمن المرافق لاكثرية المستعمرين الذين يستقر اغلبهم في حيز هذا النطاق ، وابقى ما وراء ذلك مجردا من كل مظهر من مظاهر التقدم ، واقطعه المراقبين واعوانهم من القواد يتصرفون كما يشاؤون ما داموا يحفظون امن، وياخذون الجبايات لجيوبهم اولا، وللسلطة الاستعمارية ثانيا .

وفي الشمال حيث كانت دائرة طنجة مفصولة عن الادارة المغربية ، وتدار ادارة دولية ، وفي مناطق الشمال حيث كانت الى نظر الاسبانيين ، كانت التوعية كاملة ، واستقلنا مع المغرب في اوقات متقاربة ، واخرجت المشاكل التنظيمية راسها ، واشراب الموظف في الشمال الى اجور كاجور الجنوب، لان طبيعة الوحدة توجب هذه التسوية ، وتم هذا المطلب ، وادمج موظفو الشمال في جملة موظفي المغرب ، وكان الاجراء الذي لا مندوحة عنه تجميد الترقيات الى اليوم الذي يستوي فيه الميزان على أساس هذه الوحدة الغير المتكافئة تجهيزيا واداريا واقتصاديا ، ولكن الحكومة المغربية صبرت صبر الكرام وقامت بالعبء رغم ثقله ، ثم جاءت قضية تعميم التعليم ، فامر امير المؤمنين مولاي محمد الخامس رضي الله عنه بتعميم التعليم في سائر رحاب المغرب على صورته التي هو عليها ، مع جعل مراتب التعليم الابتدائي والثانوي والعالي كل ذلك مجانا ، زيادة على احداث منح واقسام داخلية لهذه المراحل كلها ، وكلما تمكنت الحكومة من حل مشكل مالي جابهت مشكلا قسريا آخر الى غير نهاية . وفي نفس الوقت كان من الضروري ان تؤسس في جميع الاقاليم مؤسسات ادارية واجتماعية واقتصادية على غرار مؤسسات الرباط والدار البيضاء ، وبينما الحكومة في تأسيس الاسس الاولى اذا بالاقاليم السوسية والصحراوية تشكو الاعراض والاهمال ، فتستجيب الحكومة ، وتتقاضى عن التجهيز كما ينبغي أن يكون ، وتقوم باحداث ما في طاقة البلاد الجبائية ان تعتمده ، وجاءت عمليات السدود وهي العلاج الناجع في سبيل التنمية لان المغرب ليست له امكانيات بترولية ولا معدنية تعتمد في النفقات الكبرى ، وقد ابره العامل المغربي ، والتاجر المغربي ، والاستاذ المغربي عن نشاط الى حد الاعجاب .

قاد هذه الحملات المعقدة الصعبة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله، في اعسر الاوقات، فكان المجلي والسابق ، اما الاقاليم الغنية فقد شعرت بالتضحية وما تكبده من مشقات اولى : ولا ننسى الضغط الخارجي ، ومعاكسات الاستعمار لامتداد نشاط

العالم الثالث ، واخترعت الدسائس مشكل فلسطين لتصد به العرب عن التفرغ للتنمية ، والسرعة في مضمار التقدم .

على انسان العالم الثالث ان يفهم كل هذا ، وعلى حاكم العالم الثالث ان يزداد رحابة صدر واستجابة لتنفيذ الرغبات ، اما العنف ووسائله الهجومية والدفاعية فان كل ذلك من شانه ان يثقل كاهل البلاد ، ويصرفها عن البناء ويشغلها بالهدم ، اما الحكم فانما لك او لاخيك او للذئب ، وعلينا ان نعيد الى الاذهان كلمة المعتمد ابن عباد ، حين قيل له : ان ابن تاشفين سوف يسيء اليك ، فقال : رعي الابل احب الي من رعي الخنازير .

على كل من الشعب والحكومة ان تواصل الجهود حتى تتم وحدة البلاد الكبير في احسن الظروف ، وعلينا ان لا نحكم اعصابنا في عقوتنا ، وعلى الذين ياكلون من جرف ويشربون من غدير ، ان يطوعوا ويتذكروا اولئك الذين لا زالوا يطمعون في لقمة عيش ، وجرعة ماء ، وبالجملة فان الاخلاق الانسانية تكون خير ارصدتنا لمجابهة هذا الموقف الفرد في تاريخنا ، وهذه هي الفرصة الثمينة التي علينا ان نهتبلها لسد فتوقات التاريخ . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

تطوان — التهامي الوزاني

تصويبات

وقعت في مقال (الدعوة الى الاسلام) للاستاذ سيدي عبد الله كنون المنشور بالعدد الثالث من السنة الخامسة عشرة اخطاء مطبعية نرجو ان يصححها القارىء الى صوابها ونحن نعتذر للاستاذ الجليل وللسادة القراء المحترمين عن هذه الاخطاء التي كثيرا ما تشوش على القارىء مقاصد الفهم ، وتفوت الغرض من مقصود الكاتب وهي كما يلي :

في العمود الاول : بانه ، الصواب فانه

بمن دونهما ، الصواب فمن دونهما

في العمود الثاني : ذلك هو الله ، الصواب ذلك هو السر

في العمود الثالث : وهو الذي جعل ، الصواب هو الذي جعل

في العمود الرابع : هو مما يقيم الحجة ، الصواب هو مما يقيم الحجة

قد دفعوا الاسلام ، الصواب قد دمغوا الاسلام

واتاحوا الفرصة للمشي بين المسيحيين ، الصواب للمبشرين المسيحيين .

كانت الدعوة بالقدرة والعمل ، الصواب ، بالقدوة والعمل .

في العمود الخامس : احجار واشجار ورسم ، الصواب احجار واشجار ورمم .

كما وقع في مقال (الدكتور زكي محاسني في ذمة الله) خطأ في الابيات العينية ، في قافية البيت الرابع فجاءت هكذا : تضيق مشاعره ، وصوابها كما لا يخفى تضيق مشارعه ، جمع مشرع ، وفيها ايضا في قافية البيت السادس : يارعه بالياء والصواب بارعه بالباء الموحدة . وجاء في اول العمود الاخير من هذا المقال : ان في جوابي ، والصواب أن جوابي .. وشكرا .



في الرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

للاستاذ توفيق علي وهبة

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .

(صدق الله العظيم)

– العنكبوت آية 46 –

تمهيد

لم يسلم الاسلام منذ بدايته من حملات ضالة، لتشكيك المسلمين فى معتقداتهم وصرفهم عن دينهم ، وتفكيك وحدتهم . ولكن فطنة المسلمين وعلماء الاسلام الذين تصدوا بكل حزم لهذا الغزو الاستعماري لدينهم ، ردوا هؤلاء المفترين على اعقابهم خاسرين خاسئين ورغم ذلك فلا يزال هناك الكثير من الحاقدين على الاسلام يروجون ويرددون ما سبق أن زيفه غيرهم وايد الله لهم من أفحموهم بالحجج والبراهين ، واظهروا بطلان دعواهم وكذب مزاعمهم .

ومنذ وقت قريب نشر احد رجال الدين المسيحي كتابا عن تاريخ الكنيسة (1) تعرض في بعض صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الامور المتعلقة بالرسالة الخاتمة وتتلخص مفترياته فيما يلي :

1 – ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس نبيا وانما هو رجل ذكي ذو افكار وقادة جمع كثيرا من التعاليم التى كان يسمعها من العامة والخاصة بالشام عندما سافر اليها للتجارة بعضها من الكتاب المقدس وبعضها خرافات . وحفظ بعضا منها ودون بعضها الآخر فى مذكراته ثم اضاف اليها ومزجها بتصوراته وكون منها القرآن .

2 – طلب العرب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم باعجوبة سماوية فلم يستطع .

3 – كانت الدعوة الى الاسلام فى باديء الامر بالحسنى ، وعندما اشتد ازر النبي انقلب الى عكس ذلك ، وتصوير الغزوات على انها سلب ونهب وتنكيل وعدوان .

(1) الكتاب هو : الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة – قام بطبعه القس ارسانيوس المحروقي احد رهبان دير العذراء مريم بالمحرق عن النسخة الاصلية للاسقف الانبا ايسيذورس عام 1964 . ومودع بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ن 4642 / 4643 / 4644 / 4645 / 4646 . وهذا الايداع سنة 1967 .

4 ـ جعل النبي قبلة المسلمين الى بيت المقدس مراعاة لخاطر اليهود فلما قويت شوكته نقض هـذا الامر وجعل وجهة المصلين الكعبة ، والادعاء بانه صلى الله عليه وسلم مدح الاصنام .

5 ـ الادعاء بان المسلمين تفرقوا بعد موت النبي لانهم كانوا يريدون ان يقوم من الاموات كما قام المسيح ، ولما لم يقم تفرق كل واحد الى قبيلته.

6 ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم رغم تسليمه بان الكتاب المقدس كتاب الهي الا انـه انكـر أشهـر قضاياه التي يتوقف الخلاص عليها وذلك كتثليث اقانيم الله وعمل الفداء وهي كفارة المسيح التى انكرها بتاتا .

تلك هي اهم نقاط التشكيك التى وردت بالكتاب المشار اليهعلاوة على بعض الخرافات التى الصقها بالفاتحين وبعض الولاة المسلمين على مصر نرى انه لا شان لها ولا تستحق الرد عليها (2)

ورغم ان تلك الدعاوي التى يلصقها هـذا الكتاب بالاسلام ليست بالحديثة ولا بالاولى من نوعها لانه قد سبقه اليها كثير من المستشرقين والحاقدين امثاله ، ورغم ان هذه الخرافات التى يتقول بها لا تقوم على اي دليل علمي او مادي ، كما نود اهمالها وعدم الرد عليها ولكن نظرا لان هـذا الكتاب قد طرح ونشر على الملا ، فقد رأينا انه لابد من الرد عليه لنفند ما احتواه من تلك المفتريات والمزاعم ونلقم هذا الحاقد حجرا ، لا خوفا من تشكك المسلمين فى دينهم ، فان المسلمين ـ ولله الحمد ـ اقوى من ان يتشككوا فى كتاب الله وفى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لنبين لهؤلاء الذين اضلهم بغضهم للاسلام وتعصبهم الاعمى ضده فصاروا يتقولون ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أقول لنبين لهؤلاء ولكل العالم حقيقة هـذا التشكيك وبطلان هذه المزاعم ولنوضح لهم ايضا هذا الغزو الفكري الجديد الذى جاءنا هذه المرة من داخل بلادنا . وما كنا نود ان يكون بيننا من يحقد على دين الاسلام ويعمل علنا على هدمه والتشكيك فيه .

ونحن لا نمنع الكاتب وامثاله ان يكتبوا عن دينهم وان يمجدوه . فلهم كافة الحرية فى الدين والاعتقاد بشرط الا يؤذوا غيرهم وان يدعوا الى الله ـ ان ارادوا ـ بالحسنى والا يتعرضوا للآخرين فى دينهم ومعتقداتهم .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

واوضح بداية انني لم اقصد بهذا الرد الا بيان الحقيقة والحقيقة وحدها . فالحق واضح لكل ذي عينين (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) .

«فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم»

واود قبل ان ابدا فى الرد على النقاط المشار اليها ان اناقش سؤالا هاما يتصل مباشرة بموضوعنا وهو : هل من حق اي انسان ان يكتب ما شاء ويهاجم او يشكك فى معتقدات الآخرين ودينهم خاصة ولو كان هذا الدين هو دين الدولة الرسمي ؟؟

ينص الدستور على ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام . كما ينص كذلك على حرية الاعتقاد ، وهذين النصين غير متناقضين لان الاسلام لا يجبر احدا على اعتناقه وانما يترك امر ذلك للاقتناع الحر بلا ضغط او تعصب .

وعلى ذلك يكون النص على ان الاسلام دين الدولة من النظام العام الذى لا يجوز مخالفته او المساس به ، وكل من يقوم بعمل من شانه الاخلال بالنظام العام او مخالفته ان يلقى جزاءه ، وفاقا لما قام به من عمل غير مشروع . فمحظور على جميع المواطنين على اختلاف دياناتهم وفئاتهم مخالفة هذا النظام العام او محاولة هدمه .

فاذا ما جاء احد المواطنين وحاول الاخلال بالنظم والقواعد التى يقرها الدستور ويؤكدها فمن الواجب ان يحاكم وان يلقى ما يستحقه من عقاب على ما اقترفه من اثم ضد الدولة التى تحميه وتؤويه .

(2) استدل الكاتب ببعض الآيات القرآنية فى طعنهللاسلام وان كانت هذه الآيات لا تؤيده بقدر ما تدينه ولذلك لم يذكرها صراحة واكتفى بكتابة ارقامها للتضليل والتشويه .

ومن أخطر الامور أن يقوم شخص او أشخاص مهما كانت شخصياتهم او دياناتهم بمهاجمة دين الدولة الرسمي او التشكيك فيه سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة او غير مباشرة . وسواء أكان ذلك بطريق النشر او الاذاعة او غيرها من وسائل النشر.

وقد يقول قائل ان ذلك من حرية الفكر ..!! حقا ان حرية الفكر مكفولة ولكن في الحدود التي لا تسمح بالاعتداء على حقوق الآخرين ... فاذا ما جنح الفكر واعتدى على حق الغير فيكون قد تخطى حدود حريته ، فكل حق يقيد بعدم الاعتداء على حقوق الآخرين « وانت حر ما لم تضر » .

وعلى هذا يكون مؤلف هذا الكتاب وناشره قد ارتكبا جريمة يجب ان يقدما من اجلها للمحاكمة العادلة ، وعلى النيابة العامة كممثلة للمجتمع ان ترفع الدعوى ضدهما حماية لمعتقدات الامة وصونا لدينها من عبث العابثين ومفتريات الحاقدين ..

الفصل الاول

محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله والقرآن وحي الله وكتابه

يقول الكاتب ، 91 ج 2 ما نصه : (ان محمدا صاحب الشريعة الاسلامية ومشترعها ولد في شبه جزيرة العرب في الحجاز بمدينة مكة من قبيلة قريش سنة 569 وقد تيتم من والديه وهو في سن الخامسة من عمره فرباه عمه ابو طالب وعلمه التجارة والاسفار واول اسفاره كان وهو في سن الرابعة عشر يسافر مع نفر من قبيلته الى الشام . ولما رجع اخذته ارملة غنية تدعى خديجة فصار يتجر لها ثم تزوج بها وكان ذكاؤه الطبيعي مفرطا وافكاره وقادة وفي اثناء تردده الى سوريا وفلسطين عاشر كثيرين من النصارى واليهود وخالط عامتهم وخاصتهم وسمع تعاليم كثيرة لهم بعضها من الكتاب المقدس وبعضها خرافات كانت تلهج بها العامة فكان يعلق ذلك في ذاكرته ومذكراته ولما بلغ سن الاربعين سنة كان قد حفظ شيئا كثيرا من تلك التعاليم الصحيحة والكاذبة ومزجها بتصوراته ولعدم وقوفه على مصادر التعاليم الصحيحة وهو الكتاب المقدس لما اراد ان يدونها زاد فيها ونقص وغير وبدل كما يعلم ذلك من قرا حوادث الكتاب المقدس المسرودة في القرآن . ومن ثم قصد ان يظهر بمظهر نبي امام العرب لا سيما عرب قريش وكانوا عبدة اصنام فاستعظموا تعليمه وجزعوا منه واقترحوا عليه ان يؤيده باعجوبة سماوية فعظم عليه الاقتراح ولم يجد مناصا منه سوى الاعتذار التافه والاحتجاج الفارغ بعد ايمان السالفين بالعجائب وان الله ارسله وزوده بالوحي فقط لارشاد الناس وهدايتهم) .

(صورة الانعام آية (37) والاعراف آية 202 والرعد آية (8) وبني اسرائيل آية (62) والعنكبوت آية (49) .

هذا مايقوله الكاتب مشككا في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم وعدم مقدرته على الاتيان بمعجزة كالانبياء السابقين .

وليست هذه المفتريات بجديدة ــ كما قلنا ــ ولكن سبق الكاتب اليها كتاب مسيحيون ــ ومستشرقون حاقدون امثال « جولد تسيهر » المستشرق المجري الذي سبق ان ردد نفس هذه الاقوال التي لا تستند على اي دليل علمي ولكنها مفتريات لا يراد منها وجه الحقيقة وانما تنم عن الحقد على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ولم يبين الكاتب سبب رفضه لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم ، فاذا ما كان ينكر نزول الوحي من السماء البتة فقد كفر برسالة عيسى عليه السلام حيث نزل عليه الوحي ، اما اذا كان ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبد لنا لذلك سببا .

واذا كان يستند في الاساس على ان النبي صلى الله عليه وسلم خالط كثيرا من المسيحيين في الشام واخذ عنهم اقوالهم وحفظها ودونها في مذكراته فاقل تكذيب لهذا انه صلى الله عليه وسلم كان اميا ولم يكتب او يقرا حتى يكتب مذكرات . اما عن مخالطته المسيحيين في بلاد الشام فكانت مرات

ذايلة لا تسمح له بحفظ اقوالهم او نقل معتقداتهم . ولكن المؤكد والثابت ان السيد المسيح عليه السلام خالط اليهود فهو اصلا من بني اسرائيل وحفظ عنهم وتعلم منهم ولم يقل احد بان الديانة المسيحية كانت نقلا مما حفظه او تعلمه في البيئة التي عاش فيها خاصة وانها لم تكن نقضا لرسالة موسى عليه السلام بقدر ما كانت تتميما لها . يقول السيد المسيح عليه

السلام « ماجئت لانقض بل جئت لاتمم » ولولا ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت نبوة عيسى وموسى عليهما السلام لارتاب الناس كثيرا فى رسالتيهما ولكن اعتقاد المسلمين فى الديانتين اليهودية والمسيحية نشأ عن اعتقادهم فى الاسلام الذى امرهم بضرورة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وحكى لهم بعضا من رسالة هؤلاء الانبياء والرسل فلو جاء بعض المشككين ليبثوا سمومهم ضد رسول الاسلام فانما يهدمون بذلك سندا كبيرا لهم وتدعيما عظيما لاثبات نبوة نبيهم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ولقد بشر الكتاب المقدس على لسان موسى وعيسى عليهما السلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ومع تسليمنا بأن معظم ما فى الكتاب المقدس قد تناوله التبديل والتغيير ولم يبق منه الا القليل الا انه بقيت اشارات كثيرة تبشر بالرسول المنتظر لم يفطن اليها الحاقدون فلم تمتد اليها يد التغيير .

ونورد فيما يلي بعضا من ذلك :

اولا : التــوراة

1 ــ جاء فى سفر التثنيــة : جاء الــرب مــن سيناء واشرق لهم من سعير وتلالا من جبــل فاران 33 / 3

وسيناء اشارة الى رسالة موسى عليه السلام حيث كلمه الله ، وسعير اشارة الى فلسطين حيث بعث الله عيسى عليه السلام ، وفاران جبل بمكة اشارة الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة .

2 ــ وفى سفر التثنية ايضا : أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي فى فمه فيكلمهم بما اوصيه به 18 / 18 .

وهذا دليل على ان الله سوف يوحي الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكلام من عنده فينقله الى امته .

3 ــ وجاء فى سفر التثنية كذلك : يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون 18 / 15 .

4 ــ وفى سفر حبقوق : الله جاء من تيمان . والقدوس من جبــل فــاران . سلاه جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته 3/3، 4

ثانيــا : الانجيــل

1 ــ يقول عيسى عليه السلام للحواريين : ان لي امورا كثيرة ايضا اقول لكم ولكن لا تستطيعون الآن ان تحتملوا واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية : « انجيل يوحنا 16 / 12 ، 13 .

وفى ذلك اشارة الى الوحي الذى سينزل على محمد صلى الله عليه وسلم واعجاز القرآن الذى يخبر عن امور سوف تحدث .

2 ــ ويقرر المسيح ايضا : قال لهم يســوع : أما قرأتم قط فى الكتب . الحجــر الــذى رفضــه البناءون هو قد صار راس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك اقول لكــم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثمــاره . (متى 21 / 42 ، 43) .

وفى ذلك اشارة الى انتقال الرسالة من بني اسرائيل الى امة آخرى هى امة محمد التى يقول عنها الله سبحانه وتعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

انجيــل برنابــا :

يقول انجيل برنابا صراحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة ، ولكن المسيحيين لا يعترفون بهذا الانجيل على الرغم من اكتشاف مخطوطات وجدت حديثا فى الفيوم وداور سيناء عام 1958 واحد هذه المخطوطات كتب بمعرفة القديــس مرقس وتؤيــد الكثير من انجيل برنابا .

يقول برنابا على لسان السيد المسيح : « فلما كان الناس قد دعونـي الله وابن الله على اني كنت بريئا فى العالم اراد الله ان يهزأ الناس بي فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني انا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطيــن بي فى يوم الدينونــة

وسيبقى هذا الى ان يأتي محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله».

ويقول المسيح ايضا : « لان الله سيصعدني من الارض وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل احد اياي ومع ذلك فانه لما يموت شر ميتة أمكث ذلك العار زمنا طويلا فى العالم . ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة وسيفعل الله هذا لانني اعترفت بحقيقة مسيا (يعني رسول) الذى سيعطيني هذا الجزاء أي أن أعرف اني حي واني بريء من وصمة تلك الميتة » .

تلك هي بشارات الكتاب المقدس بالنبي المنتظر ولكن الحقد أعمى قلوبهم فانكروا بعثته وعارضوا دعوته وصدق الله سبحانه وتعالى « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

القرآن يؤكد بشارات الكتاب المقدس :

اكد القرآن الكريم ما جاء بالكتاب المقدس كما اكد بشارات موسى وعيسى عليهما السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

1 – « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين » (سورة التين) ففى هذه السورة يقسم الله سبحانه وتعالى بمهابط الوحي الثلاثة فالتين والزيتون تشير الى فلسطين حيث ولد وبعث السيد المسيح ، وطور سينين حيث كلم الله موسى والبلد الامين وهي مكة المكرمة حيث ولد وبعث خاتم النبيئين محمد

وهذه الآية تطابق ما جاء على لسان موسى « جاء الرب من سيناء ، واشرق لهم من سعير وتلالا من جبل فاران » .

2 – « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » آل عمران آية 44 .

3 – ويقول الله سبحانه وتعالى على لسان المسيح عيسى بن مريم « واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد » الصف آية 6 .

يقول الامام الخازن فى تفسير هذه الآية ان الحواريين سألوا المسيح عليه السلام : « يا روح الله هل بعدنا امة ؟ قال عيسى : نعم امة احمد .. حكماء .. علماء .. ابرياء .. اتقياء كانهم فى الفقه انبياء .. يرضون بالله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل » .

وهذه البشارة الواردة على لسان عيسى بسورة الصف تطابق بشارته كما وردت بانجيل برنابا وانجيل يوحنا .

4 – « الذين يتبعون النبيء الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل » (الاعراف آية 157) .

5 – « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » (المائدة آية 15) .

6 – « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا ، واليك المصير » (البقرة آية 258) .

7 – « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » (المائدة 11) .

8 – « فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » (المائدة 92) .

وهناك الكثير جدا من الاشارات الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة نكتفي بما اوردناه .

السنة النبوية تؤيد بشارة المسيح :

ومما جاء بالسنة النبوية الشريفة مؤيدا لقول المسيح عليه السلام المشار اليه عن الحجر الذى رفضه البناؤون قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه واجمله الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت

هذه اللبنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : فانا اللبنة وانا خاتم النبيئين » (رواه مسلم عن أبي هريرة) .

وروى الامام احمد عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « انى عند الله لخاتم النبيئين وان آدم لمنجدل فى طينته » .

لقد قدرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق آدم عليه السلام كما انه دعوى سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وبشرى سيدنا المسيح عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى على لسان ابراهيم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عنهما وهو ممن قرا التوراة :

ان هذه الآية التى فى القرآن : (يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) قال : فى التوراة : يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب بالاسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح وان يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا: لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا .

كما يروي ابن هشام ان عيسى عليه السلام ذكر لفظا فى تبشيره بالنبي المنتظر يفيد ان هذا النبي هو محمد فقال : « ولكن لا بد ان تتم الكلمة التي فى الناموس .. فلو جاءنا المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس . فهو شهيد علي وانتم ايضا » ويقول ابن هشام المنحمنا بالسريانية ـ محمد ـ وهو بالرومية البرقليطس .

ذلك هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، بشربه النبيئون من قبل وذكر عندهم فى التوراة والانجيل كما ذكر فى القرآن الكريم ، وتلك ادلة سقناها من كتبهم لدحض مفترياتهم أفبعد هذا ينكرون نبوته وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم او اشد ؟!

وليست دعوى انكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم او دعوى انكار القرآن بجديدة ، وانما نشأت مع الدعوة نفسها ، وباستقراء حوادث التاريخ نعرف مدى ما لا قاه محمد صلى الله عليه وسلم من الاضطهاد والتعذيب فى سبيل نشر دعوته. فلو كانت الرسالة ملكا لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن عنده لقبل مغريات زعماء قريش عندما أغروه بالمال والجاه والسلطان ليتنازل عن دعوته ويجاريهم فى معتقداتهم . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم رفض كل هذا . فما كان يطمع فى شيء من ذلك وانما هو رسول الله ونبيه ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . فلم يقبل عرض قريش بأن يكون ملكا عليهم ، ولو كان كما يدعي المفترون انه يريد ملكا لما تحمل الايذاء والاضطهاد ولارتضى ما قدمه له اهل قريش وعاش مترفا سعيدا . وانما هي الرسالة وهو المبدأ وهي الامانة التي حملها والتي هيأه الله لها .

لقد عرضت السيدة خديجة رضي الله عنها امر النبي صلى الله عليه وسلم ـ عندما نزل عليه الوحي ـ على ابن عمها ورقة بن نوفل وهو رجل نصراني تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن عمي اسمع من ابن اخيك . فقال له ورقة : يا ابن اخي ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة : هذا الناموس الذى كان ينزل على موسى . يا ليتني فيها جذعا ، ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اومخرجي هم ؟ » فقال : نعم ، لم يات احد بمثل ما جئت به الا عودي . وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا » .

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اسلم على يديه عبد الله بن سلام وهو حبر اليهود وسيدهم وعالمهم ، أسلم عندما سمع من الرسول ما جاء به من الهدى والنور والقرآن العظيم وشهد بنبوته ورسالته . فقد روى البخاري عن انس ان عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه يسأله عن اشياء فقال : اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي . ما اول اشراط الساعة ؟ وما اول طعام يأكله اهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه ؟ فقال : « اخبرني به جبريل آنفا » قال ابن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : « اما اشراط الساعة فنار تحشرهم

من المشرق الى المغرب . واما اول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة ماء الرجل نزعت الولد » قال : اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله . قال : يا رسول الله : ان اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل ان يعلموا باسلامي فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قال : خيرنا وابن خيرنا ، وافضلنا وابن افضلنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « افرايتم ان اسلم عبد الله ابن سلام » قالوا : اعاذه الله من ذلك . فاعاد عليه فقالوا مثل ذلك فخرج عليهم عبد الله فقال : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا : شرنا وابن شرنا .. وتنقصوه . فقال هذا كنت اخاف يا رسول الله .

تلكم شهادتان لاكبر رجلين في عصر النبوة يمثل احدهما النصرانية ويمثل الآخر اليهودية اعترف كل منهما بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقا رسالته .

كما ان هناك شهادة بحيرى الراهب الذى شاهد محمدا صلى الله عليه وسلم وهو صبي عندما سافر مع عمه فى تجارة الى الشام فلما رآه الراهب وشاهد غمامة فى السماء تسير فوقه تقيه حرارة الجو وتميل معه حيثما مال ورأى خاتم النبوة في ظهره ، اوصى عمه ان يحافظ عليه من اليهود لانه النبي المنتظر وان علمت به اليهود ناله منهم سوء وشر عظيم .

يقول الكاتب الانجليزي « كارليل » عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انه لا يمكن ان يكون محمد كذوبا فانه ان كان كذلك فلا يستطيع ان يأتي بمثل هذا الدين العجيب والله ان الرجل الكاذب لا يستطيع ان يبني بيتا من اللبن اذ لم يكن عليما بمواد البناء على اختلاف انواعها . فما بالك بمواد بناء صرح شامخ البنيان مدعم الاركان مثل دين الاسلام الذى ظل على قوته وعظمته قرونا طوالا » . ويقول مستشرق آخر هو «هـ . ج ويلز» : « ان من ادفع الادلة على صدق محمد كون اهله واقرب الناس اليه يؤمنون به فقد كانوا مطلعين على اسراره ولو شكوا فى صدقه لما آمنوا به » .

وصدق الله سبحانه اذ يقول : (أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس ، وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم . قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) . « يونس آية 2 » .

صلى الله وسلم عليك ياسيدي يا رسول الله ، افبعد ذلك ينكرون نبوتك ؟ (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) صدق الله العظيم « آل عمران آية 64 » .

الفصل الثاني

القرآن الكريم كتاب الله ومعجزة نبيه

يقول الله سبحانه وتعالى : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده » ويقول : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ويقول جل شأنه : « ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » .

ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى أوحى القرآن الكريم الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يبلغه الناس كافة مبشرا بدين الله داعيا الى توحيده وعبادته ومنذرا من يخالفه ولا يتبع ما جاء به بعذاب اليم .

يقول « سيديو » عن القرآن : لو وجدنا هذا القرآن فى فلاة ولم نعرف من جاء به لعلمنا انه من عند الله .

لقد جاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لتخاطب العقل والبصيرة فى الانسان فهي لا تعتمد على الخوارق التى جاءت بها الديانات السابقة على الاسلام حيث ان تلك الديانات جاءت فى عصور لا يؤمن فيها الانسان الا بالخوارق غير العادية . اما وان الافكار قد تغيرت وعقول البشر قد تحررت ... وبما ان الاسلام الدين الخاتم لرسالات السماء فكان لابد ان تكون معجزته خالدة باقية على مر السنين يلمسها كل باحث عنها او طالب لها . ولذلك أيد الله سبحانه وتعالى نبيه ومصطفاه محمدا بالقرآن الكريم .

والقرآن هو كلام الله المعجز المنزل على نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم والمنقول الينا متواترا بين دفتي المصحف الشريف لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه موعظة من الله وشفاء لما في الصدور (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم » .

ولقد اوضح القرآن في آيات كثيرة انه منزل من عند الله سبحانه وتعالى نذكر منها :

1 ـ قوله سبحانه وتعالى (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) .

2 ـ وقوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) .

3 ـ وقوله جل شأنه : (الر ، تلك آيات الكتاب المبين ، انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) .

4 ـ وقوله سبحانه : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) .

5 ـ وقوله سبحانه وتعالى : (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) .

6 ـ وقوله جل شأنه : « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن هذا القرآن نزل من الله سبحانه وتعالى وحيا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضمير المتكلم دائما مسند الى الله جل علاه . والخطاب في هذه الآيات موجه للنبي صلى الله عليه وسلم . فلا يعقل ان يكون القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم ويكون ضمير المخاطب موجه اليه نفسه !!

لقد تقول المتقولون منذ الرسالة المحمدية بان القرآن من ابداع محمد ولكن القرآن شجبهم ورد كيدهم في نحورهم . يقول سبحانه وتعالى في سورة النجم :

« والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى، علمه شديد القوى » .

وتحدى القرآن اهل الكفر والشرك ان يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يستطيعوا فطلب منهم الاتيان بعشر سور مثله : (وما كان هذا القرآن ليفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ، أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) . فلما لم يستطيعوا طلب منهم الاتيان بسورة فعجزوا عن الاتيان حتى بآية واحدة فسبحان الله عما يافكون ... يقول الله سبحانه وتعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) وفي هذه الآية يتحدى المولى عز وجل المعاندين ان يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي يشكون في صحته ويزعمون أن محمدا قد جاء به من عنده ، كما يقرر الله تعالى انهذا القرآن لايمكن ان يفتريه احد أو يفترى جزء منه لما فيه من الاعجاز الذى ميز الله به كتابه فالله سبحانه هو الذى انزل هذا القرآن وانه حافظه الى يوم الدين « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ويقول جل شأنه : « أم يقولون افتراه ، بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) .

ان القرآن العظيم جاء مصدقا للاديان السماوية السابقة ، ويؤكد الكثير من تفاصيل التوراة والانجيل ومصححا ما حرف أو بدل منها ، كما اهتم بشرح وتفصيل الحياة الاخرى وما فيها من عقاب وثواب .

ولقد تلقى المسلمون القرآن بالشرح والتفسير ولم يجد فيه العلماء والراسخون الا التناسق والائتلاف

فهو يفسر بعضه بعضا ، لا تعارض بين نصوصه ، ولا اختلاف بين احكامه . وما يظنه الجاهلون تعارضا ما هو الا نصوص عامة تقيدها نصوص خاصة ، او آية مطلقة تفسرها آية مقيدة فسبحان الله وتعالى علوا كبيرا عما يقولون . واما القول بان هناك اختلاف بين الحوادث المذكورة بالقرآن والمذكورة بالكتاب المقدس فالحقيقة ان الكتاب المقدس لم يصلنا عن نبي الله موسى اونبيه عيسى عليهما السلام ، وانما دون بعدهما بسنين عديدة . وزاد فيه المدونون واضافوا اليه وكتبوا باسلوبهم ما حفظوه من اقوال انبيائهم فالاضطراب والاختلاف بين القرآن والكتاب المقدس ليس ناشئا من القرآن وانما الاختلاف ناشيء اساسا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لما اضيف اليه من تعاليم رومانية ومصرية قديمة .

وفي اعتقادي ان الاختلاف الذي يتقول به الكاتب يقصد به الاختلاف في شخصية المسيح حيث يقرر القرآن انه رسول الله اختاره من خلقه كمثل باقي الانبياء وانه بشر مؤيد بالمعجزات، بينما يرى الكاتب وامثاله بانه ابن الله او هو الله ذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ان ما يعرف بعقيدة التثليث (الأب والابن والروح القدس اله واحد) قد ابتدعه محررو الكتاب المقدس وان ذلك ليس من الديانة المسيحية التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام (وسوف نتكلم عن ذلك في حينه ان شاء الله تعالى) .

واود ان اشير هنا الى المخطوطات التي اكتشفت حديثا بجوار البحر الميت والتي يقول عنها الدكتور و. ف. البرايت : « انه لا يوجد ادنى شك في العالم حول صحة هذا المخطوط وسوف تعمل هذه الاوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية » .

وهذه المخطوطات القديمة تعطي صورة واضحة عن الكتب القديمة التي حرفتها الكنيسة او كذبتها . ولقد قررت هذه المخطوطات « ان عيسى كان مسيا المسيحيين وان هناك مسيا آخر » ويقول الدكتور القس تشارلز فرنسيس بوتو في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكتشف) ص 127 : « لدينا الآن وثائق كافية تدل على ان المخطوطات هي حقيقة هبة الله الى البشر لان في كل ورقة تفتح تأتي اثباتات جديدة على ان عيسى كان كما قال عن نفسه ابن الانسان اكثر منه ابن الله كما ادعى ذلك اتباعه وهو منه بريء » وهذا الكلام يطابق ما جاء بالقرآن الكريم : (يقول الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما كان ينبغي لي أن أقول ما ليس لي بحق، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) .

وهكذا ينكر المسيح عليه السلام ما قيل عنه انه اله او ابن الله ويبقى وزر ذلك على من ابتدعه ، لقد جاء عيسى عليه السلام بدين التوحيد . ولكن المعروف ان هذه العقيدة تحولت الى عقيدة التثليث في مجمع نيقية عام 325 تحت رئاسة الامبراطور قسطنطين الذي غير الدين الذي جاء به ابن مريم ووضع ما حلا له من الآراء ونسبها زورا وبهتانا الى رسول الله عيسى ، وحاشا لله ان يقول عيسى ما لم يأمره به ربه . . .

والقرآن الكريم كما يقول عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيه نبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم ، وخبر ما بعدكم. وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تلتبس له الالسن ، ولا يزيغ به الاهواء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم يلبث الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم » .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » .

(صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الفصل الثالث

المعجزة

هل عجز الرسول عن الاتيان بمعجزة :

ان القول بأن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم الاتيان بمعجزة فعجز عن ذلك قول

مردود . فقد ايد الله سبحانه وتعالى انبياءه بمعجزات وخوارق تناسب الزمن الذى ارسلوا فيه . وحيث ان رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات ، ويعلم الله سبحانه وتعالى انه سيأتي عصر مثل الذي نعيشه يحقق تطورا علميا وتكنولوجيا لا تجدي معه الخوارق الحسية خاصة وان البشر العاديين استطاعوا الوصول الى القمر واختراع الآلات العجيبة وصدق الله سبحانه اذ يقول : « ويخلق ما لا تعلمون » علم الله سبحانه ذلك فكان من الضروري ان يمد نبيه ومصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزة خالدة تبقى مهما تغيرت الظروف او تغيرت الازمان شاهدة على صدق الرسالة ووحدانية الخالق فأوحى اليه سبحانه وتعالى القرآن الكريم .

يقول الفيروز ابادي فى كتابه « بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » ص 66 : « ان المعجزة مختصة بالنبي دائما ووقت اظهارها مردد بين الجواز والوجوب ويقرن بالتحدي وتحصل بالدعاء ، ولا تكون ثمرة المعاملات المرضية ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد ، ويجوز ان يحيل النبي المعجزة الى نائبه لينقلها من مكان الى مكان .. وايضا يكون اثر المعجزة باقيا بحسب ارادة النبي » .

وجملة المعجزات راجعة الى ثلاث معان : ايجاد معدوم او اعدام موجود او تحويل حال موجود .

ايجاد معدوم كخروج الناقة من الجبل بدعاء صالح عليه السلام

واعدام الموجود كابراء الاكمه والابرص بدعاء عيسى عليه السلام

وتحول حال الموجود كقلب عصا موسى ثعبانا » .

« وكل معجزة كانت لنبي من الانبياء فكان مثلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اظهارها له ميسرا مسلما . وافضل معجزاته واكملها واجلها واعظمها القرآن الذى نزل عليه بأفصح اللغات واصحها وابينها وامتنها . وبعد ان لم يكن كاتبا ولا شاعرا ولا قارئا ولا عارفا بطريق الكتابة واستدعاء من خطباء العرب العرباء وبلغائهم وفصحائهم ان يأتوا بسورة مثله فأعرضوا عن معارضته عجزا عن الاتيان بمثله. فتبين بذلك ان هذه المعجزة اعجزت العالمين عن آخرهم » .

ومن ينظر الى الاعجاز فى القرآن نظما ولفظا ومعنى يجد انه لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين ، ولا يستطيع انسان مهما اوتي من العلم او قوة البيان ان يأتي بمثله او بمثل شيء منه .

وانظر الى العرب اهل الفصاحة والبيان عندما حاول بعضهم ان يقلد سورة من القرآن وهي سورة الكوثر اقصر سورة . ولا يخفى ما فى هذه السورة من البلاغة والاعجاز ... فماذا قال فصحاء العرب ؟؟ جاءوا بقول ركيك مضحك فلنقرا معا قولهم : « انا اعطيناك العقعق فصل لربك وازعق ان شانئك هو العجل الأبلق » .

اما مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال كلاما لا يقل تفاهة عن الكلام السابق . فيروى ان جماعة من اهل اليمامة قدموا على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فسألهم عن مسيلمة وعما يدعيه من الوحي النازل عليه فقراوا عليه منه هذا الكلام : « يا ضفدع نقي نقي الى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الطين تفارقين ولا العذوبة تمنعين » فقال ابو بكر رضي الله عنه : والله ان هذا الكلام لم يخرج من ال (اي لم يأت من عند الله) .

ولنسمع شهادة اهل الشرك فى القرآن : يروى ان المغيرة بن عقبة دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد اقرا علي شيئا مما انزل عليك فقرا على الله عليه وسلم قوله تعالى: ان الله يامر بالعدل والاحسان .. الآية . فقال المغيرة : ان لهذا القول لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وان لي فيه نظرا ولا يقول مثل هذا بشر».

ومما يدل دلالة قاطعة على ان القرآن الكريم من عند الله هو كما سبق ان قلنا ان الخطاب موجه فى كثير منه الى النبي صلى الله عليه وسلم . فاذا كان القرآن من عند محمد — حاشا لله — لما اسند ضمير المخاطب اليه . فضمير المتكلم مسند الى الله سبحانه وتعالى فى القرآن كله والخطاب موجه منه سبحانه وتعالى ..

ثم هناك الاعجاز العلمي للقرآن الكريم . يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندي فى كتابه من روائع الاعجاز فى القرآن الكريم : « ويعرض القرآن فى كثير من آياته — نحو 750 آية الى مسائل هي من صميم العلم وذكر جانبا من الحقائق العلمية كقضايا عامة ودخل فى تفاصيل بعض الحقائق الاخرى . وتلك الآيات هي فى مجموعها احدى نواحي اعجاز القرآن التى تكشفت فى هذا العصر الذى يؤمن فيه الفرد والجماعات بالعلم وتقاس فيه قوى الشعوب بما احرزت من ثقافات وما جمعت من معرفة وما ابتكرت من مخترعات ، ولعمري تلك احدى صفات القرآن الرائعة ذلك الكتاب الذى لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا بثقافة بالذات » .

ولقد ذكر المؤلف كثيرا من وجوه الاعجاز التى تعرض لها القرآن الكريم ولم تكتشف الا فى العصر الحديث بعد نزول القرآن بقرون عدة وصدق الله اذ يقول « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

كما ان هناك اعجاز من ناحية اخبار القرآن عن بعض الغيبيات ووقعت فعلا كما اخبر بها ومنها هزيمة الروم وفتح مكة .

هذا هو القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى وقد تحدى عليه السلام من خالفوه بأن يأتوا بمثله فما استطاعوا . وصدق الله سبحانه « وان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ان ما يقوله الكاذبون من أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يستطع الاتيان بمعجزة محض افتراء . فبالاضافة الى معجزة القرآن الكريم فله صلى الله عليه وسلم كثير من المعجزات التى وردت الينا عن طريق التواتر ومن ثقاة الرواة منها معجزة الاسراء والمعراج وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه الشريفة وغيرها ..

روى انس بن مالك رضي الله عنه : « بان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين » وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه . فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا » .

ولقد ثبت ان حجرا كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كما ان الجذع الذى كان يخطب عليه بكى عند ما تركه واتخذ منبرا غيره . فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث ، اني لأعرفه الآن » .

اما عن نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه « ان نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمة) دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا جميع اصحابه قال : قلت : كم كانوا يا ابا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة » .

كما ان هناك كثيرا من المعجزات والبركات للنبي صلى الله عليه وسلم منها انقياد الشجر له وبركاته فى الطعام وفى الماء والسمن واللبن . وما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه راى النجاشي ملك الحبشة عند موته وانه خرج الى المسجد وصلى عليه .

وغير ذلك الكثير مما رواه المؤرخون والمحدثون.

ذلك هو النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولكن اعماهم حقدهم وطمس الله على قلوبهم فهم لا يعقلون ..

— يتبع —

توفيــق علـي وهبــة

الاستشراق وقضايا الإسلام وثقافته

الأستاذ محمد المنتصر الريسوني

(12)

مفهوم الجهاد فى الاسلام :

كثير من المستشرقين – ومن بينهم جولد تسهير الحاقد – نقموا على الاسلام انتشاره الباهر، وامتداده الحيوي السريع عبر القرون ، ومن اجل ذلك رسمت اقلامهم الجهاد الاسلامي غولا مرعبا فى يده سيف باتر ينذر بالموت الزؤام .

اذا فكرة الجهاد فكرة مشوهة لدى اولئك المستشرقين ، جهلوا او تجاهلوا الاسس الجذرية التى قامت عليها الدعوة الاسلامية ، تلك الاسس التى تنطلق اول ما تنطلق من قاعدة شاملة ينتظم بها الكون كله – والانسان جزء منه – وهي العبودية لله تعالى وحده ، والاستسلام له الاستسلام المطلق ، ونبذ كل ما من شأنه ان يشارك الخالق فى الربوبية ، ولهذا تشغل قضية الالوهية مساحة واسعة شاسعة فى كتاب الله ، كلها تقرر التوحيد كبناء متين تستقر على اساسه الحياة الانسانية فى كل ابعادها ، ومن ذلك قوله تعالى : « ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش (1) الخ » وقوله جل شأنه « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » (2) ، وقوله عز وجل « وهو الذى فى السماء اله ، وفى الارض اله » (3) .

لذلك اقترن الجهاد بالله، فانتفى حينذاك ان يكون من أجل غير الله كأن يكون مثلا فى سبيل الطاغوت اي طاغوت او فى سبيل مصلحة فرد من الافراد .

فهدف الجهاد الاسلامي واضح الآن، هو كفالة عيش رغيد لانسانية فاضلة ، وتحريرها من كابوس الجاهلية الرعناء ، ومعنى ذلك بوضوح احداث انقلاب شامل عظيم فى الحياة ، وثورة واسعة النطاق على الجبروت البشري المتجلى فى تلك النظم العفنة المعادية لخاصية التوحيد الالهي ، والمستسلمة للتصورات المنحرفة .

فحقيقة الجهادالاسلامي أسمى مما تتصوره عقول المستشرقين ، ومن تقمصوا ارواحهم ، ومن

(1) سورة الاعراف : 54
(2) سورة الفرقان : 2
(3) سورة الزخرف : 84 .

تأثروا بالمذاهب الجديدة الغريبة عن حس التصور الاسلامي ، هي رد الاعتبار الى الانسان اي انسان يحيا على وجه البسيطة وليس هذا الاعتبار سوى عبادة الله ، واقامة منهجه في الارض ، والتلقي عنه الاوامر بعيدا عن التسلط الارهابي من رجال الدين ، والقمع الكنسي والوثنية المتعددة الصور ، والمتبدية في السلوك ، والدساتير الاجنبية .

فاذا كان هذا هو الهدف الجوهري من الجهاد الاسلامي فلا نحتاج الى تبرير الاسباب التي حفزت الاسلام الى حمل السيف بايراد حجج تاريخية تثبت انه رد للعدوان ودفاع عن حمى الارض الاسلامية كما لاحظ ذلك الامام الشهيد سيد قطب رحمه الله (4) ـ وكذلك الكاتب الاسلامي الكبير الاستاذ أبو الاعلى المودودي (5) ـ على بعض الدارسين لهذه القضية ، المنهزمين أمام الضغط الاستشراقي .

والحقيقة ان المجاهد الشهيد سيد قطب رحمه الله بحسه الاسلامي الشفيف وتفطنه الذكي الذي تعودناه منه في دراساته الاسلامية القيمة قد أصاب ورب الكعبة ! لاننا اذا رجعنا الى الدراسات الاسلامية حول هذا الموضوع ـ وتحت يدي عدد كبير منها ـ وجدنا أصحابها يعللون الظاهرة الجهادية في الاسلام ـ عن حسن نية ، ونقاء طوية ـ باسباب لا تخرج في عمومها عن كونها حربا دفاعية ورد عدوان ناسين المفهوم الرائع للجهاد الاسلامي الحق ، كي يبرئوه من كل عنف وقوة ، ويظهروه أمام المستشرقين مسالما ولو كانت الجاهلية تعمل لاستغلال الانسان ، وقويا عند الاعتداء والجور .

فنحن لا يمكن لنا بحال ان نروح نستقصي المواقف التاريخية لايجاد مبرر لحرب شنها الاسلام على اعداء التوحيد ، والمتسلطين بطغيانهم على البشر ارضاء لهوى المستشرقين ، ومفهوم الجهاد الاسلامي واضح المعالم من اساسه .

اذا نعلن بصراحة لاولئك المستشرقين انه من المنطق كل المنطق ان يرفع الاسلام السيف يترسم خطا الطغاة الذين يتحكمون في رقاب الناس بالحديد والنار ، ويستعبدوهم لحكمهم الجائر ، ويستكبرون في الارض على الضعفاء ضاربين عرض الحائط بكل القيم الانسانية ، في حين سنة الكون تقضي ان يعيش الانسان مع أخيه الانسان في وداد وتآخ للاضطلاع بالامانة العظمى التي اناطها الخالق به في الحياة ، والتي شرفه بها دون باقي مخلوقاته الاخرى، كي يمارس حريته بنفسه ليحقق ذاته كمسؤول عن الخلافة الارضية ، وكل ذلك يوضحه كتابنا الكريم في قوله : « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » (6) .

أقول : الاسلام يرفع السيف لاستئصال جذور الشر من الخلية الانسانية ، وعندما تخلى قوة الطغيان بينه وبين دعوته حينذاك يغمد سيفه ويترك البشر يختارون العقيدة التي يرتضيها عقلهم ما دامت مراكز القيادة في يد مؤمنة تقيم منهج الله في حياة الناس بكل حرية ، وعند ذاك يأتي دور تقرير المبدا القرآني « لا اكراه في الدين » (7) وهو مبدا التعايش الديني بين الاجناس لا ينقضه اي حاكم مسلم ، وكيف ينقضه والعقيدة لا تكون عقيدة صحيحة الا اذا صدرت عن اقتناع وايمان ، لذلك نزل قوله تعالى مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

ومن الممكن تفسير بعض الوقائع التاريخية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها كانت نتيجة لدفع القوة المعادية كغزوة احد والاحزاب وبني المصطلق وغيرها ولا ينفذ الى باطن الدعوة الاسلامية ومراميها البعيدة ، ذلك ان هذه الغزوات حدثت حقا كرد للعدوان ، والاخذ بالمبادرة الى لقاء العدو تنفيذا لقول الله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (8) .

هذا ما حدث بالفعل ، ولو لم يحدث ، هل كانت الدعوة الاسلامية تظل قابعة في عقر دارها لا

---

(4) راجع كتابه القيم معالم في الطريق ـ بحث في : الجهاد في سبيل الله ص 75 وما بعدها ط 2 عام 1966
(5) راجع كتابه الجهاد في سبيل الله ـ دار الفكر الحديث ـ لبنان .
(6) سورة الاحزاب 72 .
(7) سورة البقرة 256 .
(8) سورة البقرة : 194

تريم ؟ فاذا كانت اجابتنا بالموافقة ، حينذاك ستصبح الدعوة الجديدة محلية اقليمية ، وليست عالمية كما نصت على ذلك النصوص القرآنية الكريمة ، منها هذه الآيات « وما هو الا ذكر للعالمين » « ان هو الا ذكر وقرآن مبين ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » (9) ، « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (10) ، « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (11) . وكما نصت على ذلك ايضا احاديث نبوية شريفة كقوله صلى الله عليه وسلم « كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى كل احمر واسود » وقوله : «اني رسول الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة» .

وعلاوة على هذه النصوص القرآنية والحديثية فان روح التشريع الاسلامي تتنافى مع اقليمية الدعوة كل المنافاة اذ انها تحمل في طياتها — كما لا يخفى على المتبصر الذكي — اصلاحا وهداية للبشر عامة في كل زمان ومكان .

هذا من نحو ومن نحو آخر فان الدعوة الاسلامية غمرت آفاقا اخرى جديدة وان لم يكن هناك اعتداء او غيره تحقيقا لعالميتها ، فنشرت في الشرق والغرب النور ، وزرعت في هضابه ، ونجوده ووهاده السلام والاستقرار ، وما تحقق لها ذلك الا بعد سحقها العراقيل التي كانت تعترض طريقها .

وليس من ريب في ان حركية المنهج الاسلامي وحيويته تتنافى مع أي تفسير مبتسر ، تلك الحركية والحيوية اللتان تجابه الواقع الانساني بكل صوره وظروفه ، وغير معقول بجانب هذا ان يعلن الدين الجديد تحرير الانسان من عبوديته واستكانته ومذلته ، ثم يستعمل في ذلك الطريقة البيانية والاقناعية والجدلية — كما يريده له المستشرقون — وقوة الجاهلية تحمي نفسها بالسلاح ، وبكل انواع القوة ، تعمل مصبحة ، وتجتهد ممسية لتحصين مركزها بشتى الوسائل ، وهذا امر يتناقض كل المناقضة وسنة الكون .

وقد يتساءل البعض عن كف المسلمين عن القتال في مكة ، فنجيب بان الدعوة في مكة فترئذ لم تعوزها قوة السلاح ما دامت السلطة السياسية لم تكن تملك مجابهة الدعوة مجابهة قاضية ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المرحلة التاريخية من الدعوة الكريمة وجد مؤيدين له من بني هاشم يذودون عنه كل اعتداء رغم ما تعرض له من اذى القرشيين ، وقد استطاع في تلك المرحلة بالذات ان يناقش القرشيين ويقنع بعضا منهم بالحجة ، مع التنبيه الى ان الفترة المكية كانت فترة تربية واعداد في مجتمع لا يجمعه نظام حقيقي ، لهذا كان للكلمة نفوذ واي نفوذ على النفوس ، وسلطان واي سلطان على القلوب .

ولا مرية في ان المجتمع القرشي بعد تلك الجولات الرائعات التي قامت بها الكلمة القرآنية الشفيفة تصدعت قوته باعتناق بعض رجاله الكبار العقيدة الجديدة .

وعند انتقال موكب الدعوة المباركة الى المدينة وجد هنالك مجالا خصبا اذ خضع الكثير باستثناء جماعة المنافقين الى القيادة المؤمنة فكان للبيان صولات وجولات واصبحت هذه المرحلة من الدعوة مرحلة اعداد وتهييء ايضا لزحزحة قاعدة الشرك في مكة .

فلذا نحن لا نتماق المستشرقين في اتهاماتهم الشائهة فننفي عن الاسلام استعماله القوة مضطرا من اجل اقرار منهجه ما دامت الجاهلية تقف سدا منيعا في وجهه لا تتركه ينطلق الى البسيطة ياخذ بيد البشر الى مشارق النور وآفاق الايمان ، والى هذا المفهوم للجهاد الاسلامي يشير الله تبارك وتعالى في قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله » (12) وفي قوله تعالى : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (13) .

ولا يفوتنا ونحن في معرض الحديث عن الجهاد الاسلامي ان نتطرق بالكلام عن السياسة العسكرية في

---

(9) سورة يس : 69، 70 .
(10) سورة الفرقان : 1
(11) الانبيــاء : 107
(12) سورة البقرة : 193
(13) سورة الصف : 9

الاسلام ، والحصانة التي ينبغي للمجاهدين ان يتذرعوا بها في خوضهم المعركة المقدسة ، هذه السياسة يمكن ان نستقطبها فيما يلي :

1 ــ التربية النفسية وهي ما نسميه بالجهاد الاكبر ، جهاد النفس ، مجابهة انحرافاتها ، واهوائها، اذ الاسلام يربي في الفرد طاقة روحية نظيفة ، تهدهد في اعماقه نوازعه المختلفة فتوفق بينها بطريقة سلمية ، عند ذاك تخف النفس الى العمل ، العمل المجدي ، ثم في الاخير تسلم امرها الى خالقها متوكلة لا متواكلة ، لان التوكل يشحذ الهمة والارادة، ويشد القلق والاضطراب ، والتواكل عكسه في كل نتائجه .

وانا اعتبر ان هذه التربية هي المنطلق الاساسي للجهاد، ذلك انها تجعل المسلم يشعر شعورا قويا بانه انسان كفء لتحمل المسؤولية ، وانه برصيده الروحي يستعلي على كل قوة ارضية باطلة، ومن اجل ذلك ينطلق الجندي المسلم الى ميدان المعركة وهو يحمل بين جنبيه ، فكرة مواجهة الموت في سبيل الله لا في سبيل المجد ، او العنصرية او القومية او الوطنية او الحكم ، او اي مذهب او عقيدة فاسدة تشذ عن طريقة التوحيد ودائرة الارتباط بالخالق . جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

2 ــ تجهيز الجيش بكل انواع العتاد ، والى ذلك يشير الله تعالى في قوله : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » (14) .

والقوة في النص القرآني تشمل كل اصناف ما يتصوره العقل من الادوات الحربية ، ولا يخفى ما في هذا التعميم من معجزة قرآنية تلوح ولا تصرح بما قد يخترعه الانسان من معدات حربية في كل زمان ومكان .

والقصد من التجهيز ارهاب عدو الله الطاغي ــ ومن كان عدوا له تعالى فهو عدو المسلم ــ وارهاب آخرين لا نعلمهم الله يعلمهم ، ويطلع على اسرارهم ، حتى تكون اقوياء لا تستطيع قوة جاهلية في الارض الايقاع بنا اومناجزتنا .

3 ــ تهيىء رجال محاربين كما في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم ، فانفروا ثبات او انفروا جميعا » (15) .

وحري بنا ان نقف هنيهة من الزمن نستقرىء طريقة الحرب التي يعلنها الاسلام على طواغيت البشر في كل ارض ، مقارنين بينها وبين حرب المستعمرين والمغيرين من اللصوص قديما وحديثا ، ومتحدثين في الآن عينه عن طبيعة الفتوح الاسلامية ، وانتشار الدعوة الاسلامية بطرق سلمية رائعة .

ــ يتبع ــ

تطوان ــ محمد المنتصر الريسوني

---

(14) سورة الانفال : 60 .
(15) سورة النساء : 71 .

محن المسلمين .. وكيف الخروج منها ..

للأستاذ أبو بكر جابر الجزائري

المحنـــة الاولــى :

ضعـــف المسلميـــن :

ان اول محنة اصابت المسلمين كانت ضعفهـــم الروحي والمادي معا :

ففي الروح فقد المسلمون بصفة عامة ثقتهـــم بربهم تبارك وتعالى فما اصبحوا يعولون على الله عـــز وجل فى اية مهمة يراد لهم القيام بها ، ولا يتوكلـــون عليه فى اي عمل تتطلبه الحياة منهم ؟ فقعدوا عن طلب الوحدة والاتحاد وهو واجب عليهم ، وتركوا الاخـــذ بأسباب التكتل والتجمع المفروض عليهم، والضروري لبقائهم وقوتهم ، كل ذلك لخوفهم وجبنهم نتيجـــة ضعفهم وعجزهم وبه ايضا تركوا فريضة الجهاد التي هي اكبر سهم فى الاسلام ورضوا بأن يعيشوا اتباعـــا للمعسكرات العالمية الشرقية منهـــا والغربيـــة ، وياللاسف والفضيحة معا .

هذا فى الجانب الروحي ، واما فى الجانب المادي فانهم لا يقلون ضعفا عن الجانب الروحـــي بحـــال ، فتراهم يعيشون فقراء الى اعدائهم الذين اصبحوا بحكم الاحتياج اليهم سادة لهم ، مفتقرين اليهم فى كل شيء حتى فى لقمة العيش احيانا فضلا عن سلامهم وعتادهم وادوات زراعتهم أو بنائهم وآلات حملهم أو ركوبهم مما هو من ضروريات حياتهم فضلا عن كمالياتها بحيـــث لو لم يستوردوا اسلحتهم من عدوهم لم يتسلحوا ، ولو لم يشتروا اكثر حاجياتهم من اعدائهم لم يعيشوا .

ويدل على ذلك ويشهد له انهم لو منعوا الـــدواء لاغلوا كل مستشفى .

فكان هذا الضعف بجانبيه وفى ناحيته الروحية والمادية من اعظم المحن التي اصابـــت المسلميـــن واقساها على الاطلاق عرف ذلك من تامله وفكر فيه . ولا ينبغي ان يؤمل فى النهوض من هذه الكبـــوة ولا الخروج من هذه المحنة الا بايجـاد هـــذه القـــوة المفقودة فى المجالين الروحي والمادي ، وهذا مـــا يجب ان يعمل له المصلحـــون من هذه الامـــة ، والا فسوف لا تبرح امة الاسلام تعيش فى هـــذا الهـــون والدون والذل والصغار امدا لا يعرف نهايته الا اللـــه تعالى . هذه بدون شك محنة قاسية ، والخروج منها لا يأتي الا بايجاد هذا المفقود من القوتين الروحيـــة والمادية معا ، وايجاد هذا المفقود يتطلب من الجهـــد والجهاد والتضحية والمفاداة ما يكاد يجـــزم المـــرء العاقل بأن المسلمين اليوم ليسوا بأهل له ولا للقيام به ، وذلك لقوة الضعف وتمكنه من نفوسهم ، وشـــدة العجز واحاطته بهم .

بيد أن طاقة الايمان التـــي ما زالت تكمـــن فى نفوسهم كفيلة بدفعهم الى حيث النهوض والقوة متى فجرت بحكمة وسخرت بعلم .

والسؤال الان هو : اين هي اليد القادرة اليوم على تفجير هذه الطاقة وتسخيرها للقوة والنهوض ؟؟

لي ان اترك الاخوة القراء يفكرون فى البحث عن

هذه اليد القوة التي تقدر على جمع قلوب المسلمين فى قلب واحد ، وبالتالي تفجر تلك الطاقة من الايمان فتقلب أوضاع المسلمين الشاذة عن سنن الهدي اليوم، تقلبها راسا على عقب وتحيل هذا الضعف الى قوة جبارة عظيمة تنحني امامها رؤوس الاعداء فى الشرق والغرب على حد سواء ثم تعود على المسلمين بقيادتهم لسفينة الحياة والنجاة بها من الفرق الذي يتهددها .

وبعثور الاخوة القراء على هذه اليد القوية الامينة يخرج المسلمون من هذه المحنة القاسية الشديدة : محنة الضعف الروحي والتخلف المادي .

ومساهمة مني مع الاخوة القراء فى البحث على هذه اليد المطلوبة لجمع قلوب المسلمين وتفجير طاقة الايمان فيها لتقلب هذه الاوضاع الفاسدة الغريبة راسا على عقب وتحيل الضعف الى قوة ، والذل الى عز ، والهون الى كرامة ، اقول : ان هذه اليد المطلوبة ليست بيد زعيم عربي بعثي ينادي بخلق عربي لا يؤمن بالله ، كما هي ليست بيد قومي عربي يقول : انه يؤمن بالقومية العربية سببا لنهضة العرب واعادة مجدهم وسيادتهم ، ولا هي أيضا بيد توري تقدمي من اشتراكي يصطنع الكلمات للاستهلاك والشعارات لستر العورات ، ولا هي كذلك بيد شعوبي يتغنى بامجاد شعبه ، ويحتفل بذكريات جاهلية ما قبل الاسلام بقرون وانما هي يد مؤمن موصول بالله تعالى مشدود بحبله عز وجل ، يحب الله تعالى ويحبه ، ذليل على كل المؤمنين عزيز على كل الكافرين ، يجاهد فى سبيل الله ولا يخاف عاقبة الايام ولا لومة اللوام ، ولا يرهب قولة قائل ولا صولة صائل .

ذلكم هو الامام القائد والرجل القادر على جمع قلوب المسلمين وتفجير طاقات الايمان فيها ، والسير بالمسلمين قدما الى حيث يتبواون مكانتهم ، ويتسلمون قيادتهم لصلاح البشرية جمعا ، ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

ترى من هذا الامام القائد ؟ اهو المهدي المنتظر ؟ ام عيسى بن مريم ؟ .

ليس شرطا ابدا ان يكون احد هذين الامامين المنتظرين ، وانما يكفي فيه أن يكون المؤمن الصادق ، الموصول بالله ، والمتمسك بحبله عز وجل ، يخشى الله تعالى ويتقيه ، ويجاهد فى سبيله يحب فى الله ويبغض فى الله ، يعطي فى الله ويمنع فى الله .

كما انه ليس شرطا ايضا ان يقوم بنفسه ويدعو المسلمين الى بيعته وطاعته ، وانما على المسلمين ان ارادوا الخروج من هذه المحنة ان يطلبوه ويطلبوه حتى يجدوه ثم يبايعوه ويطيعوه ، ويومها يقوى على تفجير طاقة الايمان فى قلوبهم ، ويقدر على قيادتهم والسير بهم الى حيث القوة والعزة والكرامة وعندها وبلا شك ان شاء الله تنتهي هذه المحنة القاسية الشديدة ويستريح من عنائها واثارها السيئة المسلمون .

المحنة الثانية :

فرقة المسلمين وانقسامهم على انفسهم :

فرقة المسلمين كانت وما زالت السبب الاول فى ضعفهم وعجزهم وانهزامهم فى كل معارك الحياة .

انها فرقة منكرة خطيرة قسمت الامة الواحدة الى امم ، والدولة الواحدة الى دويلات ، والجماعة الواحدة الى جماعات ، والطريقة الواحدة الى طرق والمذهب الواحد الى مذاهب شتى .

وياللاسف والاسف معا . وسبحان الله كيف رضيها المسلمون لانفسهم مع ان العقول قد اطبقت ، والشرائع الالهية قد اجمعت على ضرر الفرقة وسوء اثرها فى الامم والجماعات ، واعتبرتها داء عضالا ، ومصابا جللا ، ومحنة قاسية شديدة تصاب بها الامم والشعوب فتدمرها وتقضي على حياتها ووجودها .

وهذا القرآن الكريم ينعاها على اهلها ، ويحذر المسلمين من الوقوع فيها فيقول : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » . ويقول : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء » . ويقول : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

نعم .. الفرقة والاختلاف من طبائع البشر ، ومن مقتضيات وجودهم وحياتهم . قال تعالى : « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك؟» ولذلك خلقهم ، وهذه الفرقة وهذا الاختلاف مردهما الى تباين العقول ، واختلاف المدارك والفهوم والى تعدد المصالح واختلاف الاغراض ، واختلاف الاستعدادات النفسية والجسمانية ايضا .

غير ان لسلطان الايمان على النفوس ، وهيمنة روح الاخلاص على العمل والسلوك من الاثر الكبير ما يحول باذن الله تعالى دون الفرقة والاختلاف ، فى

الجماعة السعيدة والامة المرحومة ، وهـذا وجـه الاستثناء فى قوله عز وجل الا من رحم ربك فى اية : « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » ، اي فانهم لا يختلفون لوجود المانع من ذلك وهو الايمان الصادق والاخلاص التام فى اعمالهم لله تعالى ، اما قولـه : ولذلك خلقهم ففيه اشارة الى الاختلاف الذي يقتضيه تباين العقول ، وتعدد المصالح ، وتنوع الاغـراض ، فاذا وجد المقتضى ، وعدم المانع كان الخلاف حتما .

عرف هذه الحقيقة ـ وحي من الله ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقررها فى قوله (من روايـة الترمذي) : ليأتين على أمتي كما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل ...

وان بني اسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار الا ملة واحدة . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما انا عليه واصحابي .

فذكر ان الفرقة كائنة لا محالة وقد كانت وان 72 ملة هالكة ، واستثنى من العدد 73 ملة واحدة فهـي ناجية مرحومة وذلك لاجتماعها على الحق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فلم تتقاسمها الاهواء ولا المذاهب ولا الطرق وانما اجتمعت على دين الله ولم تختلف فيه لسلطان الايمـان وروح الاخلاص فى العمل لله تعالى .

هذا واذا بحثنا عن عوامل الفرقة الكائنة اليـوم بين المسلمين فانا نجدها تدور على خمسة اسبـاب وهـي :

1 ـ السياسة وتنازع الحكم .
2 ـ عصبية الجنس أو الحزب والمبدأ .
3 ـ عصبية المذاهب فى الاصول والفروع .
4 ـ القول فى دين الله بالراي ، والحكم فيـه بالهـوى .
5 ـ دسائس اعداء الاسلام وكيدهم المتواصل للاسلام والمسلميـن .

هذه اهم عوامل الفرقة والاختلاف بين المسلمين وعليه فاذا اردنا الخروج بحق من هذه المحنة : محنة الفرقة والاختلاف بين المسلمين فلنعمل على القضـاء على هذه العوامل ، وانهاء هذه الاسبـاب ، فعامـل السياسة وتنازع السلطة يمكن القضاء عليه من طريق اقناع المسؤولين وارباب المصالح الخاصة ان بقاء هذه الدويلات الضعيفة الهزلية مرهون ببقـاء تنـازع المعسكرين : الشرقي والغربي ، ويوم ينتهي باتفاق او بتغلب أحد المعسكرين على الآخر فان هذه الدويلات تنتهي من نفسها ، ويقضي عليها فى يومها ، فمن الخير اذا ان تتحد هذه الدويلات فى دولة واحدة ، وان تتكتل هذه القوى المفرقة فى قوة واحدة يمكنها الوقوف فى وجه العدو والطامع فى ابتلاعها والقضاء عليها ، فاذا امكن اقناع المسؤولين بهذا واصبحت دولة الاسـلام دولة واحدة فان هذا العامل الخطير من عوامل التفرقة والخلاف قد قضى عليه واستريح منه .

واما عامل عصبية الجنس او الحزب فالقضـاء عليه سهل ، ويأتي من طريق التوعية والتربية الاسلامية وتعميق معاني الاخاء الاسلامي فى النفوس وغـرس الفضائل الخلقية فى القلوب وبايضـاح الخطـوط العريضة للوحدة بين المسلمين والتعاون بين افرادهم وجماعاتهم والمتمثلة فى قول الله تعالـى : « انمـا المؤمنون اخوة » وقوله : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقوله : « وان هذه امتكم امة واحـدة » وقولـه : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، وفى مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ، وقوله : من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه . وقوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمـى والسهـر) .

بهذه التوعية والتربية الوجدانية يمكن القضاء على هذا العامل المدمر الخطير .

وأما عامل التعصب المذهبي فيمكـن انهاؤه والتخلص منه بواسطة العودة بالمسلمين الى اصلى الدين الاسلامي وهما كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وتعليما وعملا ، ورياضة الامة على ذلك واخذها بهذه الطريقة شيئا فشيئا حتى يتـم خلاصها من هذه الفتنة والخروج بها من هذه المحنة .

ولنعلم ان الظروف الراهنة اليوم تساعد كثيـرا على النجاح فى تحقيق وحدة الامـة المسلمـة فى عقيدتها وعبادتها ، فان من غير الشكوك فيه انه لو وجد للمسلمين اليوم دولة خلافة اسلامية تلم شملها وتجمع شتاتها ، او حتى رابطة اسلامية قوية يدين لها كـل المسلمين بالحب والتقدير والولاء لامكن توحيد امـة الاسلام والعودة بها الى ما كانت عليه ايام الراشدين وذلك لوجود الوسائل والاسباب الكفيلة بتحقيق ذلك ان شاء الله تعالى .

وآخر عوامل الفرقة والاختلاف دسائس الاعداء وكيد الخصوم ، ان هذا العامل الخطير لا يكون مستقلا بنفسه ولا يستقل ابدا الا فى ساحات الحرب وحومة القتال ، وانما هو مذك لنار الفرقة ومهيج للهيب الاختلاف من طريق تلك العوامل الاربعة السابقة ، وعليه فالقضاء على تلك العوامل المتقدمة قضاء على هذا العامل الخطير وانهاؤها انهاء له . ان دسائس الاعتداء ليس لها ما تدس فيه سوى النعرات السياسية والحزبية والمذهبية والجنسية ؛ ومن هنا كان القضاء على تلك النعرات قضاء على دسائس العدو كما اسلفنا فاذا امكن المسلمين اليوم بفضل الله تعالى ثم بالوعي الصحيح ، والتعليم الهادف والتوجيه الصحيح . القضاء على عوامل الفرقة والخلاف فقد نجوا من هذه المحنة القاسية ونجوا من كل المحن وغيرها .

المحنة الثالثة :

محنة الياس الذي اصاب اكثر المسلمين وقعد بهم عن العمل من اجل انقاذ المسلمين وانقاذ العالم اجمع .

لا شك ان من المحن ياس المرء وقنوطه من خير يريد الوصول اليه ، او شر يريد التخلص منه ، ومن المحن الكثيرة التي اصيب بها المسلمون اليوم هذا المرض الخطير والداء العضال : الياس من عودة عز الاسلام والقنوط من رجوع قيادة العالم للمسلمين فى حين ان الياس كالقنوط كلاهما مما حرمه الله عز وجل على المؤمنين ، ففى سورة يوسف يقول : (ولا تياسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) .

وفى سورة المؤمن يقول : (لا تقنطوا من رحمة)، ومع بالغ الاسى وشديد الاسف اقول : ان هذا الداء او هذه المحنة محنة الياس اصابت قادة المسلمين وعلماءهم وقتلتهم اكثر مما اصابت العوام والجهال واوهنتهم ، وهذا وجه من اوجه الخطورة فى محنة الياس ، لان الداء فى الراس او القلب ليس هو فى خطورته كالداء فى باقي الجسم ، فاذا اصاب الياس رؤساء الامة ومفكريها قعدت طبعا عن الحركة بالمرة وانقطع املها فى النهوض والسير .

واستميح السادة العلماء والقادة المفكرين عذرا اذا قلت : ان ما يتعال به البعض ويتخذه مبررا لياسه من عودة نهضة الاسلام وعودة قيادته للبشرية جمعاء ولا للمسلمين فحسب ، وذلك من مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) فطوبى للغرباء ، وقوله : (لا يأتي عليكم يوم الا والذي بعده شر منه) ، وقوله : (لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق) أو كما قال . فليسمحوا لي اذا قلت ان مثل هذه الاخبار النبوية الصادقة لا ينبغي أن تحمل على الياس ، ولا ان تكون مبررة له ابدا ، اذ لم يرد بها قائلها عليه الصلاة والسلام ذلك ابدا ، بل اراد بها عكس ذلك تماما اراد بها حفز المسلمين الى العمل الجاد ، وايقاظ الهمم للعمل المتواصل ، والتنبيه للشر دائما والحذر منه ، ومن الوقوع فيه ، وذلكم بالدؤوب على الجد والعمل ، والحرص على الحذر والحيطة دائما .

فلم يرد منه فداه ابي وامي — تخدير جسم المسلمين وحملهم على ترك العمل والاستسلام للفتن والمحن ، وانما ارد به ما سبق ان قلته : الحفز ، والتيقظ ، والتنبيه ، والتحذير .

ولو فكر هؤلاء اليائسون القانطون فى مسألة القضاء والقدر لاستنتجوا منها ما يبطل تعللهم وتبريرهم ليأسهم ، فان عقيدة القضاء والقدر تلزم المؤمن ان يعتقد جازما ان ما اصابه لم يكن ليخطئه، وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه ، ومع ذلك يجب عليه ان يتوقى الشر ويحذره ، ويتعرض للخير ويعمل له ويبذل ما يمكنه من الجهد والطاقة فى التقوى والحذر ، وفى السعي للخير والعمل من اجل الحصول عليه ، ولا يحل له ابدا ان يترك العمل والحذر اتكالا على نظام القدر العام ، واذا كان هذا لا يحل له هنا فانه لا يحل له هناك الا فلنعهم .

هذا وان الخروج من هذه المحنة يتطلب جهدا كبيرا ، وعملا جادا متواصلا .

فأولا : ينبغي معرفة النفس الخبيثة التي تنفخ فى جسم المسلمين هذا الروح من الياس الخبيث القاتل ، ولا شك أنها نفس العدو ، العدو الذي ما برح يحط من قيمة هذه الامة المسلمة ، وينتقص من قدرها ويضعف من شأنها ويسخر من مقوماتها واسس كمالها من عقيدة وشريعة ومنهاج وقانون .

وثانيا : يجب ان نضرب المثل العملي بالانتاج الصالح والاخراج الممتاز فى كل مجالات العمل والصناعة مما يخرس السنة المتنقصين ويكمم افواه الطاعنين ، وما أسكت العدو الحاقد واخرس الخصم المناوىء مثل ان يرى امة تتجمع بعد طول شتات وتستقيم بعد قرون

من الاعوجاج ، وتنتج وتصنع في جودة وامتياز .

فهل آن لنا ـ نحن المسلمين ـ ان نفكر في هذا الذي يخرس العدو وينكبه ؟!

والجواب : عن هذا السؤال لا مطمع فيه ما دام اليأس قد استولى على القلوب والقنوط قد استحكم في النفوس ، اذا الا فلنقاوم اليأس ولنحارب القنوط ومن الطريق الذي ذكرنا آنفا فاذا خرجت امة الاسلام من هذه المحنة ونجت منها فقد قطعت شوطا كبيرا في طريق عزها وسبيل كرامتها ومنهج خيرها وسعادتها والله المستعان .

المحنة الرابعة :

محنة المبادىء الهدامة :

من المحن القاسية الشديدة القساوة التي ابتليت بها امة الاسلام كل امة الاسلام محنة وجود مبادىء هدامة مخربة في ديارها وبين ابنائها ، وهي مبادىء لا تستهدف من امة الاسلام الا وجودها كامة لها ذاتيتها ومميزاتها وقيمها واخلاقها وتاريخها واملها وتطلعها ، ومن هذه المبادىء المدمرة الهدامة :

1 ـ الشيوعية .
2 ـ الاشتراكية .
3 ـ التقدمية الثورية .
4 ـ الماسونية اليهودية .
5 ـ الرؤطارية الماسونية .

هذه خمس مبادىء يصح اطلاق لفظ الكفر المنظم عليها فهي لم تكن الا هو ولم تخرج عليه لا في العرض ولا في الجوهر ، لا في الكنه والماهية ولا في الحقيقة والذات ، وانها لمن اصل واحد كما سيذكر ، وهي وان كانت في جميعها تستهدف المجتمع الاسلامي القرآني بعقائده وشرائعه وآدابه واخلاقه فانها تختلف في اسلوب العمل ، ومناورة الحرب ، وطريقة الخداع والتضليل ، وهي وان كانت بهذا التفصيل خمسا فانها ترجع الى اصول ثلاثة ، لكل اصل منها فرع ، فالشيوعية اصل للاشتراكية ، والثورية اصل والتقدمية فرع لها ، والماسونية اصل والروطارية فرع لها ، وواضع هذه المبادىء باصولها وفروعها واحد لا ثاني له الا وهو عدو الله ورسوله والبشرية جمعاء ، الا وهو اليهود ، واليهود وحدهم عليهم لعائن الله ، اذ غرضهم من ذلك القضاء على روح التدين في العالم ليخلو لهم الجو فيتنفسوا الصعداء من طول ما خنقتهم الاديان ولعنتهم لخبثهم ومكرهم ، وليضربوا بالتالي ضربتهم في اجلاء العرب المسلمين من بلادهم لاقامة دولتهم الممتدة في ارض كنعان ومن النيل الى الفرات ، وبعدها يفكرون في وضع قدمهم الثقيلة الوطاة على العالم اجمع ، كما هو المخطط المرسوم لديهم ، وقد اكتشفه الناس وعرفه الكثير من بني الناس ولم يبق سرا مكتوما الى اليوم ، ومبرر ذلك عندهم : أنهم شعب الله المختار وأنهم وحدهم المؤمنون الاطهار وأن من عداهم من الامم والشعوب انجاس كفار .

وكشاهد اورده على نيات القوم وخبثهم وارادتهم الشر بالعرب بالخصوص ما نشر قريبا في الصحف اليهودية من ان استفتاء اجرى بين طلاب وطالبات اليهود في دولة اسرائيل ، ومادة الاستفتاء : ماذا على دولة اسرائيل ان تفعله بالعرب الذين تحت سلطانها ممن هم الآن تحت سلطتها وممن سيدخل طبعا ؟! .

فكانت نتيجة الاقتراح ان اكثر من 75 ٪ تطالب بابادة العرب وتطهير ارض اسرائيل منهم بحيث لا تستحيى منهم الابناء ولا النساء .

وبعد ، اخي القارىء : فكيف المخرج من هذه المحنة القاسية ؟ المخرج لا يكون الا من طريق واحد الا وهو لعن كل هذه المبادىء والكفر بها واخراجها من ديار الاسلام ، اذ كلها يهودية صهيونية في الاصل لا خير فيها ولا تفاضل بينها وذلك من طريق ابراز المبادىء الاسلامية وملء الفراغ بها حتى لا يبقى مجال لهذه الطفيليات العفنة الخبيثة ان تنبت في ارض الاسلام وديار المسلمين ، بيد ان ابراز الشخصية المسلمة والمبادىء الاسلامية يتطلب جهادا مريرا وصبرا طويلا غير انه لما كان لا بد من هذا فانه لا معنى الحيدة ولتكن المجابهة كما شاءت أن تكون صعبة مرهقة مضنية فعلى الجماعات المسلمة ان تتلاحم في كل ديار المسلمين وان تقف صفا واحدا وتجمع كل قواها وتضرب بجمعها هذه المبادىء الهدامة المخربة كها فتميتها وتقضي عليها وترمي بها جيفة منتنة خارج ديارها والى غير رجعة والى الابد ان شاء الله تعالى .

المحنة الخامسة :

محنة الجهل بالاسلام :

ان من اخطر المحن التي اصابت المسلمين وهم يقاسون من ويلاتها ويعانون من شدائدها ضعفا وفسادا وشرا محنة جهل جماهير المسلمين باسلامهم ، في

الوقت الذي خمت فيه ديار المسمين بدور العلم ومدارسه بحيث لم تعرف بلاد المسلمين كثـرة فى المدارس وعناية بالتعليم كما عرفتها اليوم ومع هـذا فالعلم يقل والجهل يكثر ، والجهال يسودون والعلماء يذلون ويهونون .

وهذا فى أغلب ديار المسلمين ، وهل السبب المباشر فى هذا فساد مناهج التعليم وسوء نيات الطالبين ، وعدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعلميـن .

اما المناهج التعليمية وهي السبب القوي فى هذه المحنة فقد نادى الكثير من المصلحين فى بلاد المسلمين بوجوب مراجعتها وتعديلها ووضعها على اسس سليمة تكفل للامة المسلمة حاجاتها الضرورية الملحة فى الاصلاح الشامل لجانبي الحياة الديني والدنيوي على حد سواء حيث لا غنى للامة المسلمة عن احدهما ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

وأما سوء النية بالنسبة الى طلاب العلم فان له اثرا كبيرا فى ذهاب بركة العلم وآثاره الطيبة فى نفوس اهله وذويه وقد أصبح مع الاسف الكثير لا ينوي بطلبه العلم ولا يقصد به الا الجانب المادي البحت ، ولعل جل المدارس ، لم تبنى الا لهذا الغرض وحده وفى كل بلاد المسلمين .

واما عدم الكفاية والاخلاص فى الاساتذة والمعلمين فان له اكبر الاثر في تربية الطالب وتوجيهه ، اذ كثيرا ما يرث الطلاب صفات معلميهم وقد يتقمصون كل شخصياتهم فيرثون عنهم كمالهم ان كانوا كاملين ، ونقصهم ان كان ناقصين ، وفى الحكمة المأثورة كيفما يكن المربي يكن المربى ، ومن هناك كانت النتيجة سيئة للغاية ، فان النفاق والذبذبة والالحان ايضا لم يعرف بين المسلمين الاميين منهم كما عرف المتعلمين والمثقفين كما يقولون ، وكل هذا عائد قطعا الى فساد مناهج التعليم من جهة والى سوء نية الطلبة وعدم كفاية واخلاص لمعلمين من جهة اخرى .

والمخرج من هذه المحنة صعب جدا مع العلم بأن آثار هذه المحنة سيئة وسيئة لا تقل وبالا وشرا عن المحن السابقة واللاحقة وذلك لان تغيير المناهج لا يملكه الا ذوو السلطة فى بلاد المسلمين وهم فى اغلبهم ليسوا من الوعي الاسلامي والادراك والمسئولية بحيث يمكنهم أن يغيروا هذه المناهج حتى تتناسب ومتطلبات الامة المسلمة ، وما يجب أن يحققه لها التعليم من القوتين الروحية والمادية .

وعليه فقد تبقى هذه المشكلة بلا حل ويبقى المسلمون عاجزين عن الخروج من هذه المحنة الصعبة، وذلك لانها مرتبطة تماما بالقانون العام الذي يحكم الامة والقانون ما دام ليس هو الاسلام فان من الصعب جدا تغيير هذا الجانب وحده وتبقى سائر الجوانب .

اجنبية عن الامة غير اسلاميـة :

بيد أنه فى الامكان معالجة الموضوع من جانب آخر وهو جانب اصلاح النيات من طريق التوعية الاسلامية والتوجيه الايماني بين الطلاب وذويهم وخاصة طلاب المعاهد والمدارس الدينية ، وعلى سبيل المثال ما قلته واقوله لطلاب الجامعة الاسلامية وانا احد مدرسيها وهي اكبر مؤسسة علمية دينية فى بلاد المسلمين اليوم ، والامل معقود على طلابها اكبر من ان يعقد على جيش اسلامي يتحرك الى الغزو والفتح . ولاشادة صرح الاسلام أو حمايته من التداعي والسقوط. هؤلاء الطلبة طالما قلت لهم وواجهتهم بهذه الحقيقة ، وهي ان عليهم واجبا ومسئولية ليست على غيرهم لانهم يتهيئون بهذه العلوم الشرعية لا لان يصبحوا قضاة فى جهاز دولة لا تحكم بالاسلام ، و تحكمه ، ولا معلمين للشريعة فى مدارس لا علم للشريعة بها ، وانما ليصبحوا دعاة للاسلام ومبشرين به ، وهذا يتطلب عنهم اخلاص النية وتحديدها ، فالدعوة الى الاسلام يجب ان تكون فى اطارها الخاص المحدد بمثل قول الله تعالى : (وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالميـن) .

أن رسالتكم تتنافى مع طلب المادة وتتضاد مع الرغبة فى الحياة الدنيا الفانية ، وعليه فمن الان وأنتم بين جدراني الجامعة مرنوا أنفسكم وروضوا ارواحكم على الصيام والقيام ، وعودوها على قبول اداب الشريعة وفضائلها ، وتحلوا بها قبل ان تدعوا الناس اليها ، فان من النقص كل النقص ان يدعو المرء غيره الى فضيلة لم يتحل هو بها ، او الى القيام بواجب تخلى هو عنه وتركه ، وقد جاء فى القرآن الكريم : (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) ، وفى الحكمة الشعرية : قول القائـل :

لا تنه عن خلق وتأتي مثلـه
عار عليك اذا فعلت عظيـم

فمن الآن ايها الطلاب اقبلوا على انفسكم فكملوها ولحمل رسالة الحق أعدوها وبكل صراحة اقوالكم من

اراد ان يطلب الدنيا بهذه العلوم الشرعية فليتق اللـه تعالى ولينقطع من الآن عن التعليم الشرعي وليطلب له علما ماديا يحق له ان يطلب به الدنيا وزينتها .

وهذا والله لمن الصدق الذي هو اسمى الحلال وافضل الخصال وان ابيتم الا التعليم الديني الشرعي فارعوا حقه باخلاص النية والاستقامة عليه فذلك ازكى لكم وابرك والله عليم بما انتم صانعون .

المحنـــة السادســـة :

احتلال اليهود لارض فلسطين واستيلائهم على المسجـــد الاقصـــى :

لا شك ان محنة قهر اليهود للمسلميـــن كـــل المسلمين باحتلال بلادهم والتحكم فى امة كبيرة من نسائهم ورجالهم ثم بالاستيلاء على المسجد الاقصـــى ثالث الحرمين واولى القبلتين لا شك انهـــا محنـــة شديدة الوطأة على النفوس قاسية على القلوب دونهـا كل المحن ، لان اليهود اعداء الله هم اشـــد اعـــداء المسلمين عليهم واقساهم كما قال : (لتجدن اشـــد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) .

ومن اقسى المحن ــ ولا شك ــ ان يقهر المـــرء عدوه ويذله ويهينه ويتحكم فيه ، وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قهر الرجال .

حقا انها لمحنة لا تقاس وايم الله بمحنته تلـــك التي اصابت المسلمين فى ارض فلسطين حيث قتلوا وشردوا واستبيحت حرماتهم وديســـت كراماتهـــم وبالنعال وطئت مقدساتهم ، وزاد فى ثقـــل الوطـــأة وفداحة الخطب وقساوة المحنة ان العدو القاهـــر المذل هو من اذل الناس واقلهم شأنا وارخصهم جنسا ما كان لمثلهم ان يسودوا ويحكموا ، فاصبح المسلمون معهم كما قال الشاعر :

الى الله نشكو اننـــا بمنـــازل
تحكم فى مرآساد هن كـــلاب

هذه هي المحنة اخي المسلم وكيف الخـــروج منهـــا ؟؟ .

والجواب : ان شاء اخي القارىء وضعنا بعـــض الكيفيات للخروج منها وان شاء تركناها كما هي حتى يأتي اجلها ، فان اجلها لآت قريب لا ريب فيه . اذا قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : لتقاتلـــن اليهود ثم لتسلطن عليهم حتى يقول الشجر والحجـــر يا مسلم هذا يهودي وراءي فاقتله او كما قال عليـــه الصلاة والسلام والحديث فى صحيح مسلم قطعا .

غير اننا ما دمنا نستعرض بعض محن المسلمين ونحاول وضع كيفيات للخروج منها فانه لا مانع من ذكر كيفية للخروج من هذه المحنة القاتلة المميتة ، والذي رايته مخرجا من المحنة فقد تقدمت به برقيا لمؤتمر القمة الاسلامي بالرباط يوم انعقاده هنا بالعاصمـــة المغربية ، وهو نفس ما ابرقت به الى مؤتمر رؤســـاء الخارجية للدول الاسلامية ، ونصه بعد حذف الديباجة: تطالب بتكوين جيش اسلامي تحت قيـــادة اسلاميـــة تساهم فيه كل الحكومات ذات الشعوب المسلمة بخير رجالها واحدث ما تملك من سلاح حتى يكون اقـــوى جيش فى العالم واقدر على رد كل اعتداء : وتاديب كل معتـــــد .

ومهمة هذا الجيش الاولى تحريـــر الاراضـــي المقدسة ثم حماية كل بلد اسلامي يتعرض لاعتـــداء خارجي وفتنة داخلية كما هي الحال ــ يومهـــا ــ فى الباكستان ، وكما هي اليوم فى الجنوب العربي حيث المسلمون وليس فى البلاد سواهم ــ يكرهون بالحديد والنار على الكفر بالاسلام والايمان بالمذهب الشيوعي ومبادىء لينين وماوتتونك الالحاديـــة ، وهـــم الان يستصرخون ولا مصرخ ويستغيثون ولا مغيث . .

هذا ما رايته مخرجا لهذه المحنة وما زلت اراه كذلك والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون»

المحنـــة السابعـــة :

محنـــة الفســـق العـــام :

ان الخروج عن القانون ، والفوضى العامـــة فى السلوك الفردي والجماعي بعدان من دون شـــك من الرزايا والمحن التي تبتلى بها الامم والشعوب لمـــا تفقدها من معنى الحياة وسعادتها ، وما تعرضها له من خراب ودمار .

والمسلمون اليوم بصورة عامة يعيشون على فسق ظاهر ، وخروج كامل عن القانون فالفوضى فى العقائد والعبادات ، والاخلاق والآداب عامة كأن لم يكن هنـــاك حدود ولا قواعد ولا قوانين يرجعون اليها فى حياتهم ابدا وهذه ظاهرة خطيرة تنذر بشر مستطير وستجر من الكوارث ما لا يقادر قدره ولا يعرف مداه ولا حصره وبالقاء نظرة خاطفة نرى ما ذكرناه حقيقة مائلة للعيان

لا تقبل الاخذ والرد ولا النقاش والجدل ، فالحـــدود معطلة كأن لم يكن بشريعة الله حد واحد أمـــر الله أن يقام هذا قطعا باستثناء الحكومة العربية السعودية مع ملاحظة عدم اقامة حد السرقة على سراق الحجيـــج فى هذه الاعوام الاخيرة مما جرا اللصوص الوافديـــن مع الحجاج على ترويع وفجع عدد كبير من الحجاج مما اصبح يذكر الناس بعد الفوضى فى الحجاز قبل دولة القرآن السعوديـــة .

والعقائد مختلفة متنوعة فهي ما بين مادية صرفة وشركية وثنية ظاهرة ونفاقية مصطنعة متكلفة وارتيابية شكية مزعزعة ، وجهمية معطلة ، وجبرية سلبيـــة لا تبدي ولا تعيـــد .

والعبادات اختيارية لا جبر فيها ولا الـــزام ، الفريضة منها كالنافلة فمن شاء صلى ومن شاء تـــرك ومن شاء صام ومن شاء افطر ، ومن شاء زكى ومـــن شاء منع ؛ تغلبت البدع فيها على السنن ، فالبدعـــة منصورة مشهورة ، والسنة مخذولة مستورة العـــادة ماتية مذكورة والعبادة منسية مهجورة ، والاخـــلاق جلها نفاق ، وعداوات وشقاق ، لو تساءلت أين الصدق اين الوفاء أين المحبة اين الاخاء اين الامانة اين الحياة ؟؟ لما وجدت من يشير لك الى واحدة منها كلها وذلـــك لا نعدامها فى المجتمع واختفائها فيه ، والآداب علقـــم وصاب ، مهاترات كلامية ، ومجاملات سياسيـــة لا تعرف الشجاعة فى الحق ولا الصراحة فى النطـــق باسمها ضاعت الامانة أو اشيعت الخيانة ، وتظاهـــر المنكر وتوارى المعروف ، فاستبيحت المحرمات ، واشيع الربا وانتشر العهر والزنى وشربت الخمور ، واذيع الغناء والفحش والبذاء ، وحتى الميسر والقمار اصبح تسلية اهل كل دار .

وخلاصة القول فى هذا ان هذه الموجة العاتية العارمة من الفسق عن شريعة السماء والثورة عـــن قوانين الله لهي من اخطر المحن التي يقاسي منهـــا المجتمع الاسلامي ويعاني منها جميع المسلمين ، ولكن كيف المخرج منها ، وماطريقه ؟ .

المخرج لن يكون الا باحد امرين لا ثالث لهمـــا ، اولهما حكومة اسلامية عادلة قوية تقيم حدود اللـــه وتحمي حماه ، تضرب على ايـــدي كل المفسديـــن والعابثين ، وتقوي جانب الصالحين والمصلحين على قاعدة قول الملك الصالح كما حكى ذلك عنه الله رب العالمين في قوله : (اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يســرا) .

وثانيهما بجماعة اسلامية او رابطة عالمية تنذر لله حياتها وتوقف على الاسلام جميع طاقاتها تعمـــل على تبوء مركز القيادة الروحية لجميع المسلمين حتى اذا اصبح لها فى القلوب عرش ، وفى الجيوب قرش تجيل يد الاصلاح فى المسلمين ، فتقف فى وجه الباطـــل والشر وتدفع فى مسيرة الحق والخير فما هـــي الا جولات بعد صولات والفسق قد اختفـــى والباطـــل قـــد مـــات .

المحنـــة الثامنـــة :

محنـــة انحراف المراة المسلمـــة :

اي الم اشد ايجاعا من ألم النفس عندما تشاهد شرفها يضيع وعرضها يدنس وكرامتها تداس ؟؟ .

واي محنة اشد واقسى على المرء من ان يرى امراته أو فتاته مستخدمة لغيره تاتمر بامر الغيـــر ، وتخضع لسلطانه ، وتعمل حسب رغبته وتتحرك طوع ارادته مقابل ثمن بخس : دريهمات معدودات ، وذلك ما يسمى براتب الوظيفة الشهرى واي اعتزاز بالنفس او شعور بالكرامة يبقى عند ما يرى المرء امراتـــه او فتاته من بنت او اخت ترجل شعرها كل صباح وتتعطر وتلبس احسن ثيابها وهي كاشفة عن شعرها ونحرها وحتى عن ساقيها وصدرها لتقضي ست ساعات مـــع شباب ذائب مائع وقح صفيق لا يعرف حياء ولا مروءة ولا كرامة ولا شرفا همه ان يشبع غرائزه فى اسراف غير محدود واتراف غير معدود وكل ذلك باسم العلم وتحت شعار طلب المعرفة .

واي دين او خلق أو حياء يجده او يبقى له ذلك الذي يجلس نساؤه ورجاله من آل بيته امام شاشـــة (التلفزة) والكل يشاهد اجمل غادة واحسن غانية الى جنب احسن واجمل شاب يتبادلان النظرات القاتلات والعبارات الساحرات والابتسامات الفاتنات ويسمع الجميع منهما ارخم الاصوات وارق العبارات وقد يتم امامهم تبادل قبل المشاق وتعانق طول الفراق .

واي داء ادوا من هذا الداء واي سقم اشد فتكـــا بجسم الانسان وهو يعيش على هذا اللون الرخيص من الحياة وواقعه يردد مع الشاعر قوله :

ليس من مات فاستراح بميـت
انما الميت ميـت الاحيـاء

انما الميت من يعيش كئيبـا
كاسفا باله قليـل الرجـاء

هذه هي محنة انحراف المراة المسلمة اليـوم والرجال في شتى بلاد الاسلام يقاسونهـا ويتجرعون غصصها ـ ومع الاسف ـ كل يوم يـزداد استطـارا وداؤها استشراء وانتشارا ، ولا يقابل ذلـك مـن الرجال الا بالمداهنة المتملقة والمجاملة المصطنعة المتكلفة ولسان حالهم يقول :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدوا له ما من صداقته بـد

وكيف المخرج من هذه المحنة يا ترى ؟؟ !

بالرجوع الى عناصر المحنة التي تكونت منها ، وبالنظر الى اسبابها التي تسببت عنها نعثر على كيفية الخروج منها :

ان عناصر هذه المحنة لا تعدو كونها التعليم ، والتعليم وحده ، واعني بالتعليم ذاك التعليم الغيـر الهادف ، والذي لم يراع فيه شرف ولا قدسية ، ولم يلاحظ فيه دين ولا دنيا بالمعنى الصحيح لمفهوم كلمتي الدين والدنيـا .

كما ان اسباب هذه المحنة لا تخرج أيضا عـن سبب واحد الا وهو الوظيفة ذات الراتب المالي ، وعليه فالخروج من هذه المحنة زيادة على ما يجب من حملة التوعية الاسلامية والتربية الدينية ، اصلاح مناهـج التعليم وحرمان المراة من الوظيفة الحكومية وغيـر الحكومية الا في حدود معروفة واطار معلوم ، وبذلك تقل الرغبة من الآباء والامهات في دفع بناتهم الى المعاهد والكليات وطبيعيا ستعود المراة يومئذ الى وظيفتهـا الحقيقية ملازمة البيت والقيام بشؤونه والنهـوض بأعبائه وما اكثر شؤون البيت وما اثقل اعباءه وان هي قامت بذلك فقد كانت بحق نصف الرجل وجناحه الذي لا يطير الا به ، وكانت اقدر بكثير على اسعاد الرجـل وبيته ، واستحقت بجدارة لقب المواطنة الصالحـة والمراة المنتجة التي يعتمد عليها الوطن كما يعتمد على الرجل وتؤثر في بنائه وحمايته وفي قوته ومنعته كما يؤثر الرجل واكثر وهذا اقصى ما يطلب من الافـراد الصالحين بين الناس أجمعين .

ابو بكر جابر الجزائري



الإعلام.. والدعوة

للأستاذ عبد القادر ادريسي الغلبزوري

من المؤكد قطعا ان الدعوة الاسلاميـة ، في ظروف تطويق ومحاصرة العالم الاسلامي من القوى الصليبية واليهودية الحاقـدة على الاسلام (1) ، تعاني ضغطا متزايدا وفي تصاعد مستمر لا يفتر . ومن المؤكد أيضـا ان مستـوى أساليـب الدعـوة الاسلامية لم يرق بعد الى درجة من الاكتمال يمكن الاطمئنان معها الى النتائج المرجوة والمتمثلة في اعلاء كلمة الله والصدع بها في الآفاق ، قيامـا بواجب الدعوة الى الله بالتي هي أحسن . وامتثالا للنـداء القرآني الكريم في هذا الموضوع ، ولعله ليس بخاف على العاملين في ميادين الاعلام المعاصر ، ان الدعوة الاسلامية ، بالمفهوم الاسلامي الواضح الخالص من الشوائب والمؤثرات الجاهلية ، ذات حظ ضئيل جدا من الرواج والشيوع والانتشار بالقياس الى الدعوات الباطلة التي يصبح الناس عليهـا ويمسـون ـ في البلاد الاسلامية بالاخص ـ واحيانا تفرض عليهم فرضا بفعل التاثير القوي ، وبصفة مباشرة او غير مباشرة ، للاعلام المعاصر في أي مجال من مجالاتـه المبتكرة ، والمتطورة بشكل متواز مع التقدم التقنـي لحضارة الغرب . وتتجلى حقيقة هذا التخلف المروع في نوعية وقيمة الوسائل المعمول بها في مجال الدعوة الاسلامية ، ففي حين تعتمـد كل دعـوات العالـم ومذاهبه الباطلة اساليب متطورة ، ومرنـة ، وذات مفعول السحر ، نرى دعاة الاسلام ، في مشـارق الارض ومغاربها ، يقتصرون على وسائل **اقل تاثيرا،** واضعف مفعولا ، واعجز من أن تقنع مؤمنا ضالا ، بله مرتدا او كافرا لم يهتد ولم يؤمـن بعـد . فتكـون المعركة ـ وهي حامية الوطيس ولا شك ـ بين فئتين غير متكافئتين : جاهليـة معززة باجهزة اعلاميـة لها مفعول السلاح النووي ، ودعاة مسلمين يعوزهـم التنظيم والتوحيد والتكاثف والتكافـل ـ ايضـا ـ بالاضافة الى خبرة ومهارة في الدعاية ، وتجربـة وحنكة ودربة في العمل الاعلامـي . ان ارسالـيات التبشير في شتى مناطق الارض تنفق بسخـاء عجيب على تطوير أساليب الدعاية وتقويتها ، لتوسيع رقعة التبشير . وتعتمد العواصـم الشيوعيـة الكبـرى ميزانيات ضخمة لنشر الفكـر الماركسي والترويـج للعقيدة الشيوعية . وفي مقابل ذلك تجهـز الدول الراسمالية كل امكانياتها ، من مال ، وعلم ، واعلام ، وثقافة لمواجهة الافكار المعادية لها . وقبـل هـؤلاء واولئك تنشط المنظمات الصهيونية بشكـل مريـب ومثير للدهشة حقا ، لكسب عطف وتاييـد العالـم

---

(1) ينبغي أن يكون واضحا ومفهوما أن للصهيـونيـة بنـات ، منـها : الشيوعيـة ، الماسونيـة ، الاشتراكية ، الراسمالية .. الخ . وأن كـل مذاهب العصر ذات صلة بالصهيونيـة واليهوديـة العالميـة .

لمواقفها ضد الانسانيـة جمـعاء ، وضـد الاسـلام والمسلمين بصفة خاصة . وفى خضم هذا التحرك الاعلامي ، والغزو الواسع ، المخطط له بدقة واحكام شديدين ، تقف الدعوة الاسلامية ، او دعاتها بتعبير ادق ، موقف العاجز ، المستكين ، واكاد اقول موقف المنهزم ، المستسلم . فهل مرد ذلك العجز والتخاذل والانهزام الى ضعف واختلال فى العقيدة ـ حاشـا له ـ أم الى تخلف وتأخر فى الاسلوب ، وجهـل باستخدام اداة الاقناع ؟ .

ان دراسة متأنية لواقع الاعلام الاسلامـي ـ بشيء من التجاوز طبعا ـ توقفنا على بضعة حقائق مذهلة ، اولها انه ليست هناك نظرية اعلامية ، او قواعد محددة يمكن الانطلاق على اساسها الى تكوين وخلق اتجاه اسلامي يكون له مفعوله فى التمهيـد لاقامة المجتمع الاسلامي المنشود القائم على منهـج الله وشريعته وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحتى الاعلام الذى نكره انفسنا كرها على تسميتـه بالاعلام الاسلامي ، لا يملك هذه النظرية ، وانما هو اعلام غربي ، او شرقي ، اتجاها ومنهجا ، وتخطيطا ، « ينحرف » فى بعض الاحايين الى منحى جديـد ، هو المنحى الاسلامي ، ثم سرعان ما يعود الى المنهـج الغربى المحض ، او الشرقي الصرف ، وتبقى كلمة الاسلام على الهامش فى اكثر الاحيان . وغالبا مـا يتم هذا « الانحراف » فى مناسبات ومواسم معينة ، معنى ذلك ان الصحافة اليومية ، وهي ذات تأثيـر قوي على الراي العام فى بلـد ما ، ليست صحافـة اسلامية اطلاقا . وهذا يخالف على طـول الخـط ـ بتعبير مستورد ! ـ ما عليه حـال الصحافـة فى البلاد الشيوعية او الراسماليـة ، حيـث تنعكـس اشعاعات النظام ، او الاتجاه السياسي العام ، على ما يصدر من صحف ، وما يبث من اذاعات بكثافة ، وقوة ، وتواصل لا ينقطع الا بالتغيير العام فى البلاد . وتبدو الصورة واضحة جليـة ، اذا عرفنا ان جـل الصحف ، فى كثير من بلدان العالـم الاسلامـي ، « تخصص » صفحات اسبوعية لمواضيع او دراسات ، او ابحاث ، او مقـالات ، او اخبـار ، او تعاليـق اسلامية . وهذا « التخصيص » هو بيت القصيد فى الموضوع كله ، لما يعني ذلك من اعتراف ضمني بفصل الدين عن الحياة العامة ، ومشاكل الناس ، ومشاغلهم ، وقضاياهم ، وازماتهم . ومنطق هذه الصحافة يعني ان الاسلام اعجز واقصر من ان يساير حياة الناس ، فلتكن اخبارنا ، ولتكن تعاليقنـا على هذه الاخبار ، ولتكن مقالاتنا وابحاثنا ، غربيـة او شرقية ، ولنخصص صفحة واحـدة كل اسبـوع لقضايا الدين .

هناك ، اذن ، ازمة ضاغطة ، تعانيها الدعـوة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، تتجلـى فى انعدام مجالات التعبير والجهد والصـدع بالفكـرة الاسلامية ، والراي الاسلامي ، والتعليق الاسلامي ، والخبر الاسلامي . ولهذه الاسباب جميعا ، يظـل دعاة الاسلام منعزلين تماما ، أو يكادون ، عن الحياة اليومية ، المتدفقة ، المتطورة ، المتقلبة لشعوبـهم . وتظل هذه الشعوب ، نتيجة لهذا الانعزال المرغم ، بعيدة عن المناخ الاسلامي الذى لا يخلقـه الا رواج الفكر الاسلامي على اوسع نطاق ، وبايسر السبل . وليـس ثمة من سبيل لنشر الفكر الاسلامي ، بالسرعة المطلوبة ، الا بوسائل الاعلام المتعددة .

نخلص مما ذكر ، أن دعاة الاسلام لم يحسنوا استغلال الاعلام فى مجالات الدعوة الاسلامية ، فى حين احسـن دعاة المذاهب الهدامة ، من شيوعية ، وراسمالية ، وصهيونية ، وماسونية ، ووجودية ، استخدام هذه الأداة الخطيرة ، وذهبوا الى ابعـد حدود الاستغلال . ومطلوب من دعاة الاسلام افرادا وهيئات ، على المستويين الشعبي والرسمي ، تطوير اداة الدعوة ، والالتجاء الى اجهزة الاعلام ، باعتبارها لغة العصـر ، واكثر الوسائل تأثيرا واكثرها تداولا بين النـاس ، على مختلف مستوياتهم ، يتساوى فى ذلك ، الغني والفقير ، بل الأمـي والمتعـلم ، وهذا الاخير والمثقف .

— * —

محاولة ايجاد نظرية اعلاميـة اسلاميـة

كما اسلفت ، فانا موقن ، انه ليس هنـاك نظريـة اعلاميـة اسلامية ، وأن المسلمين ، فى هذا المجـال الحيوي والخطير فى آن ، مقلدون ، ومنساقون ، على غير هدى ، او عن تعمد وسبق اصرار ، بالنسبة للبعض منهم ، فى بعض الاحايين ، وانهـم بذلـك ضحايا الغزو الاعلامـي ، كمـا كانـوا ، الى زمـن قريب ، ضحايا الغـزو العسكـري والاستيطانـي . وتقتضي ضرورة تغيير واقع المسلمين ، فى ميادين الفكر والثقافة ، بالاضافة ـ طبعـا ـ الى تغييـر

الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وفق منهج الاسلام، تقتضي هذه الضرورة الملحة، ايجاد قواعد محددة للاعلام الاسلامي ، بمعنى تنظيم وتطوير واستثمار الاعلام في الدعوة الى الاسلام . فهل الاعلام ـ اولا ـ صناعة ؟ . فما هي ـ اذن ـ عوائد هذه الصناعة ؟

ليس من شك ان الدعوة الى الله واجب ومسؤولية ورسالة لا مناص من ادائها ، والاضطلاع بها . بل الدعوة الى الله (بمعنى التبشير بالاسلام ودعوة الناس اليه) احد اسس المجتمع الاسلامي . ويعتبر التخلي عنه ، تخليا عن دعامة قوية ، عليها يقوم بناء كيان المسلمين . واحسب ، بل اني اعتقد شديد الاعتقاد ، ان مسؤولية الدعوة الاسلامية ثقيلة لا يتحملها الا أولو العزم والراي والبصيرة من هذه الامة . ومن ثمة كانت المسؤولية مضاعفة ، وذات شقين ، تقتضي الامانة والصدق وحسن النية في الجهاد ، وملازمة هذه النية الداعية الى الله ، في كل الاحوال . ولما كان الامر بهذا الثقل ، وهذه القيمة ، كان صرف الاهتمام الى التفكير في وسائل الدعوة وادواتها اسبق بالاعتبار . ولذلك فاني ارى ان قواعد الاعلام الاسلامي ينبغي ان تتحدد في النقط التالية :

1) عرض الفكر الاسلامي وتقديمه الى الناس باللغة التي يفهمها الجميع ، وهذا يتطلب مراعاة الاهتمامات العامة ، بما في ذلك تباين الآراء ، واختلاف وجهات النظر . والاعلام الاسلامي يجب ان يخاطب كل فئة على حدة ، وهذا لا يشتت الجهد ، ولا يحمل رجل الاعلام الاسلامي ما لا يطيق ، كما قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى . ذلك ان مخاطبة الناس على قدر عقولهم شرط أساسي في الاعلام الاسلامي . يقول المفكر الاسلامي الجزائري مالك بن نبي في هذا الصدد :

« .. اخشى ما نخشاه الافراط في التعقيد من طرف اولئك الذين يتزعمون الحركات الاسلامية ـ في أساليب ولغة دعوتهم ـ مع اعترافنا لهم بالفضل وبحسن النية على الاقل ، والتفريط من اولئك المستهترين الهائمين التائهين في متاهات حضارة يفقدون كل تصور صحيح لاصولها وجذورها في التاريخ الغربي ... فهؤلاء (كذا) الطرفان لا يستطيعان اليوم القيام بالدعوة الاسلامية لان احدهما يحجبها بالافراط والآخر بالتفريط ... » (2)

2) تقديم الصراعات الدولية ، من احداث واخبار ، ولقطات على ضوء الاسلام ، بمعنى تفسير الخبر والحدث واللقطة من وجهة نظر اسلامية . ذلك أن « **الدعاية من جانب واحد تعزز الآراء الموجودة بدلا من أن تحدث تغييرات .. الا ان هذا الوضع يتغير اذا قدمت وسائل الاعلام الشاملة مناقشات بانتظام وعرضت آراء مختلفة بصورة طبيعية ..**» 3) .

3) المواجهة المستمرة للجاهلية ، للافكار والمذاهب والآراء التي تناصب الاسلام العداء ، وتغتصب قيادة البشرية دونما حق واستحقاق ، وهذا يقتضي ـ بطبيعة الحال ـ رد الصاع صاعين ، والوقوف ندا لند مع أجهزة الاعلام الشيوعية والصليبية والصهيونية ، ويقتضي من جهة أخرى التطوير المستمر للاعلام الاسلامي تقنية واسلوبا واداة .

(يتبع بحول الله)

الرباط ـ عبد القادر الادريسي الفلبزوري

---

(2) « الدعوة الاسلامية بين الامس واليوم » ـ مالك بن نبي ـ مجلة « جوهر الاسلام » . ع : 6 . صفر 1392 . ص : 51 .

(3) « رياح التغيير الجديدة » ـ ترجمة : فؤاد الموساتي ـ من منشورات « آفاق جديدة » ، ص : 106 .

حول الفكر المحافظ

للأستاذ عبد العلي الوزاني

ذكرت الفكر المحافظ عرضا فى بعض مقالاتي السابقة . والآن أعود اليه ، قصد تناوله بشيء غير قليل من الايضاح ، وتسليط بعض الاضواء على القضايا المتصلة به ، مدفوعا الى ذلك بالرغبة فى انصاف هذا الضرب من الفكر ، وبيان ما يستطيع ان يسديه من خدمات ، وما يضطلع به من أدوار ، ومدفوعا أيضا بالرغبة فى تجليته على حقيقته ، مجردا عن الطفيليات التى علقت به ، وطمست معالمه فى اذهان الكثيرين . فهي دراسة وصفية تقييمية اذن ، تتولى وضع الاصابع على الخصائص التى منها يتكون هيكل هذا الفكر ، وتحاول الوصول الى التفاعل الحاصل بينه وبين المحيط الفكري العام ، كي تتضح من خلال ذلك قابليته لان يكون من القوى الفكرية الحية الفعالة .

ان المتتبع لما يكتبه الكاتبون عن شؤون الفكر عامة ، يلاحظ بكل اسف ان عبارة « فكر محافظ » على السنتهم وشباة اقلامهم ، تكاد تكون مرادفة تماما لعبارة « فكر رجعي » فالمحافظة والرجعية فى الفكر لديهم ، اوشكت ان تزيل نهائيا كل فاصلة بينهما، لتلتحما وتذوب احداهما فى الاخرى . وهذا فى اعتقادي تعسف ، وخروج بالاشياء عن طبائعها ، وضرب من التلاعب بالالفاظ، يجمل بمن يحترم قداسة الفكر ان يترفع عنه . وكثيرة هي الكلمات التى هي من هذا القبيل ، من حيث التباسها فى اذهان بعض الناس بمعنى من المعاني الطفيلية ، الامر الذى جعلها لا تنفصل عنه فى جولتها الطويلة عبر العقول والاذهان وصفحات الكتب والصحف والمجلات ، حتى لتوشك معانيها الاصيلة ان تتلاشى، ولا يبقى بارزا الا ذلك المعنى الطفيلي ، فتكون مثل النبات الاصيل ، تلفه النباتات الطفيلية وما تفتأ تلفه مرات عديدة ، الى ان تختنق فيه الانفاس .

اما بعد ، فما هو هذا الشيء الذى ندعوه فكرا محافظا ؟ ان الفكر فى تحركه وخطوط سيره، يتحكم فيه عاملان : عامل الثبات ، وعامل التطور. الثبات يقتضيه الاحتياج الى الاستقرار فى المناهج والاصول التى تكون هي القاعدة الاساسية لكل انطلاق او تفتح . والتطور تقتضيه طبيعة التفاعل الحادث بين الفكر ، وبين العوامل الخارجية المحيطة به ، وبينه وبين نفسه ، من حيث انه مجموعة من العناصر السالبة والموجبة ، والمتلاحمة بطريقة تتولد عنها شتى الافكار والنظريات التى لا تعرف حدا تقف عنده ، فى تحولاتها وتفرعاتها وتنوعاتها العديدة . فعنصر الثبات هو الذى يسمح لنا ان نتحدث ـ مثلا ـ عن عقائد المفكرين واتجاهاتهم ، وعن المدارس الادبية والفكرية ، وعن الصراع الفكري بين الاجيال ، وما هو من هذا القبيل . وعنصر التطور هو الذى يسمح لنا بالحديث عن المراحل التى اجتازها الفكر فى عصر او فى عصور مختلفة ، او عن التحول الثقافي فى مجتمع من المجتمعات ، وعن اوجه الشبه والاختلاف بين الآداب والثقافات فى

مسيرتها التاريخية ، وانتقالها بين عدة شعوب وحضارات وما الى ذلك .

وهذان العنصران قد يسيران متوازيين منسجمين . بحيث يكون بينهما نوع من التوازن ، ولكنهما قد يفقدان احيانا هذا التوازن ، فيطغى احدهما على الآخر ، فتنشأ عن ذلك اوضاع فكرية متناقضة فيما بينها ، وقد يصعب التوفيق بينها بصورة من الصور . اذ ان تغلب عنصر الثبات على عنصر التطور ، من شأنه ان يؤدي الى وقوع الفكر في سلسلة من الاغلال تعوقه عن الانطلاق ، وتفقده المرونة . فاذا كانت نسبته الى عنصر التطور نسبة ساحقة ، كان من الطبيعي ان يسلم الى الجمود الفكري والعقم الادبي . على حين ان تغلب عنصر التطور على عنصر الثبات ، يجعل الفكر متنطعا طائشا مراهقا ، مفتقرا الى الارضية الصلبة التي تهبه شخصيته الواضحة . والمحافظة في الفكر تبدا من التوازن بين العنصرين والتكافؤ بين الطبيعتين ، مارة بمراحل من ازدياد نسبة عنصر الثبات بالقياس الى عنصر التطور ، الى ان يتمكن الاول من اكتساح الثاني والسطو على حدوده ، فيتحول الفكر حينئذ الى ضرب من الجمود ، والموت الادبي الذي يصح ان نقول عنه ، انه رجعية وتأخر وتخلف ، ولكن لا يصح ان نسميه محافظة ، اذا كنا نريد بالمحافظة معناها الحي الخلاق .

واذن فالمحافظة في الفكر لا شأن لها بالجمود والتحجر ، لانهما يخالفان طبيعتها ومعناها الذي لا يمكن ان يخرج عن مجاله المحدود . ولكي نزيد ذلك وضوحا نقول : ان التوقف عن الخلق والابداع باي شكل من الاشكال ، لا يمكن عده محافظة لان رجل الفكر المحافظ هو الذي يتمسك بمجموعة من المبادىء والاصول ، دون ان يمنعه ذلك من الاستجابة لعوامل التطور ، والا استحال من مفكر محافظ الى انسان رجعي خامل متخلف غير صالح للحياة . وامض بنا قليلا لنحلل العناصر التي تتركب منها هذه المحافظة الفكرية . اننا اذا حللناها نجدها تتكون مما ياتي : اصول وقواعد يراد لها ان تبقى وتعيش ، كمكاسب برهنت الايام على صلاحيتها واهليتها للبقاء ، الا ان هذا لا يتاتى الا باعطائها صفة الاشياء الحية النابضة، القادرة على المقاومة والاستمرار . ولا يتاتى لها ذلك بدون عنصر آخر لا غنى عنه مطلقا متى استهدفت هذه الغاية ، وهو جعلها ـ اي الاصول والقواعد ـ متفاعلة مع الجاذبيات الفكرية ، متجاوبة مع احداث الفكر ووقائعه الحاصلة هنا وهناك . وتفاعلها وتجاوبها هذان ، مما لا يجعلها تبقى بمعزل عن التأثر بالعوامل الداخلية والخارجية الكثيرة ، التي تفرض عليها ان تكون مرنة الى حد ما . وليس في تاريخ الفكر الانساني اي رجل فكر محافظ ، استطاع ان يقف قويا وسط رجال الفكر المختلفين عنه في الاتجاه ، دون ان يكون ملقيا اذنيه الى اصداء الفكر ونبضاته المتوالية ، في الوقت الذي يحافظ فيه على اصالته لا يريد التخلي عنها . ولا معنى لان نفكر سواء كنا محافظين او ثوريين ، دون ان تكون افكارنا صدى لمجموعة من ردود الافعال ، تجاه شتى العوامل والدوافع الآتية من محيطنا الفكري ، ومن المحيطات الفكرية الاخرى .

وطالما كانت حياة الفكر ، اي فكر ، تقوم على اساس من ذينك العنصرين ، فان من الطبيعي ان يكون كل فكر محتويا على نسبة من المحافظة لابد منها ، كي يعتمد على مجموعة من القواعد والاصول. الفكر الثوري نفسه لاغنى له عن هذه النسبة من المحافظة، نظرا لكونه ارتضى لنفسه نوعا من الاسس الفكرية يتخذها كمنطلق . ولكنه مع ذلك لا يسمى فكرا محافظا لا لان عنصر المحافظة لا وجود له فيه ، وانما لان كلمة (محافظة) احاطت بها ملابسات ، ودخلتها معان شوهت مدلولها ، وجعلت كل فكر ثوري لا يرضى ان يوصف بها . ولا يسمى بهذا الاسم من جهة ثانية ، نظرا لكون نسبة المحافظة فيه ، تعد ضئيلة اذا هي قيست بعنصر التجديد والتطور ، بمعنى ان رجل الفكر الثوري لا ينظر الى الاصول التي يتحرك في اطارها على انها مقدسة لها حرم آمن مصون ، وانما ينظر اليها على انها دائما قابلة للتغيير . فاذا جد من التطورات الفكرية ما يقتضي ازالتها او تعديلها ، تخلى عنها ونبذها مستعيضا عنها بغيرها ، في الوقت الذي يحرص فيه رجل الفكر المحافظ على اصوله الفكرية ، ويعتنقها كما يعتنق رجل الدين عقيدته ، لا يستطيع التخلي عنها ولو قامت من حوله القيامة .

نحن اذن نربط المحافظة بعدد من الاصول والقواعد القارة الثابتة ، ونتخذ من ذلك سبيلنا الى اعتبار الفكر الثوري نفسه محافظا بمعنى من المعاني ، باعتبار ان له هو الآخر اصوله وقواعده التي يعتمد عليها وينطلق منها . الا ان ذلك لا يمنعنا من

الاعتراف بأن الاصول والقواعد لا تكون دائما ثورية ، فهي قد تقلب عليها صفة المحافظة ، وحينئذ يكون هناك فرق آخر بين فكر محافظ وآخر ثوري ، وهو يتجلى فى نوع الاصول والقواعد التى يعتمدهـا كل منهما ، دون ان يخل ذلك بالحقيقة التى قررناها منذ قليل ، وهي ان جوهر المحافظة ينبني على اصـول وقواعد ، وانه حيث توجد هذه الاصـول والقواعـد توجد المحافظة ولو بنسبة ضئيلة .

اما الفكر الرجعي فى اعتبـاري ، فهو غيـر الفكر المحافظ ، اذ ان بينهما فوارق لا يمكن التغاضي عنها او اغفالها . اولها ان الفكر الرجعـي ينظـر الى الوراء ، ولا ينظر الى الامام ، محاولا ان يجعل من مرحلة من تاريخ الفكر حاضـرا ومستقبـلا ، وان يلبس هذا الحاضر ذلك المستقبل ثوبا عتيقا وليس على قدر قامتهما ، ولا هو منسجم مع ابعادهما ، معنى ذلك انه يريد ايقـاف حركة الزمـن ، وجعـل التاريخ يكف عن السير ، مرتدا بعقارب السـاعـة الى الوراء ، ودائما الى الوراء ، الى ان تقف عنـد رقـم تاريخي تجمد عنده بصفة نهائيـة . فهو التوقيـت لما مضى وما هو حاضر وما هو آت . وهو الدرجة الوحيدة فى السلم الحضاري ليس لها قبل ولا بعد. ومن ثم فهو يجعل الطفل يتحكم فى الرجل ، والحجر الصغير يطاول الجبل الشامخ ، والنبتة الصغيـرة تتعاظم امام الشجرة العظيمة .

والفكر الرجعي لا يتفاعل مع احداث السـاعـة وقضاياها ، ولا يعيش كل عصر ، نافذا الى ابعـد اعماقه وارحب آفاقه ، ولا يمتص عصارة ما يهبـه الفكر الانساني ، ليحولها الى دوافع تدفع به نحو الافضل والاجـود ، وانما هو فكـر متفرج ، يقـف مشدوها فاغرا فاه ، غارقا فى ظلمـات التعصب ، امام موكب الحيـاة الذى يمر امامـه فلا يراه ولا يتجاوب معه ، لانه ليـس من شهوده الحاضرين بوعيهم واحساسهم بالاشياء المحيطة بهم . وما كذلك الفكر المحافظ ، اذ هو بالرغم من تمسكه بمقاييسـه واصوله القارة الثابتة ، يتصـف بشيء من روح المغامـرة ، ويساير الزمن ، ويتفهم مشاكل كل عصر ، ملتمسـا لها حلولا من جنس المعين الذى انبثقت منه ، يريد ان يفرض لهمكانة فى جميع العصور ، وان يكون له قيادة خاصـة ، تقوم على اساس الامتداد الى الجماهير القارئة ، لتملك عليها سبلها ، وتاخذها من جميع اقطارها ، بالافكار الجريئة ، والآراء الشجاعـة ، بحيث كثيرا ما تصيب منها مواطن الاقتناع ، وترضي فيها ميول المعرفة . فمحمد عبده ، وجمال الديـن الافغاني ، ورشيد رضا والعقاد وحسن البنا ، وسيد قطب ، وغيرهم وغيرهم ، لم يكونوا رجـال فكـر رجعي ، وانما كانوا رجال فكر محافظ ، له ثوريتـه الهادفة ، واصالته العريقة ، وجولاته فى آفاق هذه الحياة ، يذرعها طولا وعرضـا ، يناقـش القضايا ، ويفحص الآراء ، ويمد انظاره الى شؤون السـاعة ، ويجاذب الفلاسفة والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم ثوب المعرفة ، ويزاحمهم بالمناكب القوية ، والسواعد الفتية ، على اجتلاء حقائق الاشيـاء ، واستكنـاه بواطن الامور . وقد كان رجعيـو الفكـر ولا زالوا يأخذون عليهم تحررهم الاصيل ، لكونهم خلعوا عن انفسهم اسمال الكهف ، وخرجوا الى النور ، والى الهواء الطلق ، ليستقبلـوا اشعـة الشمـس ، ويستنشقوا عبير النسمات. ولكنهـم مضـوا فى سبيلهم واثقي الخطوات ، مستأنسيـن بالايمـان المترقرق فى نفوسهـم ، وانوار الفكـر المتألقـة فى عقولهم ، يقيمون للفكر المحافظ صروحا عالية خالدة، تنتصب شاهدة على ما تستطيع المحافظة الفكرية ان تصنعه ، عندما يقيض الله لها رجـالا عباقـرة مـن زمرة الخالدين .

وثاني تلك الفروق ان الفكر الرجعي ليست له فلسفة فى الحياة ، ايا كان شكـل هذه الحيـاة ، ولاسيما الحياة العصرية بتحدياتها وما تزخر به من انجازات هائلة ، من شأنها ان تحمل رجل الفكر على مراجعة كثير من القوالب الفكرية الجاهزة التى قد يكون مقتنعا بها ، ولا غرابة فى ذلك ، اذ هو منكمش على نفسـه ، مغلق عليه كل الابواب والنوافـذ ، لا يتفاعل مع مصادر الفكر الاخرى ولا يأخذ ولا يعطي؛ له اقتناعه الذاتي الذى يدفعه الى معاداة كل ما جد فى عالم الفكر ، حتى لا يضطر الى بعض التنـازلات التى تقتضيها وقائع الحيـاة المادية والمعنويـة فى تجددها المستمر . ومن ثم فهو ليست له فلسـفـة ، لا فى اقتصاد ولا فى اجتماع ولا فى سياسة ، ولا فى اية ناحية اخرى من نواحي الحياة . على حين ان الفكر المحافظ على العكس من ذلك ، فقد اثبت انه صالح للبقاء ، لكونه تمكن من اعطاء الصياغة الفكرية الاصيلة البناءة الهادفة فى كل الميادين ، وعبـر عن وجهة نظره فى كثير من مشاكل العصـر وقضايـا السـاعة ، مقدما برنامجه الواضح ، وخططه العتيدة ، كي تقف فى مواجهة البرامج والخطط التى وضعتها

الاطراف الاخرى ، كمساهمة ايجابية منه ، لتحديد النمط الذي يجب ان يقضي الناس حياتهم عليه ، كطريقة للخلاص من المشاكل الحياتية المادية والمعنوية التي يتخبطون فيها . فهو ليس فكرا انهزاميا ، يقتنع من حل المشاكل بتركها ، وانما هو فكر طلائعي ، يتصدى للتناقضات والتعقيدات ، ليعرضها على الذهن الواعي والعقل الحصيف ، قصد غربلتها وتبين وجه الحقيقة فيها ، حسب ما ارتضاه من معايير ومقاييس ، متحملا نصيبه من المسؤولية الفكرية عن الناس الذين اليهم يتوجه بالراي والتوجيه . والشعور بهذه المسؤولية يعتبر فارقا آخر بين هذين الضربين من الفكر ، طالما كان الفكر الرجعي لا يقع في موضع المسؤولية ، لكون المسؤولية تتطلب الابتعاد عن الكسل والخمول ، واخذ الاسلحة اللازمة لمجابهة الوقائع والاحداث ، والنضال ضد آفات التخلف ، ومنازلة الخصوم والمناوئين ، وهذا ما لا طاقة للفكر الرجعي به ، على اية صورة من الصور . ولهذا جاز لنا ان نقول عنه انه يوجد خارج معركة الحياة . اضاع اسلحته القديمة ، وعجز عن استعمال اسلحة جديدة ، وكان من الحياة العقلية على الهامش ، كعضو اشل في جسم موار بعناصر الحياة .

وفرق آخر بينهما ، وهو ان الفكر الرجعي غير متطور ، لان التطور سنة الحياة ، اما هو فجامد متحجر ، قد جفت فيه ينابيع الحياة ، مع انه قد يكون منتميا الى اصول كانت ابان ظهورها لاول مرة حدثا بارزا قلب موازين الاشياء راسا على عقب ، ولكن بمرور الزمن جمد عليها ، عاجزا عن استغلال طاقتها وامكانياتها محيلا اياها الى هياكل عظيمة اثرية تصلح للاعتبار والاذكار ولا تصلح لخوض تيار الحياة الجارف المتجدد باستمرار . اما الفكر المحافظ فقد نجح في اعطاء الاصول التي يعتمد عليها صفة الكائنات الحية التي تعيش بكل ما في معنى العيش من تطور وفاعلية واستجابة ، وبذلك خرجت عن ان تكون من مخلفات الماضي لا اقل ولا أكثر ، آخذة باسباب الانفعال بماجريات الحياة ودوافعها المختلفة ، نعم قد يلتقي الفكر الرجعي مع الفكر المحافظ في هذه الاصول ، او في البعض منها ، ولكنه التقاء اغصان الشجرة وفروعها بالجذور الضاربة في اعماق الارض . فما تخشب منها وماتت فيه شرايين الحياة ، يكون قد فقد علاقته بالاصل وان كان ما زال عالقا بالشجرة ، وما احتفظ منها بعنصر الحياة يتصل بالاصل اتصال الشلال بالينبوع ، والضياء بالقمر ، والموجة باعماق المحيط . واذا كان الفكر المحافظ متطورا فلهذا السبب ، ولسبب آخر ، وهو انه لم يقطع صلته بكل فكر جديد ، وانما اخذ يحاوره ويبادله الراي ، ويستدرجه الى الاقتناع بوجهة نظره . ويمكن للدارس ان يلاحظ ان هذا الفكر قد تطور سواء في مناهج الدرس والبحث ، التي لا سبيل الى انكار انه استفادها من معطيات الفكر الحديث ، او في نوع القضايا التي اخذ يناقشها ، وهي القضايا المتصلة باوضاع العصر ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد وما الى ذلك ، مع الاعتراف مرة اخرى بانه استفاد من احدث النظريات التي اسفر عنها الفكر الحديث ، فكانت له عاملا مساعدا مكنه من استغلال مزايا النظام الفكري الذي يمثله ، واعطاه سلاحا من نوع سلاح الخصوم ، يبرر به مواقفه وفلسفته ، ففرق كبير بين القضايا التي كان يتناولها قادة الفكر العربي المحافظ في مطالع هذا القرن ، وبين القضايا التي اصبح يناقشها قادته الجدد في هذه الايام ، ذلك ان كل رجل فكر محافظ انما يتناول منها ما يتصل بزمانه ، والظروف الحضارية التي يجتازها العالم من حوله ، كما ان هناك فرقا كبيرا بين المنهاج المتبع عند السابقين ، والمنهاج المتبع عند اللاحقين ، من طرف البحث وأساليب المناقشة .

ويمكن ان نضيف الى ما تقدم من فوارق بين الفكرين ، كون الفكر الرجعي لا يملك الا البكاء على المقدسات الضائعة ، يرثيها ويندب حظها مكتفيا بترديد ذكرها في خشوع قد يكون له ثوابه عند الله عز وجل ، مع صب لعناته على العصر والتشهير بآفاته ومباذله ، ورمي أهله بالفسوق والكفران ، مستخدما في ذلك لغة عاطفية خالية من اي مضمون ايجابي حي ، يحمل على التدبر والتامل ، ويتحدى العقول ان تجد لتساؤلاته جوابا مقنعا . في الوقت الذي نجد فيه الفكر المحافظ لا يستخدم هذا الضرب من اللغة ، وانما يستخدم لغة اخرى عمادها الراي المحض ، والفكرة المنطقية ، والتركيز الذهني الصارم الذي لا مجال فيه للغة الدموع وتصعيد الزفرات . وبهذه اللغة استطاع هذا الفكر ان يدخل في نقاش مع انماط الفكر الاخرى ، ويفرض عليها الاجابة على اسئلته والرد عليه . وبفضل هذه اللغة بقي هذا الفكر موجودا الى اليوم، بالرغم من عوامل الهدم الكثيرة ، التي تحيط به من كل جانب في عصرنا هذا . وبدونها

كانت ستكون هوة سحيقة وحلقة مفقودة بين أصول الحضارة القومية ، وبين الفكر الحديث . وحينئذ تتعرض جميع آثار الماضي ومبادئه الى آفة كبيرة ، بوصفها ذات طابع فكري قابل للمناقشة . اما وقد وجدت هذه اللفة ، فقد استحال ذلك ، واحتفظت الحياة العقلية بنوع من التوازن بين يمين الفكر ويساره ؛ بين احسن معطيات الماضي ومنجزات الحاضر . وعلى ذكر هذا التوازن ، ينبغي أن نعرف انه يكاد يكون من المستحيل ان تكون هناك حياة عقلية صحيحة البنية بدونه . ذلك ان مقاليد الفكر لو القي بها الى الفكر الثوري وحده ، لكان الناس ينكرون من شؤونهم اليوم ، ما سبق لهم ان اقروه بالامس ، وينكرون منها غدا ما اقروه اليوم ، وما تفتا افكارهم قلبا حولا يهيمن عليها الاضطراب والفوضى . وبذلك تكون الحياة العقلية غير ذات تقاليد راسخة ، تقيها شر الزلازل والهزات التى قد يكون ضررها اكثر من نفعها . فوجود الفكر المحافظ فى مقابل الفكر الثوري مع وجود شيء من التعادل بين الطرفين (ولا بأس بوجود نوع من التناوب على الرجحان احيانا ، كضرورة تقتضيها طبيعة التطور ومتطلبات تغير ظروف الفكر) مما يقيم شيئا من التوازن بين اتجاهات الحياة العقلية ، ويبقى على تقاليدها العلمية والادبية راسخة تهبها شخصيتها ، وتساعد على الربط المحكم بين ماضيها وحاضرها وتحافظ على وحدتها ومكاسبها ، وتحيط التراث الحي الخالد برعايتها ، ليبقى دائما مشعا موحيا ومصدرا من مصادر الالهام للادباء المفكرين .

هذا الفكر المحافظ لا يوجد على درجة واحدة من القوة والفاعلية ، وانما هو ذو مستويات ، ونحن لم نتحدث الا عن اقواها وانضجها ، واقربها الى اسباب الابداع والخلق . والا فهناك مستوياته الاخرى التى قد لا يصدق عليها بعض ما قلناه عن خصائص هذا الفكر . ويعتبر مستواه الادنى قريبا جدا من الفكر الرجعي ، لا يفصل بينهما الا خيط رفيع . وكثيرا ما نجد الفكر المحافظ يأخذ فى الضعف رويدا رويدا الى ان تزايله كل الصفات الايجابية الرفيعة ، فيتحول الى ذلك الفكر الرجعي ، مكتسبا جميع خصائصه ومميزاته ، وحينئذ يكون قد اساء الى نفسه اساءة بالغة ، واعطى خصومه الحجة التى يتذرعون بها عندما يشنون عليه حملاتهم القوية المركزة ، وهو — اي الفكر المحافظ — ليس له خط سير مستقيم يتحرك فيه ، شأن سائر انماط الفكر الاخرى ، وانما مسألة القوة والضعف فيه ، راجعة الى ظهور بعض قادته الاقوياء فى بعض الفترات واختفائهم فى اخرى. وظهورهم أو اختفاؤهم لا يمكن رده الى ضابط او قانون ، ذلك انه ما زال من الظواهر التى نجهل اسبابها لحد الآن .

والفكر المحافظ اسسه التاريخية والنفسية والعقائدية والاجتماعية التى يرتكز عليها ، واليها تعود كثير من العناصر التى يتركب منها، وبها تفسير جميع مواقفه الماضية والحاضرة والمستقبلة. وهي التى علينا تحليلها فى هذه النقطة من هذا الحديث .

فمن حيث الاساس التاريخي ، يلاحظ ان الفكر المحافظ فى الحياة العقلية العربية الحديثة ، ان هو الا امتداد لمدارس الفكر الاسلامي ، التى ازدهرت فى الاعصر الذهبية لتاريخ الحضارة الاسلامية ، مع كثير من التطورات التى تقتضيها طوابع العصور التى مر بها الى ان وصل الى عصرنا هذا فأخذ يتأثر بجوه العلمي والفكري ، وينفعل بمظاهر حضارته المادية والمعنوية . فهو اذن يقوم على اساس التراث العربي الاسلامي ، ويمت باقوى الصلات والروابط الى الافذاذ من رجالات الفكر الاسلامي السابقين . كما انه يرجع فى كثير من اسرار مزاجه الادبي وذائقته الفنية ، الى نصوص ذلك التراث الادبية ، اذ يجد فيها لذة ومتاعا ، وينضج ملكاته الروحية على التمرس بروائعها وآياتها الفذة الخالدة . وقد صادف فى هذا التراث من الترف العقلي والفني ما فتح المجال امامه واسعا لاستيحائه والاقتباس منه والتماس المادة العقلية والفنية قصد افراغها فى قالب العصر ، واعطائها ثوبا قشيبا من اساليب هذه الايام . وصلته هذه بالتراث قد تعرضت فترة لجمود شديد ، ولكنها لم تلبث تحت تأثير اليقظة العربية الحديثة ان انتفضت من جديد ، وتجددت فيها بواعث الحياة ، فاستأنفت سيرتها الاولى ونشاطها القديم . ويتصل بذلك ان البلاد العربية قد عرفت عدة مراكز الفكر المحافظ ، تتولى حفظه ورعايته وتعهده بالسقيا ، وهي عبارة عن معاهد الدراسة الاسلامية المتمثلة فى الازهر والزيتونة والقرويين والنجف الاشرف وغيرها . اذ تكون فى مجموعها معاقل للاصالة الفكرية العريقة ، تقف فى مواجهة مدارس التغريب الغازية ، المثبتة فى مجتمعاتنا

العربية كلها تقريبا . واذا كنا نعرف ان هذه المراكز ، كانت الى وقت قريب تتزعم الرأي فى الامة العربية والاسلامية كلها ، وتخرج قادة الفكر ، ورجال الاصلاح الاجتماعي والسياسي والثقافي ، مع ما يرتبط بذلك مما اصابت من نجاح وتوفيق بوآها فى عقول الناس وقلوبهم منزلة عالية ، ادركنا سر تشبث الفكر المحافظ بهذه المراكز ، ودفاعه عنها واحتمائه بظلالها ، رغبة فى بعث اسلامي جديد ، ويقظة روحية قوية ، تصل الماضي بالحاضر ، وتعيد للتراث اعتباره التاريخي ، المتعرض للضياع بين رغبات المجددين ، وتآمر الانتهازيين .

ان الطابع التاريخي ليتجلى فى مرآة هذا الفكر بصورة واضحة جدا ، وربما كانت ابرز من غيرها ؛ نظرا لكون الحفاظ على التراث هو جوهره الحي ، وغايته المرجوة . فهو ما سمي محافظا الا لانه يحافظ على هذا التراث، ويحميه من الضياع والاندثار . ولئن كان طابعه التاريخي هو ما اعطاه صفة المشروعية، فهو المطعن الذى يناله منه خصومه الكثيرون ، ولذلك نجده يبذل جهدا كبيرا من اجل ابراز التراث فى اروع الحلل واجمل الازياء ، مستثمرا ما يحمله فى طياته من عناصر القوة ومظاهر الامتياز ، وهي مهمة شاقة وسط التيارات الفكرية العالمية المعاصرة . وهو عندما يحافظ على تراث الماضي ، ويجاهد لابراز قيمه الرفيعة، يعمل وكأنه يخلقها خلقا جديدا ، لكونه يقبل عليها فاحصا متذوقا متلذذا ، يخضع فى ذلك لكل ما يحمل فكره وذوقه ووجدانه من طابع العصر الذى يعيش فيه ، ويصدر عن تجربته المعاصرة ، مضيفا اليها تجارب الناس الذين تاثر بهم مباشرة او بطريق غير مباشر . ومن ثم فهو يضع فى تلك القيم كثيرا من معطيات عصره احب ام كره ، ويديرها على معان وتصورات ، ما كانت لتدار عليها ، لو لم يمسها فكر وذوق فيهما اقباس من وحي ثقافة العصر .

وان لكل نمط من انماط الفكر تاريخا بوجوده تتحدد خطوطه العريضة ، واتجاهاته المتفرعة ؛ الا ان ما يميز الفكر المحافظ عنها فى هذه الناحية ، كونه لا يتصل بالماضي اتصال التسلسل الزمني بحلقاته الماضية وحلقاته الحاضرة فحسب ، وانما يتصل به اتصال استيحاء وتجاوب وتعاطف ، على حين اننا اذا أخذنا اي فكر آخر ، لا نجده يتصل بماضيه هذا الضرب من الاتصال ، بل هو ينظر اليه على انه مرحلة مضت ، تصلح للدراسة التاريخية الصرفة ، ولا تصلح للاقتداء . وعلى العكس من ذلك يكون الفكر المحافظ . واذا كانت الوان الفكر الاخرى تنظر الى ماضيها القريب ، فان الفكر المحافظ تمتد انظاره حتى الى الماضي البعيد ، دون أن يعتبر مرور الزمن قد نال من قيمته ، أو أفرغه من محتواه، أو جعله غير صالح لبعث جديد .

هذه الخلفية التاريخية للفكر المحافظ العربي ، تتجلى قوية واضحة فيما يتصل بعلوم اللغة ، والادب والتاريخ ، وكذا فى الدراسات الاسلامية ، ولكنها تضعف جدا فيما يتصل بعلوم النفس والاجتماع ، وبالعلوم الصرفة كالطب والرياضيات والطبيعيات . وهذا امر معقول وطبيعي ؛ ذلك ان العلوم الاولى المعروفة بالعلوم الانسانية هي التى تكون الحضارة الفكرية العربية فى العصر الوسيط ، على حين ان العلوم الاخرى منها مالم ينشا الا حديثا بعد اخذه عن امم الغرب ، ومنها ما كان له ماض فى تاريخ العرب الثقافي ، ولكنه قطع من الاشواط فى العصور الحديثة ماجعل ماضيه البعيد أشبه بالمحاولات البدائية . ومن ثم فقد جمع الفكر المحافظ بين روائع الماضي وعلوم الحاضر ، مكونا من الجميع مادته الحية ، فى عملية مزج بارعة ، لعلها ان تكون تجربة جديدة من بين تجاربه فى مختلف العصور .

هذا الارتباط التاريخي بين ماضي الفكر المحافظ وحاضره جعل من الزم ما يلزم الباحث عن واقع هذا الفكر ، وان يدرسه دراسة تاريخية ، بمعنى أن يعود الى الاصول البعيدة التى انطلق منها، كي يضع اصابعه على طبيعة سيره ، ويكشف النقاب عن التيارات المتفاعلة فيه ، اذ بدون ذلك تبقى دراسته ناقصة ، ما دامت اتجاهات حاضره تربطها قرابة كبيرة باتجاهات ماضيه . نعم ، ان الوان الفكر الاخرى تتطلب دراستها احيانا الرجوع الى ماضيها، قصد القاء اضواء على حاضرها ، ولكن اذا اريد بذلك مجرد بيان تاثر الحاضر بالماضي ، على نحو ما تكون الوراثة التاريخية العامة ، او عقد مقارنات وموازنات بينهما . اما بالنسبة الى ماضي الفكر المحافظ فان الملاحظ انه هو نفسه يعيش فى اهاب الحاضر ، ويتمثل فيه على نحو من الانحاء ، ويكون الكثير من مفاهيمه وقضاياه . ومن ثم كان أمام الدارس له ان يعمد الى العناصر التى يتركب منها هذا الفكر فى مزاجه العام ، ليرد التاريخية منها

الى مصادرها ، والحاضرة الى مظانها ، حتى يستطيع ان يكشفه على الوجه الصحيح .

وقد نشأ عن الاساس التاريخي اساس عقائدي الفكر المحافظ فهو يرتكز فيما يرتكز عليه ، على اساس الايمان بقيم التراث ومثله ومبادئه ، مع البحث عن المبررات العقلية لهذا الايمان ، بمعنى ان هذا الفكر يومن اولا ، ثم يعلل هذا الايمان ثانيا ، وبذلك يكون الايمان سابقا على الاقتناع في الغالب ، فاذا وجدنا رجل فكر محافظ تقدم عنده الاقتناع على الايمان ، فذلك راجع الى كونه كان خارج نطاق هذا الفكر ، ثم اتضح له من الاسباب ، وجد عنده من الدوافع الفكرية ما عطفه عليه ، او لكونه كان من المشككين او الملاحدة ، فتكشف له البحث عن ضلاله ، وضرورة جنوحه الى المحافظة الواعية المتبصرة . اما اولئك المثقفون الذين نشأوا وتربوا في بيئات محافظة ، ورضعوا البان الثقافة المحافظة منذ نعومة اظفارهم ، فهؤلاء قد تقدم لديهم الايمان والاعتقاد على التفكير والاقتناع . وكلما تقدم الايمان على الاقتناع بشيء من الاشياء ، كان الايمان والاقتناع كلا واحدا تصعب تجزئته افرز عناصره الايمانية عن عناصره الاقتناعية، لما بينهما من تلاحم كبير . كما كان الاقتناع راسخا لا سبيل الى زواله ، مهما كانت الاسباب والدوافع . ذلك ان هناك فرقا بين الايمان المبني على اساس الاقتناع ، والاقتناع المبني على اساس الايمان . ففي الحالة الاولى يكون الايمان معلقا على قوة الحجج والبراهين ، وبما ان هذه لا تعرف حدا تقف عنده ، فكل حجة توجد اخرى تفوقها قوة ووجاهة ، وكل برهان يوجد برهانا اقطع منه ، كان الايمان عرضة للاهتزاز متى ظهر من الحجج والبراهين ما يبز تلك التي يعتمد عليها . اما في الحالة الثانية ، فان الايمان لا يكون معلقا على الاقتناع ، بل ان الاقتناع هو الذي يكون معلقا على الايمان ، ومن ثم فالايمان يكون منيعا يصعب المساس به ، ولو تغيرت درجات الاقتناع او تعارضت الادلة العقلية وتناقضت . وهذا هو السر في كون قادة الفكر المحافظ يعرضون الادلة العقلية على الاصول اليقينية وقلما يفعلون العكس . فاذا تعارضت هذه مع تلك آثروا الايمان على الاقتناع، او انتظروا بالادلة المتوفرة لديهم حتى تنضج وتتحول الى ادلة قوية دامغة ، دون ان يحملهم ذلك على مراجعة الاسس الاعتقادية . وهذا هو السر ايضا في ان الفكر المحافظ زاخر بالقيم الروحية العالية ، مع احتفاظها بعفويتها وحرارتها ، بالرغم من تقادم العهد بها . وهي تكون المزاج الروحي لهذا الفكر ، وتجعله في جزء كبير منه ، يرجع الى طبيعة صوفية تشكل مصدر الهام له ، لا يجف معينه ، وتجنده لمقاومة القيم المادية ومكافحتها ومناهضة كل ما ينبني عليها من نظم وعادات ، متى حاولت هذه القيم المادية ان تتجاوز حدودها وتزحزح القيم الروحية عن مواقعها تمهيدا للاجهاز عليها .

واذا نحن تاملنا نجد ان ايمانه بهذه القيم ، صادر عن ايمانه بالحقيقة المطلقة العليا ، الحقيقة الالهية الابدية ، التي عنها ينشأ الايمان بالتراث العربي الاسلامي . فلولا الايمان بهذه الحقيقة الالهية العليا ، لما كانت للتراث العربي الاسلامي قداسته التي يتمتع بها في الفكر الاسلامي المحافظ . وارتباط قضايا الفكر المحافظ بجوهر الايمان ، الايمان بالقيم الروحية الناشئة عن الايمان بالحقيقة الالهية العليا ، هو في الحقيقة ارتباط المحدود بالمطلق ، والتناهي باللا تناهي ، والبشري بالالهي ، او قل هو ارتباط النظام الطبيعي بالنظام الالهي .

هذه القيم الروحية للفكر المحافظ ، توجد خلف جميع القضايا التي يناقشها تقريبا . فهي من وراء البحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية والفنية والادبية والفلسفية ، بل حتى بعض العلوم الصرفة كالطب والطبيعيات لم تتجرد عن هذه القيم ، بدليل العبارات الدينية المبثة في كتب القدماء التي الفوها في الطب او الطبيعة او علم العقاقير وما اليها ، حيث تمتزج الآراء العلمية بالآيات والاحاديث النبوية وآراء السلف الصالح امتزاجا كليا ، وكأن الكل يصدر عن مصدر واحد . اما كتب الفلسفة فهذه القيم فيها اظهر ، وخير نموذج لذلك قصة حي بن يقظان الفلسفية لابن طفيل، والمقالات والفصول التي امتزج فيها التصوف بالفلسفة عند الغزالي .

وهناك الاسس النفسية للفكر المحافظ ، والدوافع النفسية لمسلمي العصر والعصور الماضية. وهي تثار عندما يواجه المسلم خطرا داخليا او خارجيا يستهدف نسف مقوماته ، وتشويه سمعته، والطعن في مقدساته ، فيهب لمقاومته متسلحا بسلاح العلم والايمان . وحينئذ يكون ذا نفسية متوترة غاضبة مشفقة على المقدسات ان تضيع، وسط المغالطات والمراوغات . وعلى قدر حجم

التحدي ، تكون قوة رد الفعل النفسي . وبما ان عصرنا هذا قد واجه الفكر المحافظ بتحديات خطيرة ، فقد زادت حدة ردود الفعل النفسية لدى قادة هذا الفكر . وبذلك يفسر اقبالهم الدؤوب على منازلة الخصوم والرد عليهم وابطال حججهم ، بطريقة تعلن عن غضبهم المكبوح بالعلم . ولكنه لا بد ان يظهر ويتطاير شيء من شرره ، وهو قد يفسد على بعض الباحثين امرهم ، ويحيلهم الى خطباء يهزون اعواد المنابر ، بدافع من الغضب المتمرد على قيود الموضوعية ، وهذا الغضب يكون غالبا ممزوجا بالخوف من المستقبل ، والاشفاق على التراث ، وخيبة الأمل فى العالم البشري ، والخشية من غضب السماء للجحود الانساني، وترقب المجهول ، وانتظار المفاجآت ، والثقة فى الله عز وجل . وكل ذلك لا يزيد الفكر المحافظ الا انتماء لاصوله . كرد فعل ضد عوامل الهدم ، وضراوة الحرب النفسية ، فيتضاعف انفعاله ، ويقوى عزمه على الصمود ، ومصاولة الخصوم .

والدوافع النفسية توجد خلف كل عمل فكري، كيفما كان لونه واتجاهه ، حتى التجارب العلمية الصرفة ، لا تخلو من هذه الدوافع ، وليس ذلك خاصا بالفكر المحافظ . الا ان هذا الاخير يتحمس اكثر من غيره من الوان الفكر . وهذا الحماس الزائد هو الذى يشكل الفارق بينه وبين الوان الفكر الاخرى، من حيث العلاقة بالدوافع النفسية ، خصوصا فى أوقات ازماته الحادة ، كالازمة التى يجتازها فى هذا العصر . وليس هذا فقط ، وانما هناك امر آخر ، وهو ان رجل الفكر المحافظ ، يجد حركته مقيدة بعدة قيود ، قد لا يكون من يخالفه فى الاتجاه مقيدا بمثلها . وهي عبارة عن مجموعة من القواعد والاصول والمبادىء التى لايستطيع تجاوزها، فهو يستمد منها منطقه ، ويشتق افكاره ، على اعتبار انها مسلمة مبدئيا ، لا تقبل المناقشة . على حين ان الخصم يريد استدراجه للخروج عنها ، حتى يوقعه فى شراك منطقه هو . ومن ثم يحتد الصراع النفسي لدى رجل الفكر المحافظ ، وتكثر مضاعفاته النفسية، بحكم كونه لا يستطيع مجاراة الخصم الى ابعد الحدود، نظرا لان له حدودا التى يجب عليه ان يقف عندها ، من حيث ينطلق الآخر الى آخر الشوط ، متحدثا بأية لغة شاء . نعم ان هذا الخصم غالبا ما تكون له هو الآخر قواعده التى يتحرك منها ، وهي القواعد التى على اساسها يقوم بناؤه الفكري ، ولكنها غالبا ما تدعي انها ليست جازمة ولا قاطعة ولا نهائية ، وانها قابلة دائما للتعديل ، متى ظهر علميا ما ينسخها أو يحمل على اعادة النظر فيها . على حين ان القواعد التى يعتمد عليها رجل الفكر المحافظ ثابتة مستمرة استمرار الظواهر الطبيعية . اضف الى ذلك ان الفكر المحافظ يعيش بين تيارين اثنين : تيار الماضي ، وتيار الحاضر ، فهما يتقاسمانه ويتجاذبانه ، ولا يستطيع ارضاء أحدهما ارضاء كاملا الا على حساب الآخر . وكلما تناول قضية من قضايا الساعة تدخل احساسه التاريخي فى هذه العملية ، وذلك بالرجوع بها نفسيا وعقليا الى الاصول التى قد يكون لها راي فيها يمكنه الاستغناء به عن اي رأي من ذهنية اخرى . فهو شديد الانتماء الى الماضي ، غير غائب عن العالم الذى يعيش فيه . يريد الاستفادة منه بطريقة تزيد انتماءه لذلك الماضي قوة ومتانة . ودائما يكشف له البحث ان فى ذلك الماضي جوانب كثيرة مشرقة حقيقة بالبقاء والخلود. ولكن يصاحب ذلك غير قليل من الحيرة والبلبلة عندما يواجه تحديات العصر التى ربما كانت أحيانا اخطر من ان يتغلب عليها بسهولة .

اما من الناحية الاجتماعية ، فالفكر العربي المحافظ يحتل مركزا اجتماعيا كبيرا ، له جماهيره وانصاره العديدون ، ذلك ان المحافظة الفكرية هي الصيغة المعبرة عن عقليتهم ومزاجهم الديني والنفسي والاجتماعي والذهني ، اذ يعتبرونها ملاذهم الاوحد فى المعضلات الفكرية والمعاشية التى تواجههم باستمرار . ومن ثم فهم يقفون من وراء الفكر المحافظ ، يهبونه التأييد الشعبي الذى يرتكز عليه. سيما وان هذه المحافظة كانت لها مواقف مشرقة أيام الكفاح من اجل التحرر الوطني ، اذ كانت اليها القيادة الشعبية الى جانب القيادة الفكرية والقيادة الدينية . وفعلا فانها حققت انتصارات باهرة ، الامر الذى رفع من قيمة شعبيتها وجعلها موضع الاعجاب والتقدير . والجدير بالذكر هنا ان هذه الشعبية هي شعبية عامة لا تشمل قطاعا خاصا هو قطاع المثقفين المحافظين فحسب ، وانما تشمل حتى الطبقات الشعبية الاخرى التى ليس لها من الثقافة الا نصيب ضئيل ، اوليس لها منها شيء على الاطلاق . واذا كانت صلة المثقفين المحافظين بالفكر المحافظ تعتمد على عنصرين : احدهما روحي ، والآخر فكري ، فان تلك الطبقات الشعبية الخارجة عن اطار العمل الفكري لا يصلها بها الا صلة الروح . ومع

ذلك فهي سند شعبي كبير للفكر المحافظ ، يتسع نطاقه حتى ليتكون من الاغلبية الساحقة في بعض البلدان العربية .

هذا المركز الاجتماعي الخطير لهذا الفكر ، اعطاه مغزاه السياسي الملحوظ ، اذ جعل منه قوة اجتماعية تملك قدرة التأثير على الاحداث ، وتوجيه الجماهير والايحاء اليها والدفع بها نحو اتخاذ مواقف خاصة . واذا كانت المجتمعات العربية تتطور بفضل الاحتكاك بحضارة الغرب وعلومه وآدابه وفنونه ، فان الفكر المحافظ كان من الذكاء في بعض الاوساط، بحيث استطاع ان يتكيف مع كل تطور جديد بقدر الامكان ، وان يستجيب للحاجيات الجديدة الناجمة عنه . وليس معنى هذا انه يستجيب دائما لجميع الحاجيات . فالحقيقة انه لا يشبع كل الاحتياج الفكري ولا يستغرق كل قضايا الساعة . الا ان ذلك لا يمنع من الاعتراف بانه يبذل جهودا مضنية ، من اجل ان يلتمس الحلول المناسبة لطائفة هامة منها . وهذا امر طبيعي ، فقضايا العصر وحاجياته في تجدد مستمر . وهو لا يمكن ان يتسابق معها ويتبارى على قدم المساواة ، نظرا لكونه مثقل الكاهل ، جسيم الاعباء . فهو يحمل عبء المحافظة على التراث ، وعبء التوجيه الشعبي والاجتماعي ، وعبء مناهضة الخصوم ، وعبء اتخاذ موقف من وقائع العصر ومنجزاته وكشوفه العلمية . وهو من جهة اخرى يشعر بنوع من التناقض بين مبادئه، وبين المباديء التي تقوم عليها الحضارة الغربية الحديثة . وهو يقبل بعض معطياتها ، ويرفض بعضها الآخر، فما قبله حاول التوفيق بينه وبين اصول التراث ، وما رفضه كان مطالبا باقامة الدليل على مشروعية رفضه . وهاتان العمليتان تتطلبان منه ان يناضل في واجهتين، في الوقت الذي يكون فيه العلم الحديث ماضيا في طريقه قدما لا يلوي على شيء . الا ان اهم ما يعترض سبيل الفكر المحافظ ويحول بينه وبين مسايرة ركب العلم بكفاءة ، وبنفس خطواته الواسعة الواثقة الجريئة ، هو افتقاره في الغالب الى الثقافة العلمية ، واعني بها العلوم الصرفة ، كعلوم الطبيعة والرياضة والهندسة وغيرها من علوم العصر ، ولكي لا نبعد عن المركز الاجتماعي للفكر المحافظ ، لا نريد تحليل هذه المسالة بما تستحقه من عناية . ونعود ادراجنا لنلاحظ ان ذلك المركز لا يكون دائما آمنا مطمئنا . فقد نجد بعض الوقائع والاحداث التي تهزه هزا عنيفا ، اذ هي تستغل بذكاء من طرف خصومه المناوئين له ، فقد حملوه مسؤولية الهزيمة الاولى والثانية امام العدو الصهيوني ، وحملوه مسؤولية تخلف المجتمعات العربية وبقائها في مؤخر الركب الحضاري ، وحملوه مسؤولية بقاء الاقطاع وسائر الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الفاسدة . واشترطوا لاي محاولة للخروج من هذه الورطات انسحابه من قطر الحياة العقلية ، او ابعاده عن المناطق الفكرية الحساسة بينما اشترط آخرون متطرفون ازالته بصفة نهائية ومحو جميع النتائج المترتبة عليه في جميع ميادين الحياة . وقد كان لهذا الكلام اثره على قطاع هام من المثقفين ، لا يشمل اليساريين وحدهم ، بل يشمل حتى بعض الذين يقفون الى يمين الفكر العربي . واذا كنا لا نعفي الفكر المحافظ من مسؤولية ما يتعرض له من اخطار وازمات ، فنحن لا نستطيع ان نحمله المسؤولية كلها ، ذلك ان له جوانبه السلبية ، ولكن له ايضا جوانبه الايجابية التي سبق شرحها بقدر الامكان .

ويبقى علينا بعد هذا كله ، ان نتناول الفكر العربي المحافظ من حيث مستقبله ، وما ينتظر منه، بناء على التطور الحضاري السريع الذي تمر به الانسانية اليوم ، والذي لابد ان يترك آثاره على الامة العربية في عقليتها وموازينها وواقع حياتها المادية . ونحن بهذا لا نريد ان نقيس هذا الفكر الى الفكر العالمي ، والا كنا نضعه في غير اطاره الطبيعي ، ونطالبه بما لا تنهض به امكانياته التي تمت باقوى الصلات ، الى امكانيات الفكر العربي بصفة عامة . وانما نريد فقط ان نتبين موضعه من عقلية هذه الامة حاضرا ومستقبلا ، بوصفها شريحة فكرية قابلة للاخذ والعطاء والانفعال بطوابع العصر وفتوحاته الفكرية والعلمية .

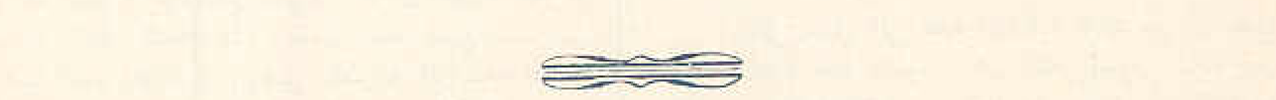
ولكي نصل الى هذه الغاية ، لا بد من ان نضع في اعتبارنا هذه الامور : ان الفكر العربي عامة يمر الآن بمرحلة انتقالية ، ويأخذ في مزيد من التلقح بالفكر العالمي الغازي . وذلك تحت تأثير الضغوط الكثيرة ، التي بدات بالاستعمار القديم ، ثم انتهت اخيرا الى ان تكون في شكل وقائع وتحديات حضارية وعلمية ، لا سبيل الى تجاهلها . والراي الذي يلوح من خلال تحركات الفكر العربي الحديث ، ان اقتباس الحضارة المادية والعقلية التي للغرب ، اصبح امرا محتوما ، خصوصا ما يتعلق منها بالعلوم التقنية ،

وسيكون ذلك قطعا على حساب الادبيات والانسانيات ، وسائر الاشكال التعبيرية للقيم الروحية . واعتقد ان الفكر المحافظ اذا كان يعارض في اقتباس بعض الآراء والمذاهب الفلسفية المتناقضة مع الاصالة القومية ، فهو لا يستطيع ان يعارض في اقتباس العلوم التقنية ، بل هو كثيرا ما يحث عليها ضمن برنامجه الايجابي المستهدف لرقي الانسان المسلم وتقدمه ، حتى يضم الفخر من اطرافه جامعا بين الدين والدنيا . ولكن الشيء الذي يجب الا يعزب عن بالنا ، ان من الصعب جدا ان نأخذ هذه العلوم التقنية ، دون أن نبقى بمعزل عن التأثر بالنتائج المترتبة عنها ، وعن الآثار التي لابد ان تتركها في العقلية المتشبعة بها . لان العلم ليس مجرد نظريات تدرس وتطبق ، وانما هو الى جانب ذلك منهج في التفكير ، وطريقة في عرض الحقائق ، وتحديد للمقاييس التي تقاس بها الاشياء ، ونظرة خاصة الى الحياة والكون .

وأمام ذلك يكون على الفكر المحافظ ان يقوم بمهمة شاقة وصعبة للغاية ، وهي افراغ تلك العلوم من محتواها المادي الصرف ، وتعبئتها بالقيم الاسلامية ، وان كانت طبيعة العلم تأبى ذلك ، نظرا لما تتصف بل من وصفية وواقعية وحياد شبه مطلق . ومعنى ذلك أن على رجل الفكر المحافظ ان يكون على معرفة بتلك العلوم التقنية ، قبل قيامه بهذه المغامرة ، أي ان يكون استاذ هذه العلوم والباحث فيها مع تمثيله لثقافته المحافظة . وأحسب ان هذا مطلب بعيد المنال في الوقت الحاضر ، وما زالت بيننا وبينه مراحل واشواط . وهنا يجدر بنا أن نذكر بما سبق أن قلناه ، من ان السرعة التي تسير بها الثقافة العلمية ليست هي السرعة التي يسير بها الفكر المحافظ ، للاسباب الآنفة الذكر . فهو اقل منها سرعة بكثير ، واكبر ما نخشاه ان يستمر سيرهما على هذا الاختلاف البين ، الى ان تنقطع العلاقة بينهما في مستقبل الايام ، بحيث لا يبقى بينهما اي شيء مشترك ، ولا يسمح التفاوت الكبير بين قامة احدهما وقامة الآخر ، بحوار او تجاوب او تعاون ، كيفما كان نوعه . وحينئذ سيجد الفكر المحافظ نفسه خارج نطاق الحياة العقلية المبدعة .

وما هو الحل اذن ؟ الحل في نظري هو ان تصبح الثقافة العلمية قاسما مشتركا أعظم ، بين جميع ابناء الامة العربية ، بحيث لابد ان يكون قدر معين من المعارف العلمية ، داخلا في الثقافة الاساسية لكل مثقف . ثم تأتي بعد ذلك الاتجاهات ومذاهب الفكر المختلفة ، فهذا وحده هو الذي يمكن رجل الفكر المحافظ من ان يكون موجودا باستمرار ، داخل الثقافة العلمية ، يتسلح بها ويساير تطوراتها ، ويأخذ نصيبه منها ، بالقدر الذي يسمح به اتجاهه ، حتى لا يجد نفسه ذات يوم يتحدث الى ناس لم تبق له بهم اية صلة فكرية .

فاس — عبد العلي الوزاني





للمرحوم الدكتور زكي المحاسني

لئن انقطع الوحي السماوي من بعد الرسل ، وبخاصة من بعد رسول الله محمد صلوات الرحمن عليه وسلامه ، فان وحيا شعريا ملهما ما زال حيا في الوجود يتنزل من سماوات الفن على الموهوبين والعباقرة الذين سقطت عنهم نبوة الدين وقامت فيهم نبوة الفن ووحي الالهام فيما يبدعون .

من هؤلاء استاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام الذى تحلى الايحاء فى فنه بمواقع عديدة من آثاره الكثيرة . لقد كنت اشاهده وأحدثه وكنت أجلس اليه فى منزله بضفاف النيل الروضة «شارع الهلباوي» ويكون ثمة ضيوف أتوه من الشوك وهي منازل فوق فى الريف المصري او ان طلابا او اساتذة قد جاؤوه زائرين او راغبين بفضله وادبه او طامعين بكرمه ، فلقد كان الى كل ذلك من مزاياه الفكرية والعلمية مضيافا كريما .

وقد كنت اراه مليا فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول (الجامعة المصرية) حيث أعددت رسالتي للدكتوراه (1) وأشرف هو عليها ، فكان كل لقاء لي به يطلعني على انني لست اجد انسانا عاديا وانا اكون على الدوام معه بحضرة مخلوق هيلولي يشف ودمه عن عنصر ملائكي يعلو مصاف الجسوم الانسانية . وكنت اومن بانني سعدت حينا من الدهر بملازمة هذا الاستاذ العظيم وانه مؤثر في أثرا بالغا .

من معالم الوحي الفكري والايهام الفني لدى الدكتور عزام رباعيات له كثيرة كادت تبلغ ثلاثمائة رباعية نظمها فى الاشراق الروحي والاستغراق الصوفي وفى التأمل الغيبي والفلسفة الروحية والتعبد الديني ، وقد رحت أتأمل فى خلق هذه الرباعيات فوجدتها كأنها وضعت على عدرة جبل فوق جناحين من اجنحة طير خيالي واذا به العدوة الثانية رباعيات عمر الخيام ، فكانت رباعيات عزام تفيض بالنور ورباعيات الخيام تفيض بالخمور .

وان للحديث عن رباعيات الخيام وعزام طلاوة ونداءا وقد ختمت رباعيات عزام هذه المحاضرة .

لكن الدكتور عزام لم يرض عن ابياته ان يسميها رباعيات فراح قسماها (المثاني) لان كل قطعة مؤلفة من بيتين وقد مهد لكتابة المقدمة فى (المثاني) (2) فصل فيها القول من الرباعية والمثنوية والفروق الفنية بينهما . وقد افاد فى بحث هذا التناظر حين عاد الى تاريخ المنظومات الرباعية ، فوجد بعد الاستقصاء ان (علي بن الحسن الباخرزي) مؤلف « دمية القصر » (3) المتوفى سنة (467) للهجرة مؤرخ فشاعر كان يقول الشعر بالعربية والفارسية هو احمد بن الحسين الخطيب فيقول فيه :

ــ ولم يبلغني من شعره الا قطع نظمها على وزن الرباعي .

(1) شعر الحرب فى ادب العرب فى العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة (الحمداني) الطبعة الثانية بدار المعارف القاهرة سنة 1962 . والثالثة سنة 1970 .

(2) طبع دار المعارف بمصر سنة 1954 .

(3) وعصره أهل العصر وهو ذيل ليتيمة الدهر للثعالبي .

وجال الدكتور عزام في مجالات المناظرة بين الشعر الرباعي والشعر المثنوي ، اي المؤلف من بيتين اثنين ، فرغب عن الرباعيات الى المثنويات وسمى ديوانه هذا بالمثاني .

واذا كان الدكتور عزام انسانا صوفيا بالفطرة نزاعا الى الروح المتصوفة لا عن تقيد ديني ولا رغبة في هروب دنيوي ، اذا كان كما نعرفه ممارسا لحقوقه الدستورية يعيش كما عاش الناس وان يكن لا يلهو كما لهوا ، على حد من تعبير حكيم الشعراء الاعظم ابي العلاء المعري الذي كان يقول في هذا الصدد :

وهل انا الا مثل غيري ابله
اعيش كما عاشوا والهو كما لهوا

فعزام بطبعه الصوفي كان يظهر الرغبة في تجنب المواقف الخيامية التي عرف بها شعر عمر الخيام في رباعياته .

وما كانت رباعيات الخيام الا خمارة سيارة فيها كل حاجات ارباب الخمور من دنان معتقة وسقاة وغلاميات مقصوصات الشعور يسعين بين الشاربين بعب بنت الحان في الكؤوس وفي هذه الدور الخاصة بالخمور كبيوت الكرخ القديمة ايام التواسي ومنها المشاهد المثيرة التي تربط الانسان الفاني بخوف الفناء فتبعث الرغبة على الاستزادة من اطايب الحياة .

فكانت نفرة الدكتور عزام من الرباعيات وفحواها الخمري وما يطيف في اثنائها من ضروب المجون ، هي التي وجهته وجه المثاني وصرفته عن تسميه اشعاره بالرباعيات مع انها منطبقة الاوصاف على الرباعيات في النظم الخيامي .

ومن اعجب ما في تاريخ ادبنا المعاصر ان كاتب العصر العظيم الاستاذ عباس محمود العقاد عليه رحمة الله كتب مقدمة لكتابه المثاني ، هذا الذي الفه الدكتور عزام معتل القول في هذه المقدمة باوصاف المتصرف السياسي الدكتور عبد الوهاب عزام اذ كان حين الف (المثاني) سفيرا لمصر في باكستان وقد نظم المثاني في مدينة كراجي خلال سنتين كان آخرهما 1954 .

وقد وطد العقاد دائرة البحث في مقدمة هذه على قضية التأثير الصوفي بين الشاعر محمد اقبال الملقب بشاعر الاسلام وبين الدكتور عزام فخلص الى الاعتقاد بان الباعث في نظم هذه الاشعار هو (ان السليقة التي اوحت الى شاعر المثاني في نظمها لا التقليد لاقبال في منظوماته ، فهذه السليقة هي مصدر الاعجاب باقبال ومبعثها الاصيل .

شواهد من المثاني

لقد نضح عزام مثانيه من روحه وتاملاته ولم يكن ماضيا وراء تقليد صوفي ، اذ كانت صوفيته الصرفة نابعة من طبعه ونفسه ومن فيوض فكره فقد قال فيها :

احسب البدر ساطعا نبع ماء
فارحى لديه بطهر ذنبي

واراه من الاشعة فيضا
اغتني لديه تنوير قلبي

لم يصنف الدكتور عزام « مثانيه » تصنيفا خاصا وانما جعلها اقساما وفوق كل قسم منها رقم جاء متسلسلا فقد بداها بالرقم — 1 — ايها البحر ، وذكر ان كل رباعية فيها ذكر البحر انشئت على شاطىء بحر العرب في كراجي او قريبا منها فهو يقول :

زاخر ثائر نهارا وليلا
ايها البحر ما هياج البحور

هل خلا من هديرك الدهر يوما
او سيخلو على مرور الدهور

ويقول وهو يخاطب الخلاق جل وعلا :

— 2 —

ترفع الشمس عن جمالك سترا
ويصون الجمال ستر الظلام

يقرا الناس من جمالك سطرا
من حروف الاصباح والاظلام

فاذا كان وزن ما تقدم من البحر الخفيف جاء صاحب المثاني المثنوية الثالثة على وزن بحر الرمل :

— 3 —

تختفي كالنجم في الدجل اختفى
ثم تبدو وومض برق للضوء باد

انت فى غلب وومض طاهر
زان للعين بياض وسواد

وقد اشار فى هامش الصفحة (28) الى ان كل الرباعيات جاءت من البحر الخفيف الاهذه الرباعية التى بعدها فانه نظمها على بحر الرمل .

ولما بلغ الى الرباعية العاشرة جعل العنوان (الوجدان) وفى الثانية عشرة جعله (فى نور القمر) وفى الرابعة عشرة (بين الحسن والقلب) حيث يقول :

يطبع الحسن شكله فى فؤادي
ولقلبي على الجمال انطباع

بين نفسي والحسن اخذ ورد
مثلي ما غازل المرايا شعاع

وما لنا الا نغوص محل افكار عزام لنسبح معه فى محيطها الكبير او نطير واياه اجواءها مع العطر والزهر حيث يقول :

– 105 –

فراش وزهر

صاح ، هذا الفراش زهر يطير
ام فراش يفر هذي الطيور

عل هذا الفراش احلام زهر
أو أماني أرسلتها الصدور

– 107 –

ايها الزهرة الجميلة ماذا
قد اسرت فراشة فى الخطاب

ولماذا تطير عنك لاخرى
ثم تهفو اليك رجع جواب

ويقول فى حفل المولد النبوي :

قد سمعنا من القصيد ثناء
وعلى الدف والطبول غناء

كل هذا على سناك غبار
صخبوا بالضجيج ذاك الضياء

– 111 –

غلب الوجد مادحيك فصاحوا
وتعالى زفيرهم والأنين

ونظرنا الى سناك حيارى
بعلين الصمت وجدنا والسكون

– 113 –

صاح ما الحر من ثبور على الظلم
واثارت لحقها الأقوام

انما الحر من يسير الى الظلم
فيصميه والأنام نيام

– 216 –

الاحرار والعبيد

وكان من اواخر هذه المثاني قوله فى هذه :

لا يغرنك فخر قوم تعالوا
وادعوا انهم أكابر صيد

هم على هامة الضعيف ملوك
وعلى سدة القوي عبيد

وكان دائما يحن الى بلاده ويأنس بالبحار فكان من آخر مقطوعاته فى المثاني قوله :

لهدير البحار تصغي نجوم
فى ضياء على البحار منير

هل اطلت هذي الكواكب يوما
لا ترى الوجه فى مرايا البحور (4)

وكان يردد هذه الفكرة الفلسفية :

امل دائب وسعي دوام
ووميض الأفكار ، معنى الحياة

يقظة العين للسبات ولكن
يقظة العمر ما لها من سبات

سوريا – المرحوم د. زكي المحاسني

(4) يسأل عزام نفسه بقوله : هل كانت النجوم قبل البحور فنظرت فلم تر وجهها فى الماء ؟ .

كلمات باكية!!

للدكتور ممدوح حقي

فقدت سوريا في بضعة شهور ثلاثة ادباء كبار يعدون من مفاخر هذا العصر هم الدكتور سامي الدهان والدكتور زكي المحاسني والاستاذ سامي الكيالي ، ولكل منهم انتاج علمي وادبي اتجه به اتجاها خاصا وبرز فيه حتى عد من اعلامه .

فالدكتور سامي الدهان بدا حياته معلما في مدرسة ابتدائية وهو من اسرة اكثرها يميل الى تعاطي التجارة كسائر اهل حلب لكن طموحه ابى عليه الرضاء في هذه المنزلة فسعى حتى ابتعث الى باريس قبل الحرب العالمية الثانية ، وعاد بعدها يحمل الدكتوراه بيد واطروحة ممتازة باليد الاخرى مؤلفة من جزئين الاول بحث في ابي فراس الحمداني والثاني شرح لديوانه وما زال شرحه لابي فراس معتمدا حتى اليوم بالرغم من مضي ما يقرب من ثلث قرن عليه . وفي ايام حكم الشيشكلي لسوريا اختير عضوا في المجمع العلمي العربي وقدم خلال ثلاثين عاما عددا من المؤلفات في الادب وتاريخ الادب وتحقيق المخطوطات ما يجعله خالدا بين الخالدين .

كان يجيد اللغتين العربية والفرنسية ويشدو بشيء من الالمانية والاسبانية ومارس التعليم الجامعي في سوريا والمغرب والاردن واصيب قبل وفاته ببضع سنين بجلطة دموية الزمته الفراش شهورا طويلة ثم خرج من ازمتها عليلا وربما كانت هي من بعض الاسباب في استعجال وفاته .

عاش اقل من ستين عاما ملأها جميعها بالعمل المنتج وكان مرحا نشيطا يلسع بنقداته وغمزاته الاصدقاء والخصوم معا ولا يجرؤ على مجابهة ما الا اذا احرج احراجا شديدا جدا . واسلوبه كنفسه لا تكلف فيه ، دعي في احدى الفترات السياسية للاشراف على جريدة يومية في دمشق فرفع من مستواها الاسلوبي رفعا جعل خصومه من الصحفيين واكثرهم ضعيف الثقافة اللغوية او منافق للجماهير يكتب بأسلوبهم ، جعلهم حسادا ناقمين .

واقميت لذكراه يوم الاربعين حفلة تأبين في حلب رثاه فيها عدد كبير رحمه الله ووفاه اجر عمله بما يرضاه .

— ◆ —

والدكتور زكي المحاسني من اسرة كريمة في دمشق عاش يتيم الأم فأثر فيه فقدان حنان الامومة تأثيرا كبيرا جدا جعله مرهف الاحساس ناعم الحديث كثير الحدب على اولاده متعلقا بزوجته تعلقا عجيبا وهي سيدة من كرام الاسر المعروفة في لبنان نهضت بروحها وحدها حتى ادركت منزلة رفيعة في الادب والفت عددا من الكتب اكثرها في كريمات النساء المسلمات بعهد الاسلام الاول .

اختلفت معه مرة على امر من الامور اوجب العتب والاعتذار فوقف الى جانبها بدافع وينافح

بقوة ، ثم ظهر الحق وبطل العتب فوقف معهما فى المرة الثانية يحامي ويدافع فقلت له يا زكي اما ان تقف الى يمين واما الى يسار ايهما اعتقدت أنه الحق فقال :

يا اخي ا ن وداد على حق فى كل مرة فهي لا تخطيء . وانا اكثر من معجب بها اكثر من محب لها . انها لي الام والزوجة والحبيبة وكل شيء فى الدنيا ، فما تقوله لا اناقش فيه .

واما وفاؤه لاصدقائه وتلاميذه فالى غير حدود ، وكثيرا ما كان يفاخر بطلابه وبخاصة من احرز منهم منصبا كبيرا .

وينشد شعره فتحسبه قصيدة تذوب ويستشهد بشعر غيره فيغرد وصوته فى انشاد الشعر حنون وله فيه غنة خاصة يتذوق فيها طعم الكلمات والحروف كمن يتذوق اطايب الطعام .

كان يتحف اصدقاءه بشعره اتحافا كريما وله فى كثير منهم قصائد طويلة وينتهز المناسبات ليهديهم شعره اهداء على صفحات الجرائد والمجلات وبخاصة فى السنين الاخيرة من ايامه بل يضفي عليهم من الالقاب ما يشبع غرور الكثير منهم . كتب مرة الى احد الاصدقاء رسالة عنونها بالجملة التالية :

الى عالم الشرق والغرب الاديب البحاثة والعلامة الفرد ... والرسالة الآن امامي انظر اليها وعيناي تدمعان حزنا عليه . انه لم يكتب ما كتب نفاقا وابساسا وهو غير محتاج الى نفاق وانما كتب ذلك عن حب وتقدير وايمان بما يقول ، وان كان هذا الحب مبالغا فيه الى حد بعيد .

لم يمارس غير التعليم مهنة الا فترة قصيرة ارسل فيها الى مصر لتحضير الدكتوراه عين خلالها ملحقا ثقافيا واختار بعد احالته على التقاعد عزلة فرضها على نفسه فرضا وتوهم اهمال بعض طلابه واصدقائه اياه لفرط حساسيته فكان يشكو ذلك الى المخلصين من احبابه ومنهم الاستاذ أحمد الجندي الشاعر المرح فكان يخفف عنه كثيرا بملحه اللطيفة . والجندي من اخف الناس روحا وان كان من اثقلهم جسما لا تراه الا ضاحكا فكيف يتلاقى عابس وضحوك ؟! الواقع انهما يشتركان معا فى صفة واحدة هي الحساسية الشاعرية والوفاء اطال الله عمر احمد ورحم الدكتور زكي .

كان فى المحاسني عزوف عن المجتمع وحب للعزلة لكنها عزلة منتجة يقرا ويحفظ ويستذكر ويكتب وينظم الشعر بدا حياته اديبا مقلدا كسائر الادباء الشبان وكتابه النواسي يكاد يكون صدى لما كتب طه حسين فى حديث الاربعاء . وانتهى الى قدرة ممتازة فى البحث والتنقيب وحسن الاستنتاج والمقارنة حتى عد كتابه فى شعر الحرب عند العرب كتابا محترما جدا .

وكان فيه اعتزاز باصدقائه من كبار الادباء تحدث بهذا فى كثير من مقالاته فى اخريات ايامه . وبلغ من اعتزازه بنفسه ان دعا اصدقاءه على صفحات المجلات والجرائد الى تأييده للحصول على جائزة نوبل .

ومرض ولم يطل به المرض وان كان انهياره الصحي قد بدا منذ عدة اعوام بعد احالته على التقاعد وتوفي ماسوفا عليه ولم يفكر اصدقاؤه حتى اليوم – على ما أعلم – باقامة حفلة تابين له تذكر فيها آثاره ومحاسنه رحمه الله .

— ◆ —

واما الاديب الثالث سامي الكيالي ، فهو من اسرة كبيرة محترمة جدا فى حلب منها الدكتور عبد الرحمن الكيالي الزعيم السياسي الذى قاوم الاستعمار طويلا وقبل الوزارة فى عهد الفرنسيين لا حبا بالاستيزار بل ليبرهن على أن الزعيم السياسي المناضل يدخل كل حومة ليبرهن على صدق نضاله فى السلبية وفى الايجابية على حد سواء .

ووالد سامي الكيالي كان مفتيا فى حلب وعرف بتمسكه باعطاف الدين عن غير تعصب ، وعاش سامي فى جو علمي ونشأ بين كتب الفقه واللغة وقضى سنين طويلة كاتبا عاما لبلدية حلب ولو كان سواه فى هذا المنصب لاكتفى به وعاش على هامش الحياة الفكرية ينعم بالرفاهية لكن سامي لم يكن من هذا النمط الكسول بل انشأ مجلة « الحديث » الادبية ودعا كبار كتاب العالم العربي الى مؤازرته وزارهم فى بلادهم وعقد معهم اواصر صداقات متينة ، حتى لقد صدر احد اعداد الحديث قبيل عام 1930 وجميع كتابه من المصريين بدءا من طه حسين فنازلا فأشاع خصومه وحساده عنه قولتهم : « ان سامي يصدر مجلة مصرية فى حلب » قال مرة : وهل للعلم

او للادب وطن ؟ ولماذا نضيق على انفسنـا ونحـن ندعي اتسـاع العروبة من الخليج الى المحيط ؟ ومن منع الكتاب الحلبيين ان يكتبوا ما يشاؤون ؟ وهل منعت نشر مقال حلبي في حديثي ؟ ! » .

كان سامي اول من شجعني على الكتابة منذ ان كنت تلميذا في البكالوريا واشاد بي وحفظ ودي حتى يوم وفاته . ولما اسسنا عصبة وكنا ثلاثة شبان : عمر ابو ريشة من امـراء الشعـر المعاصـر الآن . والمرحوم اورخان ميسر الكاتب البحاثة ، وكاتب هذه الكلمة ، نشر سامي بياننـا وبرنامجنـا على نفقتـه ووزعه في الاقطار العربية على كل مشتركي مجلتـه وجاءتنا رسائل تشجيع من اكثر من مائة عالم واديب مشهور في العالم العربي ، وكانت خطوتنا الاولى هي المجدية بتأثير هذا التشجيع حتى اصبحت الصحف تتهافت على اي مقال منا او حديث . وسامي يقف الى جانبنا ويفتح لنا صدر مجلته على مصراعيه . لم يكن سامي اكثر من اديب مناضل من خلال مجلته التي عاشت اربعين سنة ثم من خلال مؤلفاته المتعددة عن رحلاته في اوروبا وامريكا وسواها ، ونستطيع ان نعده بحق من مؤسسي ادب الرحلات في هذا العصر واسلوبه بسيط جدا يكاد يكون اسلوبا صحفيا عاديا واذا كان لمدينة حلب ان تفاخر بسامي الدهان وعمر ابو ريشة واورخان ميسر وفوزي الرفاعي وسواهم من الرعيل الاول فان فخرها بسامي الكيالي لا يقل عن هؤلاء بشيء رحمه الله رحمة واسعة .

هذه الكلمات الباكية امليتهـا وفي قلبي اسى وحزن وفكرة تخامرني منذ زمن . لماذا لا نكتب عن علمائنا وادبائنا الا بعد وفاتهم ؟ لماذا لا نقدرهم الا بعد ان يغيبهم الموت ؟! انسمي ذلك حسدا ام نسميـه توانيا ، ام نسميه طمعا بالحي ؟ ام نتأنى حتى تختتم حياته لنعرف سلوكه الاخير ؟! .

اني ادعو الى الكتابة عن الاحياء ليروا باعينهم كيف يقدرون وفي ذلك عزاء لهم عما يقاسون من آلام الاغتراب الحقيقي عن مجتمعاتهم المتخلفة .

اني ادعو الى « بيبلوغرافيا » عربية للاحيـاء وهو الذي ادعو اليه قد نفذته فعلا وسيرى القراء في العدد الاخير من مجلة اللسان العربـي مصداق ذلـك . . .

وان مجلة دعوة الحق التي تحمل مشعل الفكر الادبي والثقافة الدينية منذ زمن لأجدر من يؤيد هذا الرأي فهل تقوم مجلات اخرى بتنفيذ هذه الدعـوة واخراجها الى حيز الوجود ؟! اني لأرجو ذلك من كل قلبـي .

الرباط ــ د. ممدوح حقي

عقبات

في وجه العلاقات بين المدرسة والأسرة

للأستاذ عبد الرحمان بنعبد الله

على هامش احداث وداديات للتلاميذ فى التعليم الثانوي :

لعل من اهم ما يشغل الاذهان فى ميدان التربية ما يقتضيه وضع التربية وتطور المناهج الدراسية وتغير النظرة الى المدرسة بوصفها الخلية التى تتولى الحرص على تكملة تكوين النشء الذى يتلقاه الطفل فى البيت ، وقد ادت هذه المعطيات جميعها الى حتمية التعاون وتبادل الراي والمشورة بين التلميذ والمدرسة والبيت ، وبتعبير ادق بين الطفل وهيئة التدريس والاولياء .

والمشاكل التى تعترض هذا العمل البناء كامنة فى جهل الآباء او قلة وعيهم لحقيقة الشؤون الملقاة على كواهلهم ، فالاولياء لا يعون جسامة المتاعب التى تنتاب هيئة التدريس ، كما ان المعلمين من جهة اخرى لا يتفهمون بدورهم نوعية المساعي التى يقوم بها الاولياء ازاءهم ، والتلاميذ ينشأون فى معظم الاحايين بمعزل عن الحقائق التى تنبثق عن الاتصال المباشر بالراشدين ، وبكلمة فاذا كنا نلحظ هناك عاملا من عوامل سوء النية او رفضا مطلقا للانسجام والتفاهم ، صادرا عن الاسر او المعلمين على السواء فان الشواهد التى تتوافر لنا تنهض دليلا قاطعا على ان العقبة التى تتضاءل الى جانبها كل العقبات تكمن على جميع المستويات ، فى انعدام التفاهم بين المتحاورين .

وهذه الدراسة محاولة جادة لجلاء هذه العقبة ، للتغلب عليها واستئصال جذورها .

باي منظار يرى المعلمون الآباء ؟

لقد طال الحديث فى ايامنا عن راي المعلمين حول اتصالهم الشخصي بالاسر والاهمية التى يعلقون عليه والاسباب التى تعوق نجاح هذا الاتصال ، وقد تركز هذا الحديث بنوع خاص حول تنوع تقدير هذا العمل فى الاوساط المدرسية وحول قيمة معرفة الوسط الاسروي ، ورغما عن ان هيئة التدريس قد ابانت فى معظمها عن استعداد طيب لاجراء اتصالات فردية ، فان كثيرا من المعلمين لا يقرون بفعاليتها ويظهر كثير منهم بعض التحفظ تجاه هذا العمل الشاق ، وجدير بالاشارة أن بعضهم يعترف بأن الصلات الرسمية لا يمكنها ان تحل محل الاتصالات الفردية ، ثم ان هناك فريقا آخر يتلافى بشتى الوسائل الاتصالات التى لا يراها ضرورية او التى يعتبر ضررها اشد من نفعها ، وقد تكشفت الامثلة المتوافرة لدينا فيما يخص اهمية التعرف على الوسط الاسروي عن عنصرين جوهريين : اولهما اعتبار الاتصال بالاولياء ضرورة وجيهة يفرضها فهم التلميذ ، وثانيهما اندهاش المعلم تجاه المكاسب التى يوفرها له اللقاء كاكتشاف المشاكل الخطيرة لدى التلاميذ الموهوبين الذين لا اثر فى سلوكهم لوجود انحراف

بين، واتضاح حالات بعض التلاميذ، على اثر حديث مع الاولياء يقتصر فيه الاولياء على الحديث عن ذاتهم .

بيد ان مختلف الشواهد تشير الى ان جو الاحترام واللياقة الذى يطبع اللقاءات الفردية لا يمنع عددا هاما من المعلمين من رفض الاتصال الشخصي بالاسر الا اذا غدا امرا لا مفر منه ، وهذا الموقف نتيجة حتمية لتصرف الآباء وانعدام وعيهم بمشاكل نفوذ هيئة التدريس واقامتهم لحصون منيعة من معطيات شخصيتهم بين الطفل والمدرسة بالحلول الكلي محل الابن او البنت مما يجعلهم يتقبلون بصعوبة انتقادات التلميذ . ثم هناك ظاهرة غريبة تتمثل فى تقبل الآباء لموقف الدفاع الآلي لدى الطفل حتى ان حرصهم على اتخاذ موقف القسوة لدى اتصالهم بالمعلم ينقلب بعد حين الى لون من التحيز للطفل بابراز محاسنه وشمائله واعتبار المعلم مجرد شخص يلقي الكلام جزافا على غير ترو وطول تفكير .

لا جدال فى ان هذه الظاهرة قد ابرزت للاخصائيين فى الدول المصنعة مدى الجهل المتبادل لدى الطرفين ، وقد كان موضع تعاليق ضافية ، فالاولياء يتصرفون بمعزل عن الحقائق المدرسية او يمنحون المعلم من الثقة المطلقة ما يجعل منه ساحرا يقوى على تصريف كل شيء !.. ثم ان هيئة التدريس تجهل انها تتجه الى عناصر تعاني من الحصار . فكيف السبيل الى اجراء الاتصال ؟ اذا كان الآباء يحرصون على الاستفسار عن احوال الطفل مع مراعاة العراقيل التى تعترض المعلم ، فان على هذا الاخير أن يصرف اهتمامه للمدلول المزدوج الذى يكتسيه طلب الاولياء : حالة التلميذ وظاهرة القلق التى تسيطر على من يتولون كفالته ، والمعلم مطالب فى هذه الحالة باستكناه الحصار ، وليعيد الثقة الى نفوس الاولياء ، يجب ان لا يعير ادنى اهتمام « لعقدة الدبلوم » ذلك ان كثيرا من المعلمين يكتفون من تقييم اصالة التلميذ بما حققه من نجاح فى الفصل بينما نعيش عصرا يجنح كثيرا الى الخلط بين النجاح المدرسي وحظوظ السعادة فى الحياة .

والغاية من الزيارة الخاصة للمدرسة هي البحث المشترك عن الاسباب ، فاذا ما انحصر الحوار الشخصي فى شؤون التربية والنقط المحصل عليها غدا عقيما ولم يصب الهدف المتوخى منه فى البحث عن فهم الاسباب التى تدعو الطفل الى التلكؤ فى اداء الواجب المدرسي او المسوغات التى تحفزه الى تغيير تصرفاته .

نستخلص مما سلف ان هناك شرطا اوليا لضمان فعالية العمل المشترك يتجلى فى عدم توجيه مبادرات الاولياء الخاصة والرسمية ضد هيئة التدريس ، بل يتعين ان تكتسي روح التعاون الوثيق . كما ان نجاح هذا العمل المشترك يقاس برغبة الاولياء فى البحث عن فهم تصرفات المعلم وشرحها للطفل ، وقد اقترح كبار الاساتذة ان يتصدر زيارة المدرسة حوار عميق بين الاولياء والابناء والقاء الضوء فى الاسرة على موضوع الزيارة، ذلك ان من شان هذه المبادرات ان تساعد على تلافي سوء التفاهم وان تكون مناسبة لمراجعة نوعية التبادل الفكري مع البنين والبنات وغني عن البيان ان هذا العمل لن يحقق الغاية المتوخاة منه الا اذا تركز الجهد على فهم الطرف الآخر .

التلميذ بين المعلم والاسرة :

ما الدور الذى يلعبه التلميذ فى الاتصال ؟ وما راي الشباب فى الهيئات الجديدة ؟ وكيف يسهمون فى اعمالها ؟

لقد اجمع الاخصائيون فى الدول المصنعة على ان استجابات الاطفال وخاصة ابناء الممثلين كانت فى البدء تندد كلها بتدخل الاسرة فى الوسط المدرسي ، اذ كان التلاميذ يخشون من دخول هذا العنصر الثالث مسرح الحياة الدراسية فى الوقت الذى يعتبرونه عنصرا دخيلا على المؤسسة التربوية ، بعيدا عن حقائقها كما يزعمون ، وقد غاب عنهم فى معظم الاحايين مفهوم الدور الذي يلعبه مجلس الاساتذة فابدوا تخوفاتهم من تدخل محتمل للاسرة) فى الحالات الخاصة ، فلم يحظ النظام الجديد بموافقتهم الا يوم اتضح لهم دور الاولياء الحقيقي .

والحقيقة ان الشباب قد فهموا الآن مدلول الهيئات الجديدة بيد ان ممثليهم كممثلي الاسر ، كلاهما يتخذل امام الواجبات الموكولة اليه ، هناك حالة نموذجية تبرز جانب التخاذل لدى الطرفين : ذلك ان ممثل التلاميذ وممثل الاولياء يتحملان مسؤولية جسيمة فى عدم التوجه بملاحظاتهم للاساتذة حول الاحتباس الذى ينجم عن سخريتهم من اصحاب الواجبات المدرسية الرديئة ، لان التلميذ يخاف مكاشفة المعلم بسوء عمله ولان ممثل

الاولياء يتزعج من اثارة مثل هذا العمل لخوفه من ان يكون ممثل ابنه من ذوي الكفاءات الناقصة ، فتكون النتيجة ان احدا منهما لا يقدم على شيء !

على ان الكل يعتقد ان ممثلي التلاميذ لا يمنعهم توترهم واحجامهم فى بعض المواقف من ان يبزوا ممثلي الاولياء فى اداء الدور المناط بهم ، وابلغ الادلة على ذلك ما يلاحظه الاخصائيون خلال اجتماعات مجلس الاساتذة من تصدي الشباب لطرح الاسئلة بصورة لا يجد معها الاولياء الا الموافقة والاستسلام ، هذه السلبية حفزت معظم الاخصائيين الى التفكير فى المكان الذى يجب ان يحتله التلاميذ فى هذا العمل الجماعي البناء . ان جو التوافق والانسجام الذى يطبع العلاقات القائمة بين المعلم والتلاميذ لخليقة بأن ترشحهم ، بدل الاولياء ، ليكونوا اللسان المعبر عن رغبة الجماعة لدى مجلس الاساتذة ، ثم انه من المنطقي ان يتقبل هؤلاء الاساتذة الانتقادات والافكار والاقتراحات الصادرة عن تلاميذهم بدلا من ان توجه اليهم من عالم خارجي عن المدرسة. كما ان هناك محاولات جادة لتكليف كبار التلاميذ من الطور الثاني من التعليم الثانوي بعرض المطالب خلال الاجتماعات الرسمية شريطة ان تكون مرفقة بتقرير اخباري يعده ممثلوهم وان تحرر باسلوب يتساوق ومستوى التلاميذ فى مختلف الفصول . وقد حرص واضعو هذه الاقتراحات على ان يردفوا اليها مقالتهم الشهيرة : يجب ان لا يكون توفر العلاقة الوثيقة بين الطفل والمعلم مدعاة لانكار اهمية العنصر الثالث ، اي الوسط الاسروي او التنقيص منها لان وجوده يغير الجو الذى يسود عادة مجالس الاساتذة ويحطم علائق السطوة والنفوذ وييسر التعبير ويخلع على الحوار طابع الايجابية .

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله

ضوابط حروف الزيادة في اللغة العربية

للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

ان الذين فكروا فى وضـع الاوزان للكلمـات العربية ساهموا بقسط عظيم فى تحقيق قواعد هذه اللغة وفى تثبيتها وخلقوا طريقة عمليـة لتعليمهـا ولاقرار المعاني المختلفة الماخوذة من الصيغ المتنوعة الوضـع .

وان هذه الصيغ منها ما هو اصلي وضع على صورة ما فاخذ وزنا أصليا يرتبط بتعداد الحـروف وبتنوع الحركات والسكنات ومنها ما وقع تغيير فى اصوله بالابدال والاعلال او بالزيادة والنقصان .

ولكل من النوعين قواعـد خاصـة فى علم التصريف تستقريء الجزئيـات وتحدد الظواهـر وتعين على البحث فى المعاجم العربية على اختلاف وضعها .

ومن المعلوم ان الذين وضعـوا الاوزان جعلـوا الفاء فى مقابلة الحرف الاصلـي الاول والعيـن فى مقابلة الحرف الاصلي الثاني واللام فى مقابلة الحرف الاصلي الثالث بالنسبة الى الكلمات الثلاثيـة فـاذا كانت الكلمة موضوعة فى الاصل على اربعة أحرف او خمسة اضافوا لاما لكل حرف زائد .

ولم يستعمل علماء التصريف هذه الأوزان فى مقابلة جميع الكلمـات الموضوعـة فى اللغـة وانمـا خصوها بالاسماء المتمكنة وبالافعال المتصرفة الغير الجامدة بحيث اذا استقرانا الوضع الصرفي نجد أن الحرف لا يوضع له فى اللغة وزن معين تقابـل بـه اجزاؤه الاصلية وكذلك الاسم الذى وضع على حرف او حرفين لشبهه بالوضع الحرفي وكذلك الفعـل الجامد الذى لا يتصرف لعدم صلاحية هذا الوزن له فى ابراز ملامح التغير .

وان الذين يهتمون بدراسـة اللغـة العربيـة يلاحظون أن العرب كانوا غالبا ما يهدفون الى الخفة فى استعمال الكلمات الصالحة للمعانـي المتداولـة والى اهمال ما استثقلوه .

وقد حاول ابن جني فى كتابه « الخصائص » ان يقدم دراسة علمية تتصل بالاصوات حـدد فيهـا موقف العرب من اختيار بعض الكلمات دون بعـض للدلالة على معنى من المعاني .

وهذه الدراسـة اهتـمت بالاصـول وتعلقـت بالمجردات وفيها مقارنة بين الوضع الاصلي للكلمة العربية والفرق بين الثلاثي والرباعي والخماسـي فى الخفة والاستثقال .

فالاسم مثلا فى اصل وضعه قد يكون ثلاثيـا وقد يكون رباعيا وقد يكون خماسيـا ، ولكـن اذا سرنا على النظرية التى تقتضي مراعاة الخفة وعـدم عسر النطق بالكلمات فسنجد ان الكلمـة الثلاثيـة المجردة اكثر استعمـالا من الكلمـات الرباعيـة والخماسية بل اننا يمكن ان نقول بأن الاستعمال فيها يكاد يكون متصلا بكل ما يتصور عقلا بخلاف الامـر بالنسبة لغيرها من الأوزان المذكورة .

ونحن عند استخراج الوزن لا نراعي الحرف الاخير لانه غير ثابت نظرا لتنوع الاعراب بتنوع المعاني والتراكيب وانما نراعي الحرف الاول والحرف الثاني ، ولا يخلو الامر حينئذ من أن يكون الحرف الاول مفتوحا او مضموما او مكسورا وفي كل اما ان يكون الحرف الثاني مفتوحا او مضموما أو مكسورا او ساكنا فاذا ضربنا الحرف الاول بأحواله الثلاثة في الحرف الثاني بأحواله الاربعة كانت النتيجة استخراج اثني عشر صيغة لم يهمل منها في الاستعمال الا صورة واحدة وهي التي ينتقل فيها من الكسر الى الضم وندر استعمال عكسها وهي التي ينتقل فيها من الضم الى الكسر كدئل

اما الاسم المجرد الرباعي فرغم تصور وجود صيغ كثيرة فان العرب لم يستعملوا الا اوزانا قليلة تنحصر فيما يأتي :

اولا : فعلل بضم الاول والثالث نحو برثن .

ثانيا : فعلل بفتح الاول والثالث نحو جعفر .

ثالثا : فعلل بكسر الاول والثالث نحو زبرج .

رابعا : فعلل بضم الاول وفتح الثالث نحو جخدب

خامسا : فعلل بكسر الاول وفتح الثالث نحو درهم .

واما الخماسي المجرد فوزنه ما يأتي :

اولا : فعلل بفتح اوله وثانيه وسكون ثالثه وفتح رابعه نحو سفرجل

ثانيا : فعلال بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وكسر رابعه نحو جحمرش .

ثالثا : فعلل بضم اوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه وكسر رابعه نحو قذعمل .

رابعا : فعلل بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وسكون رابعه نحو قرطعب (1) .

وعلى كل حال فنحن نلاحظ ان الاوزان الغير الثلاثية رغم كون المستعمل منها اقل مما يتصور عقلا فانه يفقد الرونق ويدخل اكثره في باب المستوحش والغريب .

واذا كان هذا هو الامر الجاري به العمل في الاسماء فان للافعال ايضا اوزانا اخرى تتضح فيما يأتي :

اولا بالنسبة الى الفعل الثلاثي المجرد وأوزانه الاصلية ستة وهي فعل يفعل كنصر ينصر وفعل يفعل كفتح يفتح وفعل يفعل كضرب يضرب وفعل يفعل كفرح يفرح وفعل يفعل كحسب يحسب وفعل يفعل ككرم يكرم .

ثانيا بالنسبة الى الفعل الرباعي المجرد ووزنه فعلل كدحرج وما اشبهه .

ان الوضع المجرد ليس الا وسيلة للوضع اللغوي الاصيل وقد تزاد على الاصول حروف تفهم زيادتها من سياق الكلام وهذه الحروف التي تزاد عشرة وقد حاول علماء اللغة ان يضعوا لها قوالب تجمعها وتضبطها ليسهلوا حفظها على المتعلمين .

وهذه الطريقة الجمعية تعتبر وسيلة تعليمية عند العرب الاقدمين لا تقتصر على اللغة وانما تتصل بمختلف العلوم والمعارف وقد ابدع الملمون في محاولة ضبط هذه الحروف وفي حصرها في جمل مفيدة او في ابيات منظومة وتنوعت حيثياتهم وجملهم حسب قوة ابداعهم وقد جمع المقري في كتابه نفح الطيب مجموعة كبيرة من هذه الضوابط وقال عنها ان منها ما هو متين ومنها ما ليس بمتين والحقيقة تظهر ذلك لانه ذكر بعض الامثلة الرائعة من جهة ومن جهة اخرى ذكر امثلة فاقدة للجمال ودالة على عدم التوفيق في الحبك التركيبي .

ونحن ما زلنا نتذكر ونحن صغار ما كان يلقنه لنا اساتذتنا في هذا الباب ومن المشهور في ذلك ان جماعة من المتعلمين سألوا استاذهم عن حروف الزيادة فقال لهم سألتمونيها فقالوا نعم قد سألناك اياها ولكننا نريد الجواب فاذا به يقول قد ضمنت جملتي الجواب وجعلتها مركبة من الحروف المقصودة التي هي السين والهمزة واللام والتاء والميم والواو والنون والياء والهاء والألف .

وقد عبر ابن مالك عن هذه الحروف ببيت من النظم اربع مرات بجمل مختلفة فقال :

---

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك الجزء الثاني صفحة 417 .

هناء وتسليم تلا يوم أنسه
نهاية مسؤول امان وتسهيل

ولما ذكر المقري مختلف التراكيب التي تضم هذه الحروف قال « وكنت قدرت رسالة فيها اسميها اتحاف اهل السيادة بضوابط حروف الزيادة » (2) .

واحسن بيت جمله منطلقا لحديثه كان من نظم الشاعر الاندلسي الشهير عبد الحميد ابن عبدون وهو قوله :

سألت الحروف الزائدات عن اسمها
فقالت ولم تكذب أمان وتسهيل

ومن الواضح ان هذه الضوابط انما تبرز نوع الحرف المزاد بحيث اذا كانت الكلمة تتجاوز الاصول واردنا ان نبحث عن اصلها فان المعرفة بهذه الحروف وبمواضع زيادتها تقرب الينا الدلالة على ربط المعنى بالاصل في الوضع وتيسر لنا البحث عنها في المعاجم اللغوية .

فالطالب مثلا اذا وجد كلمة صندوق فانه يلاحظ ان هذا الوزن لا يوجد في المجرد الخماسي ولذلك فهو وزن غير أصلي وسيلاحظ ايضا ان الحروف الموجودة فيه هي الصاد والنون والدال والواو والقاف على هذا الترتيب فاذا اراد ان يعرف اصل هذه الكلمة فسيميز في هذا الترتيب بين الحروف الاصلية والحروف المزادة وسيتضح له آنذاك ان وزن هذه الكلمة فنعول بزيادة النون والواو وانها مشتقة من مادة صدق بحيث تكون كلمة الصندوق دالة على الصدق لحفظه للودائع ولحرزه للمصونات.

وهذه هي الطريقة المتبعة في المقابلة التصريفية اذا كانت الكلمة غير مضعفة اما اذا كانت الكلمة مضعفة فان الحرف الزائد يكرر بنفس الحرف الذي يقابل به الحرف الاصلي فنقول مثلا في هذب بتضعيف العين فعل ولا نقول فعلل .

وهذه الزيادات لا يثقل بها الكلام ولا يعسر النطق بالكلمة التي تتضمنها ففرق كبير في الفصاحة بين كلمة صندوق وكلمة جحمرش والسبب في ذلك مرجعه الى الظواهر الصوتية التي تتلاءم مع مخارج هذه الحروف فهي تعتمد في الغالب على الخفة والسلاسة والنغمة والرنة ولذلك كان اغلبها لينا او مهموسا (3) ولا تتغير هذه الاحرف الا في حالات قليلة منها ابدال تاء الافتعال طاء او دالا في أبواب معينة معروفة في دروس الابدال والاعلال .

ومراعاة صوت الحرف في التركيب اللغوي ظاهرة اهتدى اليها ابن جني وقد تقدم التنبيه الى ذلك في اول هذا البحث وجعل هذه الظاهرة مقياسا لغويا متصلا باللغة العربية ومن يقرأ كتاب الخصائص يعجب اكبر العجب لهذا الانتباه الدقيق الذي برع فيه هذا العالم اللغوي الشهير الذي يعتبر عمدة في دراسة فقه اللغة ومعرفة اصولها . فاستمع اليه يقول : « اعلم ان واضع اللغة لما اراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها وعلم انه لا بد من رفض ما شنع تألفه منها نحو هع وقج وكق فنفاه عن نفسه ولم يمرره بشيء من لفظه وعلم ايضا ان ما طال وامل بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما امكن في اعدل الاصول واخفها وهو الثلاثي » (4).

ثم قال بعد ذلك : « فان كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الافعال التي عبر بها عنها الا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الاقوى للفعل الاقوى والصوت الاضعف للفعل الاضعف وكذلك قالوا صر الجندب فكرروا الراء لما هنالك من استطالة الصوت وقالوا صرصر البازي فقطعوه لما هناك من تقطيع صوته .. » (5) .

ثم ذكر امثلة عامة تصور مدى ارتباط الوضع اللغوي بالاستخفاف والاستثقال .

ثم قال بعد ذلك : « فان قلت ومن اين يعلم ان العرب قد راعت هذا الامر واستشفته وعنيت باحواله

---

(2) نفح الطيب للمقري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الاولى، الجزء الخامس صفحة 8
(3) شرح التصريح للازهري على التوضيح لالفية ابن مالك لابن هشام الجزء الثاني صفحة 450
(4) الخصائص لابن جني الجزء الاول صفحة 64 .
(5) نفس المصدر صفحة 65 .

وتتبعته حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذى نسبته اليها وزعمته مرادا لها ؟ وما انكرت ان يكون القوم اجفى طباعا وايبس طينا من ان يصلوا من النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لا يصح لذي الرقة والدقة منا أن يتصوره الا بعد أن توضح له انحاؤه بل ان تشرح له اعضاؤه ؟

قيل له هيهات ! ما ابعدك عن تصور احوالهم وبعد أغراضهم ولطف اسرارهم ، حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم ، وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاسا واخفوها فلم يمكنوها فى اماكن كثيرة ولم يشبعوها الا ترى الى قراءة ابي عمرو « مالك لا تأمننا على يوسف » مختلسا لا محققا وكذلك قوله عز وجل : « أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى » مخفى لا مستوفى، وكذلك قوله عز وجل « فتوبوا الى بارئكم » مختلسا غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ الى أن ادعى ان ابا عمرو كان يسكن الهمزة والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة وهو اضبط لهذا الامر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف امانة لكن أتوا من ضعف دراية » (6) .

وهكذا نلاحظ ان الوضع اللغوي كان مرتبطا بالذوق المرهف عند العرب الذين كانوا يهدفون الى جعل لغتهم لغة سلاسة وجمال ونغم بحيث لا نجد الخشونة الا فى كلمات قليلة حذرتنا علماء البلاغة والفصاحة من استعمالها وجعلوا أساس الاختيار هو نبو الذوق عن النطق بالكلمة او غرابتها او مخالفتها للقياس اللغوي .

واذا كانت هذه الظاهرة يثبتها تتبع الأوزان العربية فى ابراز الاصول ومعرفة المزيدات فان المعلم المعاصر يجب عليه ان يرشد اليها المتعلمين منذ البداية بأسلوب واضح قريب الى الفهم فيهذب بسبب ذلك ذوق الراغبين فى استعمال الكلمات الفصيحة التي لا يضطرب معها التركيب ولا يمجها الذوق السليم .

وينبغي للمتعلم ان يميز بين هذه الحروف التي وضعت للزيادة وهي زائدة حقيقة وبين نظرائها فى اصولها وهذا الامر يتعلق بتحديد اماكن الزيادة وبالمعاني التي تدل عليها حروف الزيادة بحيث يمكن للاستاذ ان يخبر طلبته بان الالف الزائدة فى وزن فاعل تقتضي معاني محدودة منها المشاركة في الفعل كقولك صارعه يصارعه مصارعة اي ان كلا منهما كان يريد ان يصرع الآخر وقد تأتي لمضاعفة العمل وتكثيره كقولك كاثرت جهادي اي ضاعفته واكثرت منه وقد تدل على المواصلة والموالاة كتابعت القراءة اي واصلتها ولم اتوقف عنها .

وكل دراسة لا تهتم بهذه المعاني تعتبر دراسة عقيمة لا تؤدي الاهداف التي يرجوها علماء اللغة من تعدد الأوزان واختلاف الصيغ .

ويجب ايضا على المكلفين بتعليم اللغة العربية ان يرشدوا المتعلمين الى القواعد الاساسية التى بها يهتدون الى التمييز بين ما هو أصلي وبين ما هو زائد وذلك مرجعه الى دراسة الاوزان ودراسة المجردات والمزيدات وقد اهتم سيبويه بهذا الامر واعتبر المعرفة به علما خاصا فقال باب علم حروف الزوائد وتحدث فى هذا الباب عن مختلف الاوزان فى كل شكل من الزيادات واماكنها .

وقد حاول علماء التصريف ان يضيفوا الى دراسة الاوزان مميزات خاصة تبرز مواضع الزيادة من غيرها فقالوا عن الهمزة مثلا انها تعتبر زائدة فى اول الكلام اذا تقدمت وتأخرت عنها اصول ثلاثة ويتجلى ذلك فى همزة اسم التفضيل وافعل التعجب وهمزة المضارعة وهمزة فعل الامر وهمزة الاسم الذي تأخرت عنه هذه الاصول كهمزة اجدل واصبع واسحار واقحوان واربعاء وغير ذلك من الاوزان المثبتة فى اللغة . اما اذا زادت الاصول على ثلاثة او نقصت عنها فالهمزة اصلية كاصطبل واخذ مثلا . قال سيبويه وتلحق الهمزة غيراول وذلك قليل فيكون الحرف على فعلا وذلك نحو شمأل صفة وضهيأ اسم وعلى فعائل نحو حطائط وجرائض وفعال وفاعل قالوا شمال وشامل وهو اسم » (7) .

وان هذه المميزات ترتبط بمختلف الحروف الزائدة وبمختلف الاوزان وهي مفيدة جدا وان الاهتمام بها ينبغي ان يتصل بالتعليم منذ البداية لان

(6) نفس المصدر صفحة 72 .
(7) كتاب سيبويه الجزء الثاني صفحة 382 .

هذه القواعد تحتاج الى ممارسة وتنسيق في ادائها حسب الاهمية المرجوة منها .

ولا يتحقق ذلك الا اذا وضع المختصون في الدراسات العربية كتبا دراسية تجمع بين المادة وبين تنظيمها على مراحل تعليمية معينة وتقع العناية اولا بالكلمات المستعملة وبالمعاني السائدة ويستغنى عن الأوزان القليلة الاستعمال او الداخلة في باب المستهجن والغريب .

ومن الواضح ان تحديد الاوزان لبعض الكلمات لا يثبت الا اذا حاولنا ان نربط بين المعنى المقصود وبين الصورة اللفظية للكلمة التي نريد وضع وزن لها ، فكلمة شيطان مثلا تحتوي على خمسة احرف ومن ضمن هذه الاحرف الياء والنون وكل منهما يمكن ان يكون اصليا ويمكن ان يكون زائدا فما هو الاصلي اذن داخل هاته الكلمة وما هو الزائد ؟

لا يمكن الفصل في ذلك الا اذا بحثنا عن اصل هذه الكلمة فهل هي ماخوذة من شطن بمعنى ابعد واوثق بالحبل ويكون المراد بذلك ان الشيطان يبعد الناس عن الخير او يربطهم الى المساويء وحينئذ تكون الياء زائدة ويكون الوزن « فيعال » اما اذا كان الاصل ماخوذا من شاط بمعنى هلك فان الوزن يكون « فعلان » قال الرازي في كتابه مختار الصحاح (8) : « والشيطان نونه اصلية وقيل انها زائدة فان جعلته فيعالا من قوله تشيطن الرجل صرفته وان جعلته من تشيط لم تصرفه لانه فعلان » .

ومن هذا المثال الواضح يمكننا ان نقول ان المعرفة بالاوزان واصولها ومزيداتها تعيننا على ربط اللفظ بمعناه وترشدنا الى الاطلاع العميق على ابعاد الكلمة العربية وتجعلنا نهتدي الى شرح النصوص القديمة شرحا يتلاءم مع قصد الوضع ومع هدف الاستعمال .

فما على المهتمين بتعليم اللغة الا ان ينهجوا هذا النهج السليم وعلى الله التمام .

فاس ــ محمد بن عبد العزيز الدباغ

(8) مختار الصحاح للرازي الطبعة المرتبة على حروف المعجم صفحة 361 .



هل يؤدي المثقف المغربي دوره في اغناء الثقافة ببلادنا..؟

للاستاذ محمد بن محمد التطواني

ينبغي ان يستعيد المثقف المغربي ايمانه الراسخ الشامخ بعروبته ولغته ويكسر الاغلال التى كبل نفسه بها حين اسلم مقاده للدعايات التى ما تزال تطفق عليه بالسيل الجارف، وينبغي ان يشيد سدا منيعا حصينا لهذا السيل العنيف وذلك بمساهمته الفعالة والمتواصلة فى حقل الابتكار والاستنباط .

هذا سؤال يضع نفسه ويحثنا على الجواب ونبحث عنه فى كل مكان فى الجامعة المغربية فنجدها فى كل سنة تخرج لنا أفواجا من رجال الغد وشباب المستقبل كل واحد منهم يحمل شهادة فى فن من الفنون ، هي حصيلة ما كسبه طوال سنوات تعليمه ، ثم نبحث عن هذا الشخص فى مكتبة من المكاتب ، وفى ناد ثقافي ، او قاعة للمحاضرات ، فلا نجد له أثرا ، ونعيى بالتنقيب واللاي فنلقاه فى خاتمة المطاف وقد خارت قواه وشاخ فكره ولم يخلق للاجيال شيئا يذكر ويغور نجمه كما طلع ، وينتهي بانتهاء وجوده فى الحياة ، ولكن ماذا خلف هذا الانسان لبني الانسان ؟. وما هو دوره فى الحياة ؟ اذا كان عمل المرء ينقطع من الدنيا الا من ثلاث كما ورد فى الحديث الشريف ، وباي لسان سيذكر هذا الشخص او يعرف ، اذا ذهب ولم يخلف اثرا علميا يدل على انه كان يحيا على صفحة هذا الوجود فى يوم مضى وانصرم ، لقد اخذ من الحياة ولم يعطها ولو قليلا فيذكر ، جنى ولم يغرس ، لم يغير من معالم الحياة شيئا ، ولم يهذب فى القوم اخلاقا ، او يرفع عن الجهل عقولا، لقد مات كما يموت الحيوان الغريب، منسيا غير ماسوف عليه، بعيدا كل البعد عن الجهاد الفكري الذى ينتظره بظمأ ، ومن امثال هذا الشخص الذى انسلخ من واجبه كثير ، تعج بهم هذه البلاد وتموج ، كل همهم ان يتقلدوا فى المستقبل منصبا يتعيشون من راتبه الشهري وينسون بالمرة انهم مدعوون جميعا وبدون استثناء الى خلق حماس ثقافي وثورة فكرية محمودة المسعى ، نحن احوج ما نكون اليها كحاجتنا الى الماء والهواء ، اذا آمنا بضرورة الاشياء ولزومها لنا، فالركود الثقافي الذى تعيشه بلادنا وتعانيه بمرارة ، يكاد يفقدنا الثقة بمثقفينا المغاربة ، ومستقبل اللغة العربية التى هي من أكبر مقومات كياننا ، بل هي وبالاحرى مفتاح شخصيتنا الذى نستطيع بواسطته ان نحقق استقلالنا الفكري الذى يضمن لنا الاكتفاء الذاتي بعد ان حققه اجدادنا المنعمون لانفسهم منذ قرون طويلة خلت امتدت حقبها على مسار التاريخ ، سجلوا

ابناءها علما جما ، وخلفوا ادبا غزيرا راقيا ، كان له الفضل الاوفر والحظ الاكبر على حضارة الغرب وازدهاره في مختلف العلوم والفنون .

واذا اردنا ان نسلك السبيل لجمع الشوارد والفوائد لابراز هذه الحقيقة الواضحة فان المجال فى هذا المضمار متسع لان ما كتبه الغربيون والمتبعون لآثار المسلمين عامة والعرب خاصة كثير وغزير ، ويكفي أن نستشهد ببعض الامثلة اقتبسناها من كتاب قصة الحضارة للعلامة « ول ديورانت » وذلك فى جزئه الثاني من المجلد الرابع صفحة 386 حيث يقول : « لقد ظل الاسلام خمسة قرون يتزعم العالم كله فى القوة والنظام وبسطة الملك وجميل الطباع والاخلاق ، وفى ارتفاع مستوى الحياة وفى التشريع الانساني الرحيم ، والتسامح الديني ، والآداب ، والبحث العلمي والطب والفلسفة الخ .. . وهذه حقيقة يعترف بها عالم كبير من علماء الغرب لم يجد عنها حولا ، من ابرازها كما هي . ويقر بفضل المثقف العربي والاسلامي على العالم اجمع فى زمن كانت حياة الظلام والانحدار تسوده ، بل تعدى الاسلام الميدان الثقافي وتجاوزه ليمد العالم المسيحي حتى بالطعام والشراب ، وهذا لعمري مستوى لا تدركه الا الدول الغنية كامريكا اليوم وغيرها من الدول القليلة التى حصلت على الاكتفاء الذاتي . واخذت فى مد الدول الفقيرة والنامية بما فضل عليها ، وفى هذا المعنى يقول المؤلف فى الصفحة الموالية من الكتاب : « اما العالم الاسلامي فقد كان له فى العالم المسيحي اثر بالغ فى مختلف الانواع .

لقد تلقت اوربا من بلاد الاسلام الطعام والشراب والعقاقير والادوية والاسلحة وشارات الدروع ونقوشها والمدافع الفنية والتحف والمصنوعات والسلع التجارية وكثير من الصناعات ، والتشريعات والاساليب البحرية الخ .. »

وبفضل المثقف العربي المؤمن بلغته لمعت هذه اللغة الكريمة فى الماضي وفرضت وجودها على العالم لانها لغة العلوم ولغة الآداب بما يتطوي عليه هذا العلم من دقة واحكام وماتحتضنه هذه الآداب من رقي وروعة ، وحس رقيق ، ومعنى جميل .

وفى هذا الباب يستشهد المؤلف ببعض الشواهد والاسباب التى ادت الى نقل بعض الصناعات الى الغرب فيقول فى صفحة 385 : « اننا نقول هنا بايجاز انه جاء عن طريق التجارة والحروب الصليبية وعن آلاف الكتب التى ترجمت من اللغة العربية الى اللاتينية وعن الزيارات التى قام بها العلماء امثال جربرت ، وميخائيل اسكت ، وادرلاد ، ومن الشبان المسيحيين الذين ارسلهم آباؤهم الاسبان الى بلاد الامراء المسلمين ليتربوا فيها ويتعلموا الفروسية ، ذلك ان بعض الاشراف المسلمين كانوا يعدون فرسانا وسادة مهذبين وكاملين وان كانوا مسلمين) ومن الاتصال الدائم بين المسيحيين والمسلمين فى بلاد الشام ومصر وصقلية واسبانيا وكان كل تقدم للمسيحيين فى اسبانيا تتبعه موجة لآداب المسلمين وعلومهم وفلسفتهم ، وفنونهم تنتقل الى البلاد المسيحية وحسبنا ان نذكر على سبيل المثال ان استيلاء المسيحيين على طليطلة فى عام 1085 قد زاد معلومات المسيحيين الفلكية وابقى على الاعتقاد بكروية الارض » .

ولنقف عند هذا الحد بما ذكرناه ذلك لاننا كما قلنا سابقا بان الامثلة على ما اسلفه المثقف العربي وما قدمته اللغة العربية للانسانية جمعاء لا مجال لحصره، وانما نكتفي بالقدر الذى ربما ينبه المتعلمين من ابناء الامة عساهم ان يفتحوا منافذ قلوبهم وعقولهم فيؤمنون بجدوى لغتهم ورسالتها الحميدة التى ادتها والتى ينبغي ان تدوم وتستمر باستمرار الحياة ، وليعلموا ان اللغة لن تسمو الا بفضل رجالها ، وايمان ابنائها بها ، وكذلك حين تتقهقر وتأفل ، وليتأكدوا ايضا انهم ابناء رجال عملوا دون كسل او اتكال، فخاضوا غمار العالم ، وبثوا فيه معاني الرقي والفضيلة ، فسادوا ، وقادوا الامم الى نور المعرفة الصحيحة ، بعد ان كادت ان تعرف الحياة من غير نور . وهناك تضيع الحقيقة الانسانية فى معنى الجمود والهبوط الى التشبه بالحيوان الاعجم الذى لن يغير طبيعته بنفسه ، لانه لم يفكر فى ذلك ، ولا يملك القدرة على هذا التفكير .

اننا نود فى بعض الاحيان ان نسوق شهادة الاجانب واقاويلهم فينا وفي تاريخنا وتراثنا ليعلم شبابنا العربي الذى ما يزال مشدوها من فعل سحر حضارة الغرب التى استولت على ذهنه ليتنبه فى ساعة من الزمن اليومي ، ويتأمل بكل موضوعية ، ما اسداه المثقف العربي الى العالم فتعود الثقة الى نفسه فيؤمن بقدرة لغته وجدواها ونفعها الشامل ويعمل على تقوية مركزها بين اللغات وذلك بمساهمته

الفعلية في خلق جو ثقافي يضم الى الميدان العلمي ادبا حيا وارف الظلال عذب المذاق سهل المنال . يمسح من العقول الصدئة بتراكم الماديات عليها الفكرة التي تقول بان العصر لم يعد في حاجة الى ادب وهم يجهلون ان الادب ما هو الا تعبير واضح عن وجدان الامة وانعكاس يعبر عن آثارها في اسمى كلام واروع صورة . ولكأني ارى الانسان في تركيبه ما هو في الواقع الا امتزاج من الادب والعلم . العلم الذي ينطلق من العقل ، والادب الذي يبدأ من القلب، وكيف يا ترى يستطيع الانسان في حياته ان يعيش بعقل دون قلب او بقلب دون عقل . اذا اراد هذا الانسان ان يتذوق طعم الحياة او يعرف سر نعيمها ويدرك قيمتها وقيمته هو نفسه بجميع حواسه ادراكا لا مجال فيه للالتباس .

ان الذين يبثون هذه الافكار وينشرون هذه البلبلة لا شك انهم يريدون ان يروا هذه الامة عارية من عقلها ، خالية من قلبها ، وهم الد اعدائها وخصومها حين ارادوا لها هذا المصير المظلم والنهاية المحزنة ، ولكن وامام هذه المحن والاهوال التي ما تزال نرزح تحت ثقلها هل فكر المثقف المغربي في يوم من الايام القريبة العهد بنا او البعيدة ان يؤدي دوره البناء تجاه امته ووطنه ، دوره الفعال الذي تفرضه الحاجة الملحة للقيام به ، لا أعتقد !! فاننا لحد الآن لم نشاهد بجلاء بوادر انطلاقته التي تتلهف بقلوبنا واسماعنا ليومها المنشود لنراه وقد استعاد انفاسه لاتمام مجده الخالد ومواصلة السير باطمئنان في الطريق التي خطها اجدادنا الاولون بوحي من عقلهم الناضج الوقاد تلك الطريق التي حمد مسعاها الاولون وتنكرنا لها نحن حين تقاعسنا ورضينا بالخمول والعجز .

فالمثقف المغربي – باستثناء القلة النادرة – لم يواصل المسيرة التي كان عليه ان يعبرها بسهولة ويسر او هو منح لفكره متسعا من الاستعداد والعزيمة والارادة ، وما كان ليستعصي عليه امر مهما بلغ حجمه او جسامته لو اتخذ له العدة اللازمة ، واذا كنا نقاسي اليوم وبمرارة ركودا ثقافيا عنيفا يظهر بوضوح اكثر في ازمة القارىء الذي يكاد ينعدم بحيث لا نصادفه الا في تلك القلة القليلة من الناس ، الذين ما فتئوا يرجعون الى الكتاب باعتباره خير تعزية لما يحيونه على الحاضر من تدهور الفكر ، ويتخذونه نافذة يطلون من ورائها على العوالم التي مضت لعلهم ينسون كآبة هذا العالم بعد ان عاش العربي فيما قبل جاهدا دون هوادة ليذر الوعي الفكري في مختلف القارات . فاذا كنا نعاني اليوم من هذا الركود الفكري الممض ، فان اهم الاسباب في نظري تبدو في عدم اعطاء اللغة العربية ما تستحقه من العناية المطلوبة وذلك بتطويرها باستمرار حتى تتلاءم مع الزمن الحاضر الذي لا يقبل المهلة او الانتظار ، وتحقيق ذلك ينبغي ان يتوفر لدينا الاعتراف الكافي بمكانة هذه اللغة ثم الاعتزاز بها مع الايمان بمدى قدرتها على التطور والتكيف حتى تؤدي دورها كما يرجى لها لا كما يريد لها اعداؤها ، لان الايمان بالشيء اذا ما لامس حواشي القلب وتركز في العقل لابد وأنه يزيل تلك العقد المتراكمة على افئدتنا الجاثمة على صدورنا ، والمستعمر كان وحده في البداية من اهم العوامل والاسباب التي خلقها لتبقى سيطرته مستمرة واغلاله في عقولنا محكمة حتى وان رحل بجيوشه عن أرضها ، ولنظل له دائما عبيدا خاشعين خاضعين ويكون هو في الاخير من فاز بالصفقة ، وكسب الرهان ، لاننا سنكون آنذاك قد فقدنا كل ثقة بانفسنا لاننا سنقلده في كل شيء وعندئذ سنتحلل تدريجيا من قيمنا ومبادئنا التي تنبني عليها شخصيتنا وهذا ما يريد عدونا ان يستدرجنا اليه لان ثمة يكمن انتصاره الحقيقي الذي ينشده دون ملل او هوادة .

واذا كان اعتزازنا بلغتنا العربية قد بدأ ينطفيء وتخبو جذوته ولم تحتضنه في النهاية الا جماعة من الناس اولئك الذين امتلأوا غيرة خشية الضياع ، ضياع كرامة العربي وفقدان وجوده الصحيح ، الذي عاشه من قبل ، في فترات من الزمن كان فيها عزيزا قويا ، اذا كان هذا الحماس النابع من وحي العقلية العربية السليمة قاصرا على تلك الثلة من الناس فما هو اذن دور شبابنا ومثقفينا في مجال اغناء الثقافة العربية ببلادنا ؟ لعل دورهم من الاهمية القصوى بحيث لا يمكن تناسيه او الاغفال عنه او المرور عليه في شرود ، ولكن هل يؤدي هذا الدور اولا ، كما نأمل له ان يكون ؟ بالطبع فان جوابنا سيعطينا نتيجة حتمية تساوي ذلك الحرف « لا » يدل على النفي القاطع فلا يدع مجالا للشك ، اذا ما اردنا فعلا ان نختار سبيل الصراحة والموضوعية ونبتعد ولو قليلا عن المحاباة والمجاملة التي كانت وما تزال من اقوى المعوقات التي تعوقنا عن الانفتاح وتبعدنا عن كل وضوح وبيان .

ان المثقف المغربي ، في بلادنا مدعو لتمزيق ذلك الستار القاتم الذى نسجت خيوطه الواهية سموم الافكار التى يدسها عدونا فينا ، فيتلقفها المتنكرون لشخصيتهم وينقلونها هم بدورهم — بامانة — الى الناس فيبثون روح التفرقة والشك ومدعو كذلك الى ان يساهم بنصيبه فى خلق حماس ثقافي لابد وان اشعاعه فى المستقبل القريب على العقول المظلمة ستعود بدون ريب بالانفراج والضياء والخير والبركة .

ان مثقفنا المغربي على الخصوص مدعو باستمرار ومع الحاح الى تادية دوره المفروض عليه كمواطن حر له تاريخ وحضارة ومجد وبطولات ، كما ينبغي لهذا الدور ان يؤدى ومدعو ليعمل لاحباط الدعايات وليزكي لغته ويعمل من اجل تطويرها واعلاء مقامها ورفع شانها وإعادة مكانتها المتناسية ومجدها السليب وماضيها الرائع الجميل الذى ما يزال رغم الركود النسبي ينبض كالحياة ويجري كالدم الساخن فى العروق ، مدعو لينبذ عنه الاساطير التى يحاول المغرضون المراؤون أن ينقشوها على مرآة فكره ليحجبوا عنه نور الايمان بشخصيته الذى هو سر من اسرار وجوده فى الحياة وميزة من مميزات كيانه ودينه الذى ينتمي اليه .

واذا كانت اللغة فى حد ذاتها وسيلة للتعارف والتفاهم فهي وبدون جدال او شك اذا تطورت ووضعت لها المدلولات والمفاهيم المطلوبة ستفي بالحاجة التى يرغب الانسان او يطمع فيها ، لانه هو نفسه الكائن الوحيد الذى يستطيع ان يضفي عليها هذا التجديد ويكسبها القوة وذلك بابداعه وخلقه وابتكاره الذى سيصير فيما بعد مدلولا متعارفا عليه له قواعده التى تنظمه وتحميه من الاندثار ، ولعمري كيف يكون مركز الذهب الآن لو لم نضف عليه نحن هذه القيمة .

وشبابنا المثقف هو هذا الانسان الذى نبحث عنه ،لان قيمة اللغة تكمن فيه ، ثم لانه الكائن الوحيد الذى يملك هذه القدرة الخارقة التى يمكن ان تتطور بلغتنا لتساير الحاضر والمستقبل الذى نترجاه ، لنراها فيما بعد ، وقد استطاعت بفضل حماتها ان تتمشى دون تأخر مع العلوم الحديثة بمختلف مراحلها المعقدة الطويلة الشاقة ، وفى هذا الموقف بالذات يبرز دور المثقف المغربي خصوصا والعربي عموما ، حتى يستطيع أن يساير النهضة ، وذلك بعد ان يلهم الرشاد ويفيق من اغفاءته التى طال امدها واتسع وقتها وزمانها حتى اصبحنا نرى الاجيال الفتية الحديثة العهد بالثقافة تنظر الى لغتها وتاريخها نظر من زاغ بصره وطاش صوابه وربما تتجاوز حدود المعقول والمنطق ، فتضعها وباحتقار فى سلة المهملات وتطوى الصفحة فى برودة اعصاب وانعدام ضمير ، الى غير رجعة ، وينفذ فى مجد وتاريخ عريقين حكم الاعدام ، وعقوبة الموت ، ونكون نحن فى الحقيقة اول ضحايا هذا الاعدام الفكري ، الذى خططناه ورسمناه للاجيال المتعاقبة التى لن نحملها كبير مسؤولية على جرمها ، لانها نمت بما ارضعناه لها من افكار ، وتغذت بسلوكنا المستمر . فالمولود كما ورد فى الحديث الشريف يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه.

ان دور المثقف المغربي بالنسبة لمجتمعه الذى ينتمي اليه دور لا يمكن بحال من الاحوال ان نمر عليه مر الكرام فالقضية تمس صميمنا واعتقاداتنا كذلك وتتجاوز شغاف قلوبنا واعماق مشاعرنا

وينبغي للمثقف فى هذه الظروف المتكالبة علينا ، ان يخرج من تقلصه ، ويتمدد ويتسع بفكره، على آفاق جديدة رحبة ، ويجعل من لغته لغة العلم كما كانت ، ولغة الادب ، كما ينبغي ان تكون بما يشمله هذا الادب والعلم من اتجاهات ، اننا نود ان تروج الكتب وتعمم الثقافة ونريد حركة فكرية عربية زاهرة ، خالصة ، وهذا الدور لا يمكن ان يحسن اداءه ويقوم به الا المثقف المغربي الذى ينتمي الى هذا المجتمع الذى نتمنى له ان يزدهر وينتعش بروح العلم والادب .

ينبغي ان يستعيد المثقف المغربي ايمانه الراسخ الشامخ بعروبته ولغته ويكسر الاغلال التى كبل نفسه بها حين اسلم مقاده للدعايات التى ما تزال تطفق عليه كالسيل الجارف ، وينبغي ان يشيد سدا منيعا حصينا لهذا السيل العنيف ، وذلك بمساهمته الفعالة والمتواصلة فى حقل الابتكار والاستنباط ، وينبغي كذلك ان يحتك بالغرب او الشرق وبالثقافة اينما برز نورها او بدت معالمها ، فيغرف من كل جديد يضيء حياته ، كما فعل الغرب تجاه حضارتنا من قبل فليس عيبا ان يتعلم المرء من غيره ولكن العيب ان ينسلخ الانسان بالمرة من قوميته ولغته وينساق وراء الغير غير ملتفت الى ذاته وينزع جلده ويلبس جلد الآخرين .

ان العيب كل العيب يتشخص فى تقاعس المثقف العربي فى كل ارض عربية عن مواصلة السير بحضارته المنيفة الى الامام ، والدفع بما يتفق وتطور الحياة وليس بصعب المنال ان نسترجع الثقة بانفسنا ، وعزة ماضينا ، اذ ان الامر لا يتطلب سوى الايمان الذى لا نريد ان تخبو له نار او ينقطع له وثاق ، فالايمان وحده بفعالية لغتنا وقدرتها ومدى ايجابيتها ، هو الاساس الوطيد الذى يمكن ان نضع عليه اقدامنا ونحن آمنون مطمئنون من كل سقوط او تعثر ونحن فى بداية الطريق .

لقد تعلم عنا المثقف الاجنبي عن قوميتنا حين آمن أن العلم هو الوسيلة الفعالة لتطوير الحضارات واسعاد الانسان ، ورفع شأنه وقدره ، ووجد فى تراثنا الزاخر معينا لا ينضب ومنبعا فياضا لا يغيض فشرب وارتوى وترجم تاريخنا العربي ترجمة من يريد اكتساب المعارف وطلب الفائدة لازاحة وطأة الجهل ولم يقف عند هذا الحد بل طور ذلك وزاد عليه وقنعنا نحن بالاشراف على ذلك المجد ، متلذذين باعمال اجدادنا كلما حز بنا ما يمس تاريخنا بسوء فلما فتحنا اعيننا وجدنا انفسنا فى مهب الرياح وقد فاتنا الركب بعشرات السنين ورحل غيرنا عنا بمسافات بعيدة المدى حاملين معهم زادنا الذى لا ينقرض وزبدة صافية خالصة من تراثنا جعلوها نقطة انطلاقهم نحو الامام . واكتفى المثقف المغربي – ان صح هذا التعبير – اما بالويل ودعوى التبور على لغته واصما اياها بالقصور والعجز على الايفاء بالمطلوب وهو لا يعلم انه مر بفترة طال فيها سباته لم يبذل اثناءها الا القليل غير مجموعة من الاعمال والمجهودات الفردية المتناثرة هنا وهناك والتى لا يمكن ان تكون ذات جدوى ما لم تتظافر جهود الجميع من هؤلاء المثقفين والمسؤولين ليعملوا متعاونين على استرجاع سليب مجدهم وذلك ببعث شخصيتهم بطابعها ورونقها العربي بما يشمله هذا الطابع الخاص من ذروة العلم والادب .

اننا نود من مثقفينا ان يكون دورهم غير منغلق فيطلعوا ويتعلموا ممن هم اهل لان نتتلمذ عليهم ، فليس ذلك بعيب ، بل هي وصية نبوية خالدة ظلت تعمل فى النفوس الطموحة حقبا طويلة من التاريخ ونسيناها نحن حينا من الدهر ، وحورها البعض الاخر عن مدلولها ولكننا مع كل ذلك الانفتاح نأمل باشتياق ان يصطبغ بعروبتنا وتكون لغتنا هي ذات السيادة والهيمنة على جميع الخطوات التى يمكن ان نتركها على طريق تاريخنا الطويل . فهذا الرسول الاعظم ينادي فى قومه :

اطلبوا العلم من المهد الى اللحد . اطلبوا العلم بحكمة ولو فى الصين . فنفهم من ذلك اننا امة وجدت لتتعلم لان بالعلم يعرف الله وامة لتتادب لان بالآداب تسمو الاخلاق وبدونها لا تدوم الحضارات ولا تعرف .

ولهذا نريد ان يكون دور المثقف المغربي دور الروح فى الجسد تعمل على بقائه وصيانته من التعفن والاندثار ونريد ان يتحقق على يده هذا الحلم الذى نتمنى من كل اعماقنا ان نراه فى معترك اليقظة والوعي يعمل من جديد فى غير ملل او يأس او نفاق ويكون متعلما عاما اكثر منه متكلما خنوعا ويجعل من الشاعر الذى يقول :

ليس فتى بفتى لا يستضاء به
ولا يكون له فى الارض آثار

ويتخذ معناه عنوانا جديدا يبتديء به صفحة حياته وعندئذ فلن نخشى عليه حين يكثر من الكلام .

سلا – محمد بن محمد التطواني

زهير بن أبي سلمى

داعية السلام في العصر الجاهلي

للأستاذ علي لغزيوي

لا شك ان الدكتور زكي المحاسني رحمه الله على صواب في قوله ممهدا لكتابه: (شعر الحرب في ادب العرب) : « ومن عجب ان يخلق الانسان وحب الحرب غريزة فيه ، منذ كان على الارض الى اليوم . فقد وجد قطرة الدم بلسما لنزوة الغضب .. وما عرف الدهر قوماسكنوا الدنيا ، ولم يقتتلواما بينهم ، أو لم يحاربوا جيرانهم ، فكان اذن حتما لزاما ان تنشأ حوادث حربية في الامم . » (1) .

ذلك ما يلمسه الانسان وهو يستعرض تاريخ البشرية على وجه البسيطة ليطلع على هذا التسجيل الضخم للوقائع العديدة التي يحفل بها هذا التاريخ. واذا كان الانسان المعاصر لا يزال يعاني من آثار الحربين الكونيتين الاخيرتين باعتبارهما افظع ما عرف الانسان من حروب ، فان الحروب القديمة لا تقل عنها فظاعة ، حتى اننا لنتساءل : هل الانسان خير بطبعه ام شرير ؟ هل ينزع الى الخير أم الى الشر ؟ .

واذا كان الجواب على اسئلة من هذا النوع ليس بالامر الهين ، فانه ايضا ليس مستحيلا ، فلم يخل عصر من عصور التاريخ من رجال اشتهروا وخلدت اسماؤهم بسبب ما كانوا يقومون به ويدعون اليه من أعمال الخير ، الى جانب الاشرار الدعاة الى الحرب والشر الذين كان يسقط في يديهم كلما هب دعاة السلام يخاطبون الناس .

واذا اخذنا العصر الجاهلي كمثال نجد فيه الشيء الكثير من ذلك ، فيه الحروب التي لا تكاد تنتهي ، والتي تقوم في كثير من الاحيان لاتفه الاسباب ، كحرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء او حرب السباق كما تسمى ايضا، وفيه ايضا محاولات وتضحيات عديدة لحقن الدماء .

ومن يستعرض تاريخ العصر الجاهلي وادبه يثير اهتمامه هذا التسجيل الهائل لحروب العرب وايامهم في ذلك العصر ، وهي اما حروب بين القبائل العربية نفسها ، أو بين العرب ومن حاول الاعتداء على اطراف شبه الجزيرة العربية مثل الفرس او الاحباش او غيرهم .

واذا كان الشعر الجاهلي الذي عاصر تلك الاحداث ، هو ديوان العرب يسجل وقائعهم وأهم أحداثهم ، فان مهمته كانت في كثير من الاحيان تتعدى ذلك على يد بعض الشعراء المجيدين الذين كانت تشغلهم قضايا ومشاكل عصرهم الكبرى ، فيحاولون المساهمة في حلها ونشر الخير والطمأنينة في ربوع بلاد العرب .

(1) شعر الحرب في ادب العرب للمرحوم د. زكي المحاسني ـ تمهيد ص 11 .

ومن هؤلاء نذكر الشاعر الذى عاصر حرب داحس والغبراء ـ حرب السباق ـ وكان له مشاركة فعالة فى دعوة القوة الى التخلي عن الحرب والعودة الى الود والسلام ، ذلك هو الشاعر زهير بن ابي سلمى .

وقبل ان نتعرف على الدور الذى قام به الشاعر زهير فى هذه الحرب وطبيعته ، لا بأس ان نتساءل عن اهم اسباب هذه الحرب، وعن الطرفين فيها وعن مكانها ؟

ان ماخص السبب الذى قامت من اجله كما يذكر الرواة ذلك ان سيدا من بني عبس هو قيس ابن زهير ، وسيدا من بني فزارة من ذبيان هو حمل ابن بدر ، تراهنا على فرسيهما : داحس فرس قيس، والغبراء فرس حمل وقيل فرس اخيه حذيفة ، ايهما يكون له السبق ، وجعلا الرهان مائة بعير ، ولكن (حمل بن بدر الفزاري) طلب من بعض الفتيان وضع كمين فى طريق فرس خصمه داحس ان جاء سابقا ، ونفذ الفتيان ذلك ، فثار بنو عبس وكثر الجدال ، وهكذا نشبت الحرب بين عبس وذبيان وهما ابناء عمومة اذ كلاهما من غطفان ، شأنها فى ذلك شان حرب البسوس بين بكر وتغلب وهما من وائل ، ودامت حرب السباق هذه حسب الروايات القديمة حوالي اربعين سنة ، غطت دماء قتلاها ارض غطفان التى تربى فيها الشاعر زهير .

ويمكننا ان نتصور الحالة النفسية والاقتصادية التى كانت تسود هاتين القبيلتين ومن حالفهما من القبائل الاخرى ، فمن تعدد القتلى الى انتشار الذعر والفزع وفقدان الطمأنينة والاستقرار ، الى خيبة الامل والشعور بالملل ، والحرب فى العصر الجاهلي كانت تقوم على الثأر ، فكل قتيل لابد من دفع ديته او قتل شخص آخر ، فكيف اذا تعدد القتلى وطالت المدة ؟

وطبيعي ان تجد كل دعوة او محاولة لعقد هدنة ووقف هذه الحرب صدى وقبولا فى نفس الجميع ، واذا كان عنصر الشر قد تغلب عند هؤلاء المتحاربين ، فان عنصر الخير قد برز عند شخصين هما : هرم بن سنان والحارث بن عوف ، لا يذكران الا بالمديح والثناء سواء عند المتحاربين او عند عامة الناس ، للدور العظيم الذى قاما به لانهاء هذه الحرب التى كانت تنذر بالاستمرار وتهدد القوم بالفناء ، اذ اخذا على عاتقيهما دعوة الناس الى الصلح وتحملا ديات القتلى من الطرفين التى يقال انها بلغت ثلاثة آلاف بعير ، فهال الناس واستبشروا خيرا واكثروا من المديح والثناء على لسان الشاعر زهير فى قصيدته الميمية الطويلة :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما
تبزل ما بين العشيرة بالدم

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما : ان ندرك السلم واسعا
بمال ومعروف من الامر نسلم

— * —

عظيمين فى عليا معد ـ هديتما ـ
ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت
ينجمها من ليس فيها بمجرم

ولكن الصراع بين الخير والشر يظهر مرة اخرى ، فينتصر الشر فى نفس حصين بن ضمضم المري ولكن الى حين . فقبل عقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين كان هذا قد اقسم الا يغسل راسه حتى يقتل ورد بن حابس العبسي الذى كان قد قتل اخاه هرما ، او شخصا من عبس من غالب اهل ورد، ولكنه لم يطلع احدا على هذا القسم ، ولم يستطع اخذ الثأر لاخيه الا بعد عقد الصلح ، فثار العبسيون لذلك ، وتبودلت الاتهامات بالخيانة والغدر ، وكادت الحرب تشتعل مرة اخرى بسبب التقاليد المتمكنة فى نفس القوم وان كانت شرا ، ولكن السلم والخير ينتصران فى النهاية ، فياخذ القوم مائة من الابل دية لقتيلهم ويتم الصلح ، وتعم الفرحة اشد من السابق . ويتغنى الشعراء بهذا الكسب العظيم .

ومن هؤلاء الشاعر الكبير زهير بن أبي سلمى صاحب الميمية المطولة التى يمكن ان نطلق عليه

بسببها وبسبب القصائد الاخرى المشابهة لها : داعية السلام في العصر الجاهلي ، وهي قصيدة جمع فيها خلاصة آرائه وتجاربه في الحياة .

واذا تساءلنا عن الاركان المهمة التي اعتمد عليها زهير في دعوته الى السلام نجدها تتلخص فيما يلي :

1 ـ دعوة صريحة الى التخلي عن الحرب بالتنفير منها ومن ويلاتها ونتائجها وتضخيم مساوئها وعيوبها وشرورها في مثل قوله :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم
كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها
قرى بالعراق من قفيز ودرهم ـ

2 ـ مدح من يسعى لاقرار السلم ويضحي من اجله بالمال والمعروف مثل السيدين : هرم بن سنان والحارث بن عوف ، وقد رأينا ابياته السابقة في مدحهما ، وهذه ابيات من قصيدة اخرى في مدحهما :

هم خير حي من معد علمتهم
لهم نائل في قومهم ولهم فضل

فرحت بما خبرت عن سيديكم
وكانا امرأين كل امرهما يعلو

رأى الله بالاحسان ما فعلا بكم
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو

تداركتما الاحلاف قد ثل عرشها
وذبيان قد زلت باقدامها النعل

فاصبحتما منها على خير موطن
سبيلكما فيه وان احزنوا ، سهل

— ❊ —

وفيهم مقامات حسان وجوههم
واندية ينتابها القول والفعل

— ❊ —

وان جئتهم الفيت حول بيوتهم
مجالس قد يشفى باحلامها الجهل

وهنا يمكن ان نسجل ظاهرة مهمة في مدح زهير لمن يعجب بهم وتبهره مساعيهم الخير الانسانية ، فهو لا يمدحهم الا بما عملوا ، وذلك سر اعجاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب به كما يذكر الرواة ذلك ، لانه لا يقول الا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

وهكذا يكون مدحه مدحا لمبادىء يمثلها الاشخاص قبل ان يكون مدحا للاشخاص انفسهم . فتراه مثلا يعلل مدحه لهرم بن سنان قائلا :

اليس بفياض يداه غمامة
ثمال اليتامى في السنين محمد

— ❊ —

اليس بضراب الكماة بسيفه
وفكاك اغلال الاسير المقيد

ولا اظن احدا سواء من معاصري هرم وصاحبه او ممن قرأ فيما بعد عن اعمالهما لوقف الحرب ، الا ويعجب بهما يكثر من الثناء عليهما ، ان اعمالهما المتمثلة في التضحية بالمال والمعروف في سبيل احلال السلم محل الحرب لتمثل التضحية والشهامة والاباء الشجاعة والكرم لدى العربي الحر ، وتضفي عليهما صورة انسانية نبيلة تضاهي ما يتمتع به اكبر دعاة السلام في هذا العصر وفي كل عصر ان لم تفقه ، وترفعهما الى مكانة اسمى .

وقد استطاع زهير بفنه ان يجعلنا نشعر بذلك .

وظاهرة ثانية نستخلصها من مدحه وهي اظهار الصفات الحقيقية المثالية التي يجب ان يتمتع بها السيد العربي ، تلك الصفات التي لا يتمتع بها الا عدد قليل من الناس ، فراعه تحققها الفعلي في افراد ممتازين من صفوة رجال مجتمعه ، فامسك بها

بحساسية الشاعر المرهف وصورها بقدرته الفنية الخاصة على التصوير ، فتراه يقول مثلا في مدح حصن بن حذيفة بن بدر وهو من سادة غطفان :

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذي انت سائله

حتى ان ناقدا كبيرا مثل الدكتور محمد النويهي لم يتمالك ان قال عن هذا البيت :

« ان كان ممدوح زهير هكذا حقا – ونحن لا يخامرنا شك في صدق زهير – فهذا هو الكرم الحقيقي ، الكرم النادر الوجود ، لا بين الجاهليين وحدهم ، بل في الطبيعة البشرية جمعاء . وقد اعجب القدماء بهذا البيت اعجابا كبيرا ، وقرروا ان جمال وصفه هو انه يسجل صفة مخالفة لما جرت به العادة من محبة النفس للاخذ وكراهيتها للعطاء. » (1)

ومما تقدم نرى ان مدح زهير يختلف عن مدح غيره من الشعراء في عصره، ومن جاء ذلك تفضيل عمر بن الخطاب له وحجته في ذلك انه لا يتبع حوشي الكلام .. ولا يقول الا ما يعرف . ولا يمدح الرجل الا بما فيه .

3 – ومن الامور التي يعتمد عليها زهير في دعوته الى السلم بالاضافة الى تنفيره للمتخاصمين من الحرب وويلاتها ونتائجها . تلك النصائح التي يقدمها لهم يحذرهم فيها من مغبة اعمالهم ومن تعرضهم للعقاب والحساب – ويظهر زهير في ذلك شديد الايمان بالحساب والعقاب واليوم الآخر – ومن الامثلة على ذلك قوله :

الا ابلغ الاحلاف عني رسالة
وذبيان : هل اقسمتم كل مقسم ؟

فلا تكتمن الله ما في صدوركم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل فينقم

ومن ذلك تلك النصائح التي قدمها لبني هوازن وبني سليم الذين ارادوا الاغارة على غطفان رغم القرابة التي بينهم – اذ كلهم من مضر – فقال ينصحهم للتخلي عن هذه الحرب لانها ستقضي على تلك القرابة وتؤذي الجميع بل قد تؤذي المعتدين قبل غيرهم :

رأيت بني آل امرىء القيس اصفقوا
علينا وقالوا : اننا نحن اكثر

سليم بن منصور وافناء عامر
وسعد بن بكر والنصور واعصر

خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا
اواصرنا والرحم بالغيب تذكر

خذوا حظكم من ودنا ، ان قربنا
اذا ضرستنا الحرب نار تسعر

وانا واياكم الى ما نسومكم
لمثلان او انتم الى الصلح افقر

4 – هجاؤه لمن يريد الاستمرار في الحرب بنقضه العهود واضمار الشر في نفسه مثل حصين بن ضمضم الذي جنى على عشيرته فاتهموا بالغدر والخيانة . فقال زهير في ذلك :

لعمري لنعم الحي جر عليهم
بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم

وكان طوى كشحا على مستكنة
فلا هو ابداها ولم يتقدم

واذا حاولنا ان نبحث عن خصائص ومميزات آراء زهير في دعوته الى السلم نجد الحكمة والتعقل والاعتماد على الحجج التي تؤيد تلك الآراء من اهم هذه المميزات ، حتى سمي بالشاعر الحكيم ، ولا غرو فقد خبر الحياة ورأى ما فيها من متناقضات : من خير وشر ، حرب وسلم ، حب وبغض ، عدالة وظلم ..

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

ذلك الشيخ الحكيم الذي يحاول ان يقدم الى قومه – والى كل البشر – خلاصة تجاربه الشخصية

(1) الشعر الجاهلي للدكتور محمد النويهي ج 2 – ص : 632

منذ طفولته الى الثمانين ، وهي تجارب لا شك غنية ومفيدة وصائبة تنطبق لا على العصر الجاهلي والبيئة العربية وحدهما ، بل تنطبق ايضا على كل الازمان وعلى كل بيئة . الا نجد ذلك فى مثل قوله على سبيل المثال :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

— * —

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه
وان يرق اسباب السماء بسلم

— * —

وكاين ترى من صامت لك معجب
زيادته او نقصه فى التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وان سفاه الشيخ لا حلم بعده
وان الفتى بعد السفاهة يحلم

وحكمة الشاعر زهير تتعدى آراءه لتظهر فى فنه سمة من اهم سماته ، وتتجلى فى هذا التناسق والترتيب فى افكاره وصوره ، حتى ان مطولاته سميت بالحوليات لانه كان يخرجها بعد ستة : ينظمها فى اربعة اشهر ، وينقحها فى اربعة اشهر ، ويعرضها على اخصائه فى اربعة أشهر . ويظهر مثل ذلك الترتيب والتنسيق مع الاعتماد على التصوير الحسي فى مثل قوله فى امراة اذ وصفها وصفا عاما اولا :

تنازعت المها شبها ودر البحو
ر وشاكهت فيها الظباء

ثم اخذ يفصل هذه الصورة العامة فقال :

فاما ما فويق العقد منها
فمن ادماء مرتعها الخلاء

واما المقلتان فمن مهاة
وللدر الملاحة والصفاء

كما يظهر ذلك ايضا فى قوله يمدح بطلا ويصف طريقته فى خوض غمار المعركة :

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا
ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وقد عد زهير بهذه الطريقة المعتمدة على الصور الحسية والترتيب والتنسيق والتنقيح صاحب مدرسة فنية كان لها بعض الاتباع ممن تاثر بها مثل ابنه كعب ، والنابغة الذبياني والحطيئة ومن سار على منوالهم .

واذا كان الفن يستوحي الحياة وياخذ مادته منها ، فان شعر زهير كان خلاصة لتجاربه فى الحياة ، استطاع ان يصورها بفن رفيع ذي خصائص ومميزات تحببه الى الشباب والكهول ، لانه لا ينطق الا صدقا وعن تجربة وحبا فى نشر الخير بين الانسانية ، فكان بذلك عضوا صالحا فى مجتمعه ، استطاع ان يبلغ رسالته السامية بجمال فنه ، فكانت رسالة ازدواجية : رسالة ادبية جمالية فنية ، ورسالة اصلاحية تدعو الى الخير وتحببه الى القلوب . ومن أهم مميزات هذه الرسالة انها جمعت بين صدق الانفعال وجودة الاداء ونبل الغاية ، اما صاحبها فقد دعا الى الخير من اجل الخير ، فاحبه القدماء والمحدثون ، ويكفي ان اسوق راي ناقد كبير معاصر هو الدكتور محمد النويهي يذكر فيه اسباب اعجابه بالشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى ، فيقول :

« ولا اكتم قرائي ان زهيرا هو احب شعراء الجاهلية الى قلبي ، لاسباب متعددة ، منها سبب أعترف بانه اخلاقي اجتماعي ، هو ارتفاعه فى تفكيره ومثاليته على المستوى السائد فى عصره الجاهلي ، ومقاومته لمقاييس الجاهليين الذين كانوا يتباهون بالبطش والاعتداء وقسوة الانتقام ، ونزعته العميقة الى السلم والتصالح ، وحملته القوية الحارة على الحرب وبطولاتها الدموية ، ومديحه الجميل المخلص لافراد سموا هم ايضا بطباعهم وعاداتهم على الشائع المالوف فى ذلك العصر ، وكل هذا يحله فى ضميرنا الحديث محلا رفيعا .

لكني اوثر زهيرا لاسباب اخرى فنية : هي تناوله المتخصص لفن الشعر ، وتجويده لادائه ، دون ان يسقطه هذا فى الكذب والتكلف ، سبب آخر

اصرح باهميته عندي في تفضيل زهير ، هو مجرد الكم ، فزهير قد قدم لنا من القصائد الجيدة الممتعة عددا لا يجاريه فيه شاعر آخر .. » (1).

وهكذا تتعدد الاسباب التي تخلد شعر زهير بصفة خاصة ، والشعر العربي القديم الجيد بصفة عامة ، وما هذه المحاولة المتواضعة الا مساهمة في اجلاء ما للتراث من قيمة ومكانة تتعدى حدود البيئة الخاصة الى البيئة الانسانية العامة .

مكناس ـ علي لغزيوي

(1) الشعر الجاهلي للدكتور محمد النويهي ج 2. ص 646 و 647



أفغانستان الحديثة

للأستاذ عبد القادر القادري

تكلمت في عدد مجلة دعوة الحق الخاص بـ « الاسلام والمسلمون في القرن العشرين » الصادر في ربيع النبوي الشريف 1390 موافق ماي 1970 عن افغانستان وتاريخها واجناس سكانها ولغتيها وملوكها وحروبها مع الانجليز . وفي هذا المقال نتمم هذا البحث . والله المستعان .

الافغاني :

الافغاني شديد التمسك باهداب الدين الاسلامي الحنيف وهو مع ذلك عظيم التسامح مع من يخالفه في العقيدة الدينية . فلم يعرف التاريخ ان الافغاني من اهل السنة قد اعتدى على حرمة الاماكن المقدسة للاقليات من أهل الشيعة او البوذيين او الهندوس او اليهود او المسيحيين بل ان الافغاني كثيرا ما يشارك هؤلاء اعيادهم الدينية وحفلاتهم التقليدية .

ومن ابرز صفات الافغاني تعشقه الشديد للوطن وحبه العميق للحرية والاستقلال . انه قد يحتمل في صبر وجلد غوائل الفقر والعوز والحرمان وآلام الشدة والمرض ولكنه لا يمكن ابدا ان يحتمل حكم الاجنبي لبلاده .

وسائل التسلية عند الافغانيين :

من اهم انواع الرياضة البدنية السائدة في البلاد ركوب الخيل وتسلق الجبال والصيد واصابة الهدف واللعب بالسيف وكرة القدم وكرة السلة والتنيس والكرة الطائرة والهوكي .

لعبة بوزكاتشي :

واهم لعبة اشتهر بها الافغانيون من زمن بعيد هي لعبة « بوزكاتشي » وتشترك فيها كوكبتان من الفرسان تتالف كل منهما من 60 الى 100 فارس . وتبدأ اللعبة بأن تنحر شاة او عنزة او عجل صغير وتوضع الذبيحة في حفرة عند احد اطراف ملعب فسيح الارجاء مستطيل الشكل اشبه بملعب كرة القدم يزدحم على جوانبه جماهير النظارة والمتفرجين ويقف الفرسان على شكل دائرة على بعد بضع فترات حول الحفرة التي وضعت فيها الذبيحة وعندما يعطي الحكم اشارة البدء يتقدم الفرسان باقصى سرعة نحو الحفرة كل يحاول اختطاف الذبيحة بحركات بارعة جريئة . والفارس الذي يستطيع التقاط الذبيحة يضعها امامه ويحاول المروق بها من بين فرسان الفريق الآخر . وقد ينجح فارس من هذا الفريق في اختطافها ويحاول بدوره العدو بها تجاه الطرف الآخر من الملعب فيعترضه فرسان الفريق الاول وهكذا يتداول الفرسان الحيوان الذبيح بين تهليل الجماهير وتصفيق النظارة وحضور ملك الافغان ومن استطاع من اللاعبين الوصول بالذبيحة

بعد طوافه بارض الملعب والقائها فى الحفرة التى بدا السباق منها فاز فريقه بالنصر والجائزة . ان هذه اللعبة القومية العريقة تتطلب مرانا طويلا وشجاعة نادرة وخفة وسرعة ولا يستطيع من يتتبعها الا ان يدهش ويعجب لما يرى .

وقد اخرج المخرج السينمائي الشهير فرنكيهايمر فيلما تدور حوادثه فى افغانستان حول هذه اللعبة ومثل فيه الممثل المصري المعروف عمر الشريف وعرض هذا الفيلم اخيرا باحدى قاعات العرض بالرباط تحت عنوان : « الفرسان » . وهو مقتبس عن قصة للكاتب الفرنسي جوزيف كيسيل.

تعليـــم البنـــات :

وقد شهدت افغانستان فى السنوات الاخيرة نهضة مباركة فى تعليم الفتاة فأعادت وزارة المعارف الافغانية تنظيم مناهج تعليم البنات كي تلائم التطورات الحديثة التى حدثت داخل البلاد وفى العالم الخارجي وانشأت مآت المدارس لتعليم الفتاة فى القرى وعشرات المدارس الإبتدائية والثانوية فى كافة المدن . وقد دخلت الفتاة الافغانية اليوم جميع كليات الجامعة جنبا الى جنب مع الفتيان .

الصحـافـــة :

تتمثل النهضة الصحافية فى اكثر من سبعين صحيفة يومية ومجلة اسبوعية او شهرية يصدر بعضها فى كابول ويصدر بعضها الآخر فى الولايات المتحدة بالفارسية او البشية او الانجليزية فضلا عن الدوريات المختلفة التى تعالج التاريخ والادب والشعر والجغرافيا والقانون .

المخطوطـات العربيـــة :

تزخر افغانستان بالالاف من المخطوطات العربية التى تحتاج الى الدراسة والتحقيق والنشر وتضافر الجهود الى بعثها وبخاصة تلك المخطوطات التى عاصرت الفتح العربي او سبقته مما جعل افغانستان تهتم الآن بجمع هذا التراث وتصنيفه واخراجه على الصعيد العربي الذي ينظر الى هذه الذخائر على انها كنز يجب الكشف عنه .

الثـروة المعدنيـــة :

ان أرض افغانستان غنية بكنوزها الدفينة من المعادن وقد اخذت البلاد اليوم تنهض لاستغلالها والاستفادة منها فى قيام الصناعات المحلية المختلفة ، ومن هذه المعادن : الفحم والحديد والنحاس والجبس والكبريت Antimony والرصاص والانتمون والكرافيت والجير والحرير الصخري . Asdestos والرخام والميكا ومعدن الاسبنيل والتلك Talc والملح الصخري والذهب والفضة والياقوت واللازورد Lapis-lazuli وهو حجر ثمين أزرق اللون جميل الشكل تحلى به الخواتم والاساور والعقود وتصدر منه افغانستان مقادير كبيرة كل سنة .

الثـــروة الزراعيـــة :

القمح ـ الارز ـ الذرة ـ الشعير ـ التبغ ـ القطن ـ الفاكهة .

الـثـروة الحيوانيـــة :

الغنم = ثلاثون مليون راس .

البقر = خمسة ملايين راس .

الماعز = مليون ونصف راس .

الابل = ربع مليون راس .

غنـــم كراكـــول :

تربى فى افغانستان عدة سلالات من الغنم منها غنم كراكول للحصول على فراء صغارها من الحملان وفراء كراكول فاخر يكاد يرقى فى جودته الى مرتبة فراء الثعالب القطبية . ومنه الرمادي والذهبي والاسود والاسمر . وتصنع منه المعاطف والسترات والملافح الفاخرة . وتعمل عدة شركات فى تجارة

القراء وتصديرها الى الخارج . ويصدر الجانب الاكبر منها الى الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا والمانيا. ويعد فراء الكاراكول من اهم صادرات أفغانستان .

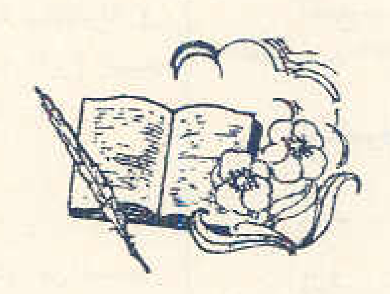
العنب الافغاني المختلف الوانه واحجامه :

ان فى افغانستان من العنب وحده نحو سبعين صنفا منه الصغير الحجم ومنه الكبير ومنه الابيض الصافي والاحمر القانى والاسود الداكن والاخضر الزاهي . ومنه ما يكبر حتى يبلغ حجم الليمونة ومنه ما يصغر حتى يبلغ حجم حبة الذرة . وموسم العنب طويل يمتد الى اكثر من ثمانية اشهر فى السنة .

النهضـــة الحديثـة فى افغانستـــان :

تبذل افغانســتان اليوم غاية الجهد فى كافـة الميادين حتى لا يفوتها ركب التقدم والنمـاء اذ يتجه الافغانيون اليوم الى تصنيع بلادهم بخطوات ــ وان تك وئيدة ــ الا انها ثابتة الدعائم وتبشر بمستقبـل صناعي زاهر والى استصلاح مساحات واسعة من الاراضي والتوسع فى مشروعات الري وتوليد القوى الكهربائية ورصف الطـرق وبنـاء المستشفيـات والمدارس على اختلاف انواعها .

الرباط ــ عبد القادر القادري



البحث العلمي والفلسفي عند الفارابي

للأستاذ عثمان بن خضراء

من راي الفارابي ان الفلسفة اسم يوناني ، دخيل في العربية .. وهو المتركب من كلمتين : « فيلا » و « سوفيا » ... فالاولى تعني : « الايثار » والثانية « الحكمة » .

والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو باليونانية « فيلسوفوس » ومعناه المؤثر للحكمة اي الذى يجعل هدفه الوحيد وغرضه الاسمى فى الحياة : الحكمة !

وانطلاقا من هذا التعريف للفارابي يرجع بنا البحث والاستقصاء الى اشتهار الفلسفة فى اليونان بعد وفاة ارسطو طاليس .. وقد بقي التعليم على حاله آنذاك فى اليونان الى ملك ثلاثة عشر ملكا ، وتوالى فى مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلما ، احدهم المعروف « باندرونيقوس » ... وكان آخر هؤلاء الملوك امراة ... فغلبها اغسطس الروماني وقتلها واستحوذ على الملك ...

ثم فتش فى خزائن الكتب ، فوجد فيها نسخا لكتب ارسطو طاليس نسخت فى ايامه وايام تاوفرسطس .. ووجد الفلاسفة قد الفوا كتبا فى نفس الاتجاه الذى سار فيه ارسطو فأمر ان تنسخ تلك الكتب التى كانت نسخت فى ايام ارسطو وتلاميذه ... وان يكون التعليم منها ، وكلف اندرونيقوس بالاشراف على ذلك ... كما امره ان يحمل معه نسخا الى روما ونسخا يبقيها بالاسكندرية

... ثم اشار عليه ان يستخلف استاذا يقوم مقامه بالاسكندرية ويذهب هو الى روما مع اغسطس ...

فصار التعليم اذا فى موضعين : روما ... والاسكندرية ، الى ان جاءت النصرانية ... فبطل التعليم فى روما وبقي بالاسكندرية ـ هذا وبعد ذلك اجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل .. فقرروا دراسة كتب المنطق الى آخر الاشكال الوجودية ... ويحذف ما بعده لانهم راوا فى ذلك ضررا بالنصرانية ... وان فيما اطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرة دينهم ـ فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار ، والباقي مستورا ، الى ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية ... وبقي بها زمنا طويلا الى ان بقي استاذ واحد ـ فتعلم منه رجلان وخرجا ومعهما الكتب فكان احدهما من اهل « حران » والآخر من اهل « مرو » ..

فاما الذى من « حران » فتعلم منه اسرائيل الاسقف ... وقويري .

واما الذى من اهل « مرو » فتعلم منه رجلان احدهما ابراهيم المروزي والآخر يوحنا ابن حيلان .. ثم ساروا الى بغداد فتشاغل ابراهيم بالدين واخذ قويري فى التعليم . اما يوحنا بن حيلان فانه اشتغل ايضا بدينه .. كما تدارس ابراهيم المروزي مع متى

ابن يونان ، وكانت الدراسة فى ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية ..

وقد تعلم الفارابي من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان ...

وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذى لا يقرأ ... الى ان صار الامر الى المربين المسلمين فقريء من الاشكال الوجودية الى حيث قدر للانسان ان يقرأ . وقد قرأ الفارابي الى آخر كتاب البرهان .

هذا ودرس الفارابي علم المنطق على يد يوحنا ابن حيلان .. وحيث انه احد ذهنا واعذب كلاما فقد تفوق على الجميع فى التحقيق ، وشرح الغامض .. كما جمع ما يحتاج اليه فى كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة ... منبهة الى ما اغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل المنطقي ، واوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس ، وبين وجوه الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف صورة القياس فى كل مادة منها .. فجاءت كتبه غاية فى التدقيق ..

ثم له بعد هذا كتاب فى احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبقه اليه احد ، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ...

وله ايضا كتاب فى اغراض فلسفة افلاطون وارسطو طاليس يشهد له بالبراعة الفلسفية والاحاطة بفنون الحكمة .. وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف وجه الطلب — اطلع فيه على اسرار العلوم وثمارها علما علما .. وبين كيف التدرج من بعضها الى بعض ، ثم حلل فلسفة افلاطون وغرضه منها وسمى تآليفه فيها ... ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطو طاليس فقدم له مقدمة جليلة عرف فيها بتدرجه الى فلسفته .. ثم وصف اغراضه فى تآليفه المنطقية والطبيعية كتابا كتابا ، حتى انتهى به القول الى اول العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه ، وهذا الاخير انفع واشمل للفلاسفة والباحثين لانه يوضح المعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بكل علم .. ولا سبيل الى فهم معاني قيطاغورياس والمباديء الاولية الموضوعة لجميع العلوم الا منه ... !

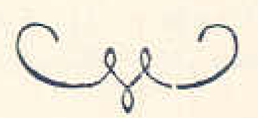
هذا وقد الف الفارابي فى العلم الالهي والعلم المدني كتابين لا نظير لهما : احدهما المعروف بـ « السياسة المدنية » والآخر يسمى بـ « السيرة الفاضلة » عرف فيهما بجمل عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطو طاليس فى المباديء الستة الروحانية وكيف يوخذ عنها الجواهر الجسمانية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة ... وعرف فيهما ايضا بمراتب الانسان وقواه النفسانية ... وفرق بين الوحي والفلسفة .. ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة .. واحتياج المدينة الى السيرة الملكية والنواميس النبوية ...! وسئل الفارابي : من اعلم انت ؟ او ارسطو ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلاميذه ..! ويقول لقد قرات « السماع » لارسطو اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودته .

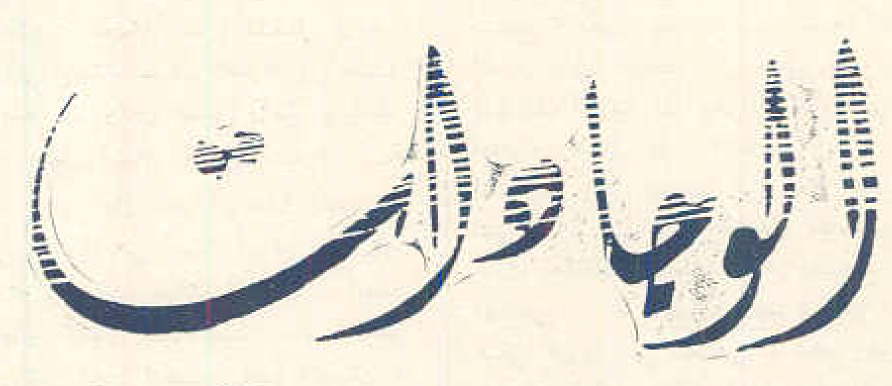
ومن التآليف التى تدل على سعة اطلاع الفارابي الفلسفية والعلمية شرحه لكتاب البرهان لارسطو ، ثم كتاب القياس له ايضا .. فكتاب المختصر الكبير فى المنطق ... كما شرح كتاب ايساغوجي فكتاب الجدل ... ثم شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطو وكذلك شرح كتاب السماء والعالم .. وكتاب الآثار العلوية لارسطو ايضا .. شرح مقالة الاسكندر الافروديسي فى النفس ... شرح كتاب الفلسفتين لافلاطون وارسطو ... ثم كتاب الموسيقى الكبير الفه الوزير الكرخي .. وكتاب الرد على جالينوس فيما تاوله من ارسطو على غير معناه وكتاب الرد على ابن الراوندي فى ادب الجدل ... فكتاب الرد على يحيى النحوي فيما رد به على ارسطو .. كتاب الرد على الرازي فى العلم الالهي .. كتاب السياسات المدنية ويعرف بمباديء الموجودات .. ثم كتاب فى علم المنطق جمع فيه اقاويل النبي صلى الله عليه وسلم .. كتاب فى الخطابة عشرون مجلدا .. كتاب فى قيادة الجيوش .. كتاب فى التأثيرات العلوية ... وغير ذلك من الكتب العلمية والفلسفية التى لا يتسع المقال فيها لسردها مفصلة فى هذا البحث ! .

واحب فى خاتمة هذا البحث العلمي والفلسفي حول الفارابي ان اذكر حادثة عظيمة وقعت لهذا العالم الفيلسوف اوردها ابن خلكان فى وفيات الاعيان ... ووقعت له مع سيف الدولة وتوضح كل الوضوح ما يتمتع به الفارابي من علم غزير واطلاع كبير : « ورد الفارابي على سيف الدولة وكان

مجلسه مجمع العلماء والفضلاء ... فدخل عليه بزي الاتراك ، وكان ذلك زيه دائما ، ثم بقي واقفا . . فقال له سيف الدولة : اقعد ! فقال : حيث انا .. ام حيث انت ؟ - فأجابه : حيث انت ! فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجه عنه .. وكان على راس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل ان يعرفه احد ...! قال لهم ان هذا الشيخ قد اساء الادب واني سأسله عن اشياء ان لم يوف بها فاخرقوا به فقال له الفارابي بذلك اللسان : أيها الامير .. اصبر فان الامور بعواقبها ... فعجب سيف الدولة منه وقال له : اتحسن هذا اللسان ؟ فقال له : نعم ، احسن اكثر من سبعين لسانا ... فعظم عنده ! ثم اخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى المجلس فى كل فن ... فلم يزل يعلو عليهم حتى صمت الكل ، وبقي يتكلم وحده ... ثم اخذوا يكتبون عنه ما يقوله ... فصرفهم سيف الدولة وخلابه ! فقال له : هل لك فى ان تأكل ؟ فقال لا .. فقال : فهل تشرب ؟ فقال لا ... فقال : فهل تسمع ؟ فقال نعم - فأمر سيف الدولة باحضار القيان ... فحضر كل ماهر فى صناعة الموسيقى بمختلف الآلات فلم يحرك أحد منهم آلته الا عابه الفارابي وقال له : اخطأت ... فقال له سيف الدولة : وهل تحسن فى هذه الصناعة شيئا ؟ فقال نعم نعم - ثم اخرج خريطة ففتحها وركب عيدانا كانت بداخلها واعب بها ، فضحك كل من كان فى المجلس .. ثم فكها وركبها تركيبا آخر ثم ضرب بها فبكى كل من فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضربا آخر فنام كل من فى المجلس ...!! هكذا كان الفارابي فيلسوفا كاملا واماما فاضلا وعالما بارعا فى العلوم الحكمية والرياضية والطبية .

سلا - عثمان بن خضراء





للأستاذ : عبد القادر زمامه

419 ــ محبرة في سبتة ..!

وجدت في شرح الشريشي على مقامات الحريري ج 1 ص 120 .

« وحدثني عن شيخي الفقيه ابي عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه ابو الحسن . قال حدثني ابي انه كان بسبتة ايام الشبيبة والطلب في مجلس جمع من طلبة الادب ، فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها ، واراد ان يقصد بها انوالي على حسنها ، وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة ، فاطرقوا يروون ... ! فبادرهم ابو الطالب بن ابي ركب..! فقال :

جاءتك من غرر العلا زنجية
في حلة من حلية تتبختر

سوداء صفراء الحلى كأنها
ليل تطرزه نجوم تزهر

فاستحسنهما من حضر . وراوا انه قد اربى على الغاية فيما عنه صدر فكتبا للرجل في رقعة . فبعدما سار بها قليلا رجع ، فأبرز منها قلم صفر مذهبا . ورغب ان يضمن ذكره في منظوم يضاف الى البيتين ، فاطرقوا يروون في ذلك فبادرهم ابو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفر من نجار حليها
تخفيه احيانا وحينا يظهر

خرسان الا حين يرضع ثديها
فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

420 ــ سبب تاليف ذخيرة المحتاج ..!

وجدت في كتاب (الازهار الطيبة النشر) المطبوع على الحجر سنة 1317 هـ اثناء كلام المؤلف عن علم السير ... ذكر الشيخ المعطي بن صالح مؤلف كتاب ذخيرة المحتاج في صاحب اللواء والتاج .. رحمه الله . ثم قال :

« واول ما الهمه منها صلاة حضرت بباله بضريح سيدي موسى الحاضي خارج باب عجيسة من فاس في وصف ذات النبي صلى الله عليه وسلم .. وذكر سيرته ومعجزاته . وما يتصل به من ذريته وصحابته فجعل يبني عليها الى ان بلغ ذلك عند وفاته الى نيف وسبعين سفرا في القالب الكبير ..!! »

باب الفتوح
و
421 ــ باب الشريعة

وجدت الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ج 5 ص 52 من الطبعة الثانية يترجم لمحمد بن يحيى العزفي السبتي ويذكر من شعره :

« وليت بفاس أمور القضاء
فأحدثت فيها امورا شنيعة

فتحت لنفسك باب الفتوح
وغلقت للناس باب الشريعة »

والبيتان مرويان في المصادر المغربية بصيغة اخرى ..! كما هو معلوم ..!

422 ـ في الهرمين ..!

وجدت الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ج 5 ص 206 من الطبعة الثانية يترجم ليحيى بن ابي بكر العماري التونسي ويذكر من شعره :

« بعينيك هل ابصرت احسن منظرا
على طول ما ابصرت من هرمي مصر

اناخا باعنان السماء واشرفا
على الارض اشراف السماك او النسر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا
كأنهما نهدان قاما على صدر »

423 ـ ذنب ..!

وجدت في كتاب تحفة الاخوان) المطبوع على الحجر ص 226 :

« وانشدنا شيخنا سيدي احمد بن مبارك في

مجلس التفسير ما نصه :

ذنب تراه مصليا
فاذا مررت به ركع ...!

يدعو وجل دعائه
ما للفريسة لا تقع ..!

عجل بها ياذا العلا
ان الفؤاد قد انصدع

424 من كلام طارق بن زياد ...!

وجدت في كتاب (تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس) لمؤلفه علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الاندلسي الذي كان حيا اوائل القرن التاسع الهجري .. المنشور بباريز سنة 1932 م ص 70 .

« ... فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام يعظهم ويحضهم على الصبر ويرغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ..! ثم قال : اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم ، وانا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي . والله لاقصدن طاغيتهم . فاما ان اقتل دونه ..! »

425 ـ ثمرات الأراك ...!

وجدت في القطعة المنشورة من كتاب النبات لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة 383 هـ ص 3 . ط ليون سنة 1953 م

« وللأراك ثلاث ثمرات :

فمنهن المرد . والكباث والبربر ..!

ـ فاما الكباث فضخام يكاد يشبه التين .

ـ واما المرد فاشده رطوبة ولينا وهو على لون الكباث .

ـ واما البربر فكانه الخرز الصفار ..! الا ان لون الثمرة واحد ...

قال وكل هذا يأكله الناس والابل والغنم ..! »

426 ـ يحضر تشريح ضحايا ثورة عربي ...!

وجدت في كناشة احد العلماء الثقات ممن عاشوا اوائل هذا القرن ترجمة حافلة للطبيب الفلكي عبد السلام العلمي مؤلف كتاب (ضياء النبراس) جاء فيها :

« ولما كان بمصر حضر تشريح عدد كبير من قتلى ثورة احمد عرابي ... ! ولما رجع الى المغرب فتح حانوتا للعلاج كان المرضى يقصدونها اليه ، قرب باب معراض الحرم الادريسي بفاس ..! من جهة النجارين ..!! »

427 ــ اعذروه انه كان حافيا ..!

وجدت في رحلة السفير ابن عثمان المسماة (البدر السافر)

« وقد خطر ببالي ابيات ظاهرها ملام ..! واعدها من لغو الكلام ..

خليل لنا قد كان يبدي بشاشة
وصدق وداد طيب الورد صافيا

وبان الذى قد كان يديه زخرفا
من القول مطويا عليه وخافيا

جفائي ولم يخرج لوجهة مقدمي
ونكب عني معرضا متجافيا

وقالوا : لم ذا قد تأخر عنكم
فقلت أعذروه انه كان حافيا »

428 ــ من حميـــر ...!

وجدت في كتاب طرفة الاصحاب في معرفة الانساب تصنيف السلطان الاشرف عمر بن يوسف ابن رسول المتوفى سنة 696 هـ ، ص 12 ، من طبعة دمشق 1949 م .

« ذكر حمير ... ومنها كتامة وعهامة ..؟ وزناتة وصنهاجة ولواتة ومزانة ..؟ هذه كلها قبائل في الغرب ... ! »

وكرر صاحب الطرفة هذه النسبة في ص 44 وص 46

429 ــ اسماء مغربية لبعض النباتات ..!

وجدت في تعليقات كتبها الفقيه محمد بن عبد الملك الرسموكي على كتاب في الفلاحة لابي الخير الاندلسي مطبوع بفاس سنة 1357 هـ ما ياتي :

« الذرة : هي الذرة الحمراء

الجاورس : الذرة البيضاء الرقيقة

الدخن : تفست

الماش : انل

الباقلاء : الفول

اللوبياء : فول قناوة

والشهدانج : القنب ومن انواعه الكيف

والحلبة : تفضست بالسوسية »

430 ــ تشبيه غريب ... !

وجدت في حلبة الكميت ص 269

« قال ابن رشيق القيرواني يلم الباذنجان

واذا صنعت غدانا
فاصنعه غير مينذج

اياك هامة اسود
عريان اصلع كوسج

431 ــ تعليــل ...!

وجدت في الخاتمة التى كتبها ابو العباس ابن المواز لكتابه اللؤلؤ السني ، المطبوع على الحجر ..
« واما قول القائل :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة
باب الدواعي والبواعث مغلق

فسد الزمان فلا كريم يرتجى
منه النوال ولا مليح يعشق

فليس ذلك جحودا لفضل الشعر ..!
وانما هو تنبيه على صعوبة الزمان واهله ..!»

432 ــ نسبة قصيدة من الملحون ..!

وجدت في ديوان الشاعر التلمساني الشعبي ابن مسايب ص 25 من طبعة تلمسان نص القصيدة المشهورة من الكلام الملحون على السنة « الاشياخ » في المغرب والتى مطلعها :

مال حبيبي مالو
كان معيا كان

مال حبيبي مالو
يا ناسي غضبان

فاس ــ عبد القادر زمامة

مشاهد عمالية
من واقع مغرب الأمس

للأستاذ محمد المنوني

والمعني بالامر لقطات حية ــ ولو انها قليلة ــ عن معطيات النشاط العمالي ، قبل ظهور الحياة العمالية الحديثة .

— ❊ —

وقد كان من تقاليد المغرب العريقة ان الصناع فى فاس مثلا ، كانوا ــ منذ العصر الوسيط ــ ينتظمون فى طوائف حرفية مطبوعة بطابع التجمعات الشعبية ، وكان الممثلون لكل طائفة هم : شيخها ، وامين السوق واعوانه ، ومنهم يتكون مجلس الطائفة ... (1) .

فاس ــ مثلا ــ صاروا ينتظمون فى تجمعات مهنية ، وبرأس كل صناعة عريف يحمل لقب امين ، وكان لهذا الاخير حرية التصرف فى مصالح المهنة التى يمثلها .

وتتجسم فى كل حرفة روح تعاونية مستمرة ، فاذا أصيب احد من افرادها بضر من مرض او موت، سواء فى ذلك المستخدم والصانع والمبتدي ، قدمت الهيئة له او لاسرته عونا ماديا او ادبيا (2) .

ومن خصائص صناع فاس المرينية : ان كان لكل مهنة شارة تميزها ، حتى تبرز بها فرقهم عند الاقتضاء ، وكانت عبارة عن علم يحمل شعار كل صناعة بما يناسبها (3) .

وهناك جماعات عمالية تتوفر على تنظيمات ادق، ففى فاس كانت جماعة الحماليـن الذين يعرفون بلقب « زرزاية » ، وهم يتوفرون على هيئة خاصة بهم ، ويضعون اجورهم فى صندوق موحد ، ليقتسموا المبلغ ــ فيما بينهم ــ عند نهاية كل اسبوع (4) .

وفى نفس المدينة كان لارباب فنادق المسافرين منظمة كبيرة الأثر (5) .

وفى سلا : استحدث النساجون بها ــ بالاشتراك مع التجار ــ صندوقا احتياطيا كان دخاله من درهم واحد صغير يوخذ عن كل شقة تباع ،

---

(1) « فاس فى عصر بني مرين » ، تاليف روجيه لوتورنو ، تعريب الدكتور نقولا زياده ، نشر مكتبة لبنان ــ ص 139 ــ 140 و 142 .

(2) « المصدر » ــ ص 143 .

(3) « صبح الاعشى » ج 5 ص 207 .

(4) « فاس فى عصر بني مرين » ــ ص 81 .

(5) « المصدر الاخير » ــ ص 96 .

ورصدوا المتجمع فى ذلك لمواجهة نفقات الضرائب العادية والاستثنائية ، وذلك خلال القرن الهجري الثامن (6) .

وقد شهد عصر المنصور السعدي نموذجا جديدا من العمال ، ويتمثل فى عملة مصانع السكر التى انتظمت فى هذه الفترة بنواحي مدينة مراكش ، حيث احتضنت مجموعة كبرى من الشغالين الوافدين من الداخل والخارج ، واثارت هذه الظاهرة انتباه مؤرخ معاصر (7) ، ليسجل ارتساماته عنها خلال حديثه عن هذه المصانع ، وحسب الفقرة التالية :

« واذا القيت عصا التسيار بمعصرة منها رايت مجمع الورى ، واول الحشر ، وقرية النمل ، وكورة النحل ، ومدرج الذر ، لكثرة ما ضمت من العملة ، وحشرت من الخلق ، ولا تسأل عن هولها ، ولفظ الاصوات بها » .

— * —

ومن جهة اخرى فان مؤلفا مغربيا من المائة الهجرية الثامنة (8) ، اشاد بالاهمية الدينية والاجتماعية التى يتمتع بها الفلاح المخلص فى الاضطلاع بمهمته ، وبالنسبة للقطاع المهني ينوه نفس المصدر بالصناع، ويبرز مكانتهم فى المجتمع .

ولمقام العمل فى الحياة ، فان المؤلف نفسه (9) يوجه الطالب الى الاهتمام بالتكسب عن طريق الاعمال الحرة ، حتى يحصل له الاكتفاء الذاتي ، ويستغني عن الهبات والصدقات ، ومن التطبيقات العملية لهذا المبدا ، ان يكون عدد من العلماء المغاربة قد احترفوا الفلاحة ، او اتقنوا الصناعات المختلفة ، وللتدليل على هذا نقدم النماذج التالية :

اولا : راشد بن ابي راشد الوليدي امام فاس خلال المائة الهجرية السابعة ، وكان اذا رجع الى باديته ببني وليد فى حوز نفس المدينة ، يباشر الزراعة بنفسه ، ويشتغل اثناء فتراتها بالنظر فى ديواني ابن يونس واللخمي (10) .

الثاني : ابو القاسم بن عمرو السوسي التفروتي نزيل درعة ثم فاس ، وهو الذى حذف جل الصناعات المتداولة ويقول : ما فاتني سوى صنعة الحرارة لم اجد من يعلمها لي من اهل مدينتي ، وكان يرشد طلبته للاحتراف فيما تكون منه معيشتهم (11) .

ونذكر — الآن — الثالث ، وهو محمد بن علي الاندلسي البرجي الشهير بالشطيبي ، نزيل بني زروال بموضع تازغدرة ، وهو يذكر عن نفسه فى خاتمة مخطوط (12) انه انتسخه بيده ، واكمله — عام 938 هـ — بجبل وجكة من بني زروال ، واتمه فى 42 يوما ، مع مقابلة المسجد ، ونوم القيلولة ، **ولقط الفاكهة ، وعمل البحائر للخضر** ، وقد كتب رسالة فى طرائق الفلاحة اختصرها من كتاب « صناعة الفلاحة » لابن ليون التجيبي الاندلسي المري ، فجاءت — حسب مخطوطة خاصة — فى 27 ص من الحجم المتوسط .

الرابع : محمد بن محمد بن سليمان السوسي الروداني ، وله — حسب العياشي (13) — يد صناع، يحسن غالب الحرف المهمة ، سيما الدقيقة العمل ، الرائقة الصنع ، كالطرز العجيب ، والصياغة المتقنة ، وتسفير الكتب ، والخرازة .. ومن اعجب ما رايته من صناعته — يقول نفس المؤلف — انه يجبر قوارير الزجاج المتصدعة بحسن احتيال ولطف تدبير ، الى ان لايكاد صدعها يبين ويصير مثل الشعرة الرقيقة .

---

(6) « المعيار » للونشريشي — ج 5 ص 258 .
(7) هو الفشتالي فى « مناهل الصفا » : النص المختصر المطبوع بتطوان — ص 187 .
(8) هو العبدري فى « المدخل » — المطبعة المصرية بالازهر — ج 4 ص 2 — 9 ، مع ص 13 — 14 .
(9) « المصدر الاخير » — ج 2 ص 126 — 128 .
(10) « سلوة الانفاس » عند ترجمته ج 3 ص 262 .
(11) «الدرر المرصعة . باخبار اعيان درعة » لمحمد المكي الناصري ، خ . ع ك 269 — ص 134 — 135 ، مع طبقات الحضيكي — ج 1 ص 151 .
(12) هو شرح منازل السائرين لابن نشوان القدسي ، خ . ع. ك 402 .
(13) « الرحلة العياشية » — ج 2 ص 38 .

الخامس : عبد الرفيع بن عبد الكريم العياشي، جاء في ترجمته (14) انه كان صناع اليد ، فلا يكاد يتعاصى عليه شيء من الصناعات الهندسية التي لم يبق الا اخبارها .

اما السادس والاخير من هذه النماذج فهو محمد بن العربي السوسي الادوزي ، وقد اعتنى بالصنائع اليدوية ، فلا يكاد يرى شيئا منها الا احب ان يتقنه ، ولهذا زاول البناء والنجارة والتزويق والتسفير وحتى الطباعة (15) .

— * —

والآن نزيل بذكر نموذج واحد من اصداء العامل المغربي في الخارج ، ونقدم خزافا فاسيا من العصر العلوي ، وكان يستوطن القاهرة خلال المائة الهجرية الثانية عشرة ، وهو يسمي نفسه في بعض مصنوعاته باسم عبد الكريم الزريع (16) الفاسي ، ويذكر عنه الدكتور زكي محمد حسن استاذ الآثار الاسلامية بالقاهرة (17) : انه قامت على اكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر خلال القرن الثاني عشر الهجري ، وامتاز مصنعه بانتاج الواح القاشاني لتغطية جدران العمائر ، وكذلك بصناعة الاواني الخزفية التي استعمل فيها من الالوان : الازرق والبنفسجي والاخضر والاصفر ، ويختم نفس المؤلف حديثه عن الخزاف الفاسي ويقول :

« والظاهر ان جهود هذا الخزفي في انتاج الواح القاشاني كانت آخر ما بذلته مصر في هذا الميدان ، فان القاشاني الذي استعمل في تغطية العمائر الشهيرة التي شيدت بعد وفاته جلب من الخارج .

ومرة اخرى يتحدث عن نفس الخزاف الاستاذ احمد يوسف المصري ويقول (18) :

« عبد الكريم الفاسي ، اشتهر بالزريع ، وكان من المصورين على القاشاني في القرن الثاني عشر ، له بدار الآثار قطع عليها اسمه : على بعضها سنة 1171 هـ » .

الرباط ـ محمد المنوني

(14) الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش » ، تاليف عبد الله بن عمر بن عبد الكريم العياشي ، مصورة خ ، ع ، د 1433 ـ لوحة 333 .
(15) المعسول لمحمد المختار السوسي ـ ج 5 ص 175 .
(16) الغالب انه من عائلة الزريع الجبلية ثم الفاسية
(17) في تعاليقه على كتاب : « التصوير عند العرب » ـ ص 208 ـ 209 .
(18) « الفنون الجميلة قديما وحديثا » : « التصوير » ـ ص 242 .



روضة التعريف بالحب الشريف

تأليف لسان الدين ابن الخطيب

عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له
الدكتور محمد الكتاني
دراسة ونقد للدكتور عبد اللطيف السعداني

يبرز لسان الدين ابن الخطيب ، الموسوعي الاديب من بين شخصيات الاندلس والمغرب بارقة لامعة في مختلف ميادين العلم والادب في عصره وبعده . وان الجهود المشكورة التي تسعى من كل حدب وصوب لاظهار الصور المختلفة لحياة هذا المفكر واعماله السياسية والعلمية ، والتعريف بخفاياها ومدى فعاليتها في حوادث العصر واحقاقه حقه في غمارها لتؤكد كل يوم الدليل على قيمته ومكانته التي تركت اثرها البارز في التاريخ العام لتلك الفترة ، واثرت مختلف جوانبها .

ونتعرف اليوم على جانب آخر من حياة ابن الخطيب يثير الانتباه ويزيح ستار الغموض عن عقليته وعقيدته ورموز حياته واسرارها والنهاية المؤلمة التي آلت اليها ، وعن اضطراب المجتمع الذي كان يعيش فيه . وذلك من خلال كتابه : « روضة التعريف بالحب الشريف » . والفضل في هذا هو للسعي الحثيث والجهد الكبير للاستاذ محمد الكتاني الاستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس الذي قام بعبء تحقيقه في صمت المخلصين لتتبع الحقيقة وتواضع العلماء المحبين لها (1).

وان الصبر الكفيل بانجاز هذا العمل ليكفي وحده لكل تقدير وتنويه ، فقد اشتمل الكتاب على مجلدين بلغ عدد صفحاتهما المطبوعة 816 صفحة ، مع ما فيه من ايجاز في العبارة وغنى في الاشارة ، تكتظ المعاني بين اخاديد كلماته ، وتتماوج في تجاويف حروفه ، يضم كل ذلك خلاصة معارف ابن الخطيب في عمره . لا سيما وقد قصد بتأليفه ان يعارض كتاب « ديوان الصبابة » لابي العباس احمد ابن يحيى بن أبي حجلة التلمساني ؛ وهدف من استقصائه لموضوع العشق والعشاق ان يبرز كل من كتب عن ذلك ، ويفضلهم بالترقي بهذا الموضوع الى الحديث عن « محبة الله » . وبذلك فقد افرغ فيه كلما استحضره فكره من نوادر الاخبار ووصل في الجهد من اجله الليل بالنهار ، يحمله خواطر بين حناياه حيثما سار وتقلبت به الايام باهوالها وكيفما حالت الاحوال من يسار ووفور نعمة او زوالها . وهو في الاخير خلاصة معاناته الروحية وتجارب مجاهداته ، ووليد ارقه الذي بذله في الجهاد العلمي كما بذله في سبيل مجاهدة النفس .

ثم تحمل الاستاذ الكتاني بعد مشاق تحقيق الكتاب اعباء نشره ، وهي مرحلة ليست بأيسر من سابقتها ، فان هي وجدت أسبابها الاولى من وسائل مادية للطبع فان دون تحقيق ذلك عقبات ، بل ان المشاكل والمعوقات تلازمها حتى آخر لحظة من

(1) قدم تحقيق هذا الكتاب لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب من جامعة محمد الخامس بتاريخ 2 — 6 — 69 .

انجازها . ثم لا تجد بعد كل ذلك من يعزي صاحب العمل باهتمام يوليه اياه بله ان يقول فيه كلمة . وقد تضاعفت الاعباء اكثر فى هذا المؤلف لان موضوعه هو التصوف الذى زهد الناس فيه ورغبوا عنه . واذا علمنا ان الضرورة طوحت به بعيدا حيث انه طبع فى لبنان ، كملت لدينا صورة المجهود الذى بذل من اجل اخراج هذا الاثر الفكري القيم . ورأينا كأنما كتبت الغربة على هذا الكتاب ، فقد تم تاليفه فى ايام صعبة على مؤلفه الغريب الدار المهجور المزار خارج اسوار فاس ، كما كتبت الغربة على موضوعه فى كل عصر ومصر . وها هو اليوم يغرب حتى فى طبعه (2).

وكم هو مؤسف ان يبادر الى الاستفادة الرخيصة من مجهود مفكرينا واعمال رجالنا التى هي عناوين حضارتنا ، فطبع تراثنا حاجة ملحة وواجب قومي يرتبط بوجودنا ويحتمه التزامنا بمبادئنا وعقائدنا وتاريخنا ، ويقوم نظرتنا نحو المستقبل ، ويمهد الطريق لآمالنا (3) .

وقد عشت اطوارا حرجة مر بها طبع مؤلف مغربي ، ذلك هو كتاب التجليات الالهية للشيخ محيي الدين ابن العربي ، للمحقق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى . لبث سنين يتقاذفه التردد فى المغرب حتى انتهى به الامر ان طبع فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة 1966 . وكتاب ابن العربي « الفتوحات المكية » هو ايضا يطبع اليوم بعيدا عن المغرب بعد ان اعيت الحيلة محققه الدكتور عثمان يحيى واضناه اليأس فى سبيل انجاز هذا العمل بالمغرب .

وكم يحدث ان تقوم دور النشر بطبع هذا التراث من دون اعطاء موضوعاته ما تستوجبه من الاهتمام ، ولا العناية بتحقيق نصوصها ودراستها ، كما حدث لكتاب روضة التعريف بالذات ، الشيء الذى يفرض علينا اعادة النظر فيها ويوجب طبعها من جديد ، مع الحرص الذى تتطلبه الغيرة العلمية على المآثر الفكرية . فخيرا فعل الاستاذ الكتاني بمتابعة السير لاخراج هذا الكتاب من جديد (4) .

ان الاقدام على طبع كتاب والصبر الكافي الذي يتطلبه ذلك بعد تخطي كل مراحل الكتابة ومشاق البحث والتنقيب لعمل يستحق كل اكبار وتهنئة . وهذا ما نريد ان نصدر به تعريفنا بهذا الكتاب .

«روضة التعريف بالحب الشريف» هو مؤلف ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب السلماني وموضوعه هو « حب الله الموصل الى قربه المستدعي رضاه » (5) . سبكه ابن الخطيب سبيكة لطيفة اورد خلالها اخبار المحبين ونوادر الاشعار والآثار المروية فى ذلك ، مما يشوق الى الاسترسال فى متابعة قراءته رغم وعورة مسالك لغته واشاراته ، حتى ان الانسان لا يحس ابن الخطيب يجول به فى بستان المحبة آخذا بيده مرتقيا به درج المعاني فى عوالم حقائقها . وصاغه على منوال الشجرة « ويحتوي على ارض زكية وشجرات فلكية وثمرات ملكية وعيون غير بكية » (6) . مبتدئا بالارض التى تغرس فيها وصفتها واجزائها وطبيعة الفلاحة الكريمة لغرسها والماء الذى يرويها وطريقة سقيها وحرثها ونموها ، ثم تنقية هذه الارض من الطفيليات والاعشاب الضارة، ثم اختيار الحب اللباب . مستقصيا جميع احوال ذلك ممثلا به لامور واشارات عرفانية باحثا لنظريات فلسفية متطرقا للمذاهب وآراء مختلفة . ثم يرتفع مع الشجرة فى نموها متتبعا احوالها من العود والقشر والخشب الذي تتخذ منه النشب والفروع الباسقة والاغصان والزهرات والثمار واخيرا الجوائح التى تطرق

---

(2) طبع الكتاب فى دار الثقافة ببيروت (لبنان) بمشاركة دار الثقافة بالدار البيضاء (المغرب) سنة 1970 .

(3) انظر تفصيل الحديث عن التراث فى كتاب الدكتور عباس الجراري من وحي التراث (مقدمة وص 43 — 82) وفى البحث القيم الذى قدمه الدكتور الجراري لمؤتمر الادباء العرب الثامن ، بين التراث والمعاصرة فى معركة المصير ، ص 4 ببعد .

(4) طبع الكتاب بتحقيق السيد عبد القادر احمد عطا فى دار الفكر بالقاهرة 1968 عندما كان الاستاذ الكتاني يوشك على النهاية من تحقيقه ، انظر التعليق على هذه الطبعة فى مقدمة الاستاذ الكتاني ص 77 — 78

(5) روضة التعريف ص 98 .

(6) روضة التعريف ص 105 .

الشجرة والجني ، ويختم الكتاب فيجعل من نفسه طائر هذه الشجرة الصادح .

ومن خلال تمثيله يعرض لسائر النظريات اللغوية الادبية والفلسفية والعرفانية التي تتعلق بالموضوع ، ويتتبع الاقوال والاشعار ويحلل العقائد والمذاهب ، في اسلوب ادبي رائع وتحليل نثري بديع وبلاغة أخاذة ، اجتمع لابن الخطيب ذلك الجانب الادبي والجانب الثقافي الى الجانب الصوفي ، واكتمل له فيه الجانب الفني في التأليف (7) .

مهد الاستاذ الكتاني للكتاب بمقدمة يجب ان تعتبر وحدها بحثا كاملا ، اذ أنها حللت بتفصيل كاف وبيان شاف جوانب مختلفة من حياة المؤلف : « عصره ، بيئته ، حياته ، آثاره ، شخصيته الادبية ».، ثم دراسة عن الكتاب : « اسمه ، موضوعه، سبب تأليفه ، تحليل موضوعه ، مصادره ، قيمته ، علاقته بمصرع المؤلف (8) تصوف ابن الخطيب »، واخيرا منهاج تحقيق الكتاب . وقد اخذت هذه المقدمة حيزا كبيرا من جهد المحقق وجزءا مهما من صفحات الكتاب بلغ 79 صفحة موزعة على الموضوعات السابقة ، استوعبت ما كتب عن ابن الخطيب بملاحظات دقيقة وبحث رصين ونظرات ثاقبة نحس معها ان المحقق يعيش اطوار حياة ابن الخطيب لحظة لحظة بل احاسيسه واضطراباته النفسية وتقلبات خواطره بارقة تلو اخرى ، ومراحل مؤلفه خطوة خطوة ، حتى ليوحي لنا ذلك في بعض الصفحات من هذه المقدمة ان هذا الاستغراق قد جره الى اسلوب كتابه ابن الخطيب اننا لنشعر بالتقصير وقد أوجزنا وصف هذا القسم من عمل المحقق وهو عصارة هذه الدراسة . لكننا نلمح الشطر الآخر من تحقيق الكتاب، الذي يتضمن التعليقات ، يستعجلنا ، فقد بذلت فيه جهود مضنية لاستخراج نسخة مقروءة مفهومة تتكون من 622 صفحة من بين تسع نسخ خطية تختلف عن بعضها . وقد تتبع المحقق ذلك موضحا له بما ينير السبيل لفهم غموضه بتعليقات ضافية لا تجد صفحة واحدة تخلو منها ، لغوية وادبية وفلسفية وصوفية وفلكية ولاهوتية ، وتعريف بالفرق والمذاهب والعقائد (9) تنقل القاريء الى عالم فسيح من الدراسات المتنوعة والتحقيقات والاخبار والاحاديث والروايات كما أفاض في شرح المفردات والكلمات، والمقصود بالتعابير كلما دعت الحاجة الى ذلك ــ وما اكثرها ــ وبين غموضها ووضح مقصود المؤلف بها وارجع الاشارات الى الامثال والاحاديث النبوية والآيات القرآنية الى أصولها وخرج الابيات الشعرية وأكمل ما اتى منها ناقصا وقوم معوجها . وللدلالة على مكانة هذا العمل نقول ان عدد التعليقات حول النص للكتاب بلغ 1713 تعليقا ، وان المراجع التي استعيد منها في ذلك 206 كتابا وبذلك يحق ان نصف تلك التعليقات بانها كشكول من المعارف الادبية والعلمية جمع كثيرا من العلوم والفنون واللطائف وبالتالي يحق ان نصف تحقيق هذا الكتاب بانه عمل نموذجي . وقد توج المحقق عمله بوضع سبعة فهارس للكتاب . ان التنويه الذي يستوجبه انجاز عمل كهذا يدل فيما يدل على مدى ثقل عبء هذا العمل على صاحبه ومسؤوليته ازاءه ، خصوصا أنه وضع في ذلك على عاتق جهده أعباء خبرات مجتمعة متنوعة الاختصاص ، فالحق ان تحقيق كتاب ابن الخطيب هذا يتطلب ان ينكب عليه اكثر من محقق واحد ، لانه مجموعة من المعارف المركزة المضغوطة وعصارة افكار ابن الخطيب التي رضي لنفسه ان يتبارى بها في آخر حياته . لهذا ان كان الاستاذ الكتاني قد اقتحم غماره وحيدا فان واجب الشكر له يتضاعف . لكننا مع ذلك ننتظر الكثير من تحقيق هذا الكتاب لذلك نرى انه لا ضير ان يبقى هناك مجال لقول كلمة ، وهي التي نستسمح الاستاذ ان نقولها .

ان تحمل هذه المسؤولية على انفراد لا يسمح لصاحبها المضي الى الاخذ بكل اسباب الحماس في تناول البحث ، والبحث في التصوف خاصة يستوجب الاناة والاتزان وبعد النظر والفراسة . اذ يجب ان يكون ناتجا قبل الخبرة والحماس عن المعرفة الذوقية يقيس بها الامور حسب مفاهيم القوم وفي حدود مدلولات اصطلاحاتهم وبميزان مقاماتهم .

---

(7) انظر المقدمة ص 48 ــ 50 .

(8) اسباب مصرع ابن الخطيب بين السياسة والتصوف « دعوة الحق » ــ العدد 1 ، السنة الخامسة عشرة . محرم 1392 ، مارس 1972 .

(9) انظر مثلا الصفحات من 534 الى 551 .

وقد اخذ المحقق على مؤلف الكتاب عدم تحليه بشيء من ذلك (10) .

ولم اشك في تلك الروح عند المحقق وهو ياخذ بها اسباب البحث ، وذلك ما كان يغمرني وانا ارى سبحات روحه في الاعماق مع افكار ابن الخطيب (11) .

لكن هذا كان صعبا علي ان احس في بعض الاحيان ان الحماس للبحث والارتباط بالطريقة التاريخية ، حرمنا من الاسترسال في الرؤى حتى كاد ان يؤدي ذلك الى نتائج غير سليمة . فقد اوقفني الانسياق مع القول بأن انتشار التصوف هو « نتيجة تبلور النزعة الدينية **واستيلاؤها** على المثقفين وغير المثقفين » (12) وان يلتمس لوجود التصوف « الضعف » ولتصوف ابن الخطيب « رغبة في التزهد » و « الاعتكاف على التعبد » (13).

ثم استوقفتني باستغراب حملة تصف نظريات الفلاسفة الاقدمين وحكماء الهند والفرس بالخرافة والخيال والوهم **والفرضيات الدينية** ، التي لا تفسر الكون المادي .. (14) .

وان يستعمل « الزعم » لبيان راي للصوفية في علم السيمياء (15) والشطح (16) مقرونا بالاتحال (17) ويعلق على قول للشستري بانه « تناقض في طبيعته » ويستند الى فهم اشارة لابن الخطيب حول حكايات عن بعض الصوفية يوهم بضعفها ، فيردها ويرفضها . اما الذي يظهر من كلام ابن الخطيب في كونها ضعيفة فذلك من حيث الايفاء بالمقصود لا من حيث صدق روايتها وصحة اصلها ، يقول في وصفها : « .. والا فهذه الانماط من الشعر والحكايات ضعيفة ، وما تقدمها مراتب شريفة ، ولكن الشجرات اجزاؤها متفاضلة وبعضها عن البعض متنازلة ..» (18) ونجد في التعليق على بعض الاقوال وآراء الصوفية حيف يدفع الى الشك في صحتها ، فقد تردد الكلام عن احاديث يعتمدها الصوفية ويرددونها في معرض بيان نظرتهم الى الوجود ، وطعن في ثبوتها . مثل الحديث القدسي : « كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » والحديث « خلق الله آدم على صورته (19) » والحديث « موتوا قبل ان تموتوا(20) » وصحة هذه الاحاديث تبثت بطريق الاسناد المتعارف عليه في مصطلح الحديث اولا ، كما اعتمد الصوفية فيها الطريق الامدادي المباشر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اقوى في ثبوتها .

واذا كان بعض العلماء لا يجدون في اسنادها ما يدعم صحتها فينفون وجودها ، فان رفضها يعتبر تكذيبا لعامة شيوخ التصوف وقد تناقلوها ، وبالتالي ردا لنظريات التصوف الاساسية .

انتقل الى اشارة اخرى كنت اود لو ان المحقق اغنى بها مقدمته ، واظن ان مكانها ظل فارغا ، تلك هي المحبة التي ينبني عليها موضوع الكتاب . اذ كان من المفيد ان يذكر ما بلغه المؤلف من بحث هذا الموضوع ومقارنته بغيره ومكانته من بين كل ما كتب في الموضوع وتاكيد راي ابن الخطيب عن نفسه وكتابه

---

(10) المقدمة ص 50 .
(11) انظر المقدمة ص 54 – 55 .
(12) المقدمة صفحة 13 – 14 .
(13) المقدمة ص 51 – 52 .
(14) روضة التعريف صفحة 558 ، حاشية 1355 . وصفحة 575 ، حاشية 1393 .
(15) روضة التعريف صفحة 613 حاشية 1445 .
(16) الشطح من مصطلحات الصوفية انظر اصطلاحات الصوفية . ابن العربي صفحة 3
(17) المقدمة صفحة 8 .
(18) روضة التعريف صفحة 676 .
(19) ذكر ابو العلاء عفيفي انه عبارة في التوراة . فصوص الحكم . التعليقات ، صفحة 329. وروى الحديث : خلق الله الانسان على صورته . وايضا : خلق الله الانسان على صورة الرحمان . قال ابن العربي عنه : وفي هذا الضمير الذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول . عقلة المستوفز ص 31 .

او نفيه ، من حيث تفوقه ، وقد اشار الى بعض من الف فى المحبة : « وكنت وقفت من الكتب المؤلفة فى المحبة على جملة منها : كتاب شيذلة ... رسالة ابن واطيل ... وكتاب ابن الدباغ القيرواني ... وكتاب ابن خلصون ..» (20) مستنقصا لها قادحا فيها . وهل ان المذهب الذى نهجه ابن الخطيب من تمثيل المحبة بالشجرة هو كما قال عنه : « وعلى ذلك ذهبت فى ترتيبه اغرب المذاهب » (21) . واتماما للفائدة اجمل القول فى كل ذلك .

المحبة هي الهبة الكبرى التى نالتها الخليقة وفيها حكمة الوجود الاولى « فاحببت ان اعرف » بها توحدت جميع اجزاء الكون ووحدت خالقها ، وبها تالفت سائر عواطف البشر فى كيانه وتجانست مع بني جنسه وتقربت من خالقها «يحبهم ويحبونه». وهي اول درجات المعرفة لدى الانسان تسبق الفهم والادراك والبيان . لذلك كانت هي المصدر الثر لالهاماته والينبوع الفياض لابداعه. والعرب هم اشهر الامم التى خلدت مآثر المحبة وابطالها ، خصوصا عرب بني عذرة الذين رددت الاجيال عفتهم وصدقهم وتفانيهم حتى جعل الصوفية من شخصيات ابطالهم رمزا ومن اسمائهم مصطلحا لهم ، واعتبروا ذلك تلون للروح فى حقائق عالم المحبة وانها درجة من انفتاح الباطن نحو العالم العلوي ، ولا غرو فان من مات مخلصا فى سبيلها فقد مات شهيدا كما ورد فى الحديث الشريف .

والمحبة هي صيغة التقديس التى يحف بها المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان السلف الصالح يتحفزون لذلك ويبذلون الغالي العزيز لتحقيق هذه الغاية الشريفة دليلا على اخلاصهم لامر الله ورجاء فى بلوغ الحظوة لديه وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم المحبة من اسس الاسلام ومعيارا للايمان الصادق « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

ولقد ارتبطت هذه المعاني السامية بقلب الانسان المسلم وروحه وشعوره ارتباطا وثيقا فملأ التفشي بالمحبة العرفانية وحديث الشوق الى بيت الله والى الرسول الاكرم ووصف محاسنه ... جانبا مهما فى الشعر العربي ، وامتزج هذا اللون بالشعر الفارسي امتزاج الخمرة بالماء فزخرت معانيه بنسيج الصور اللطيفة حتى اصبح يضم كلما يمكن ان يطرا على قلب الانسان من اسرار المحبة الحقيقية . فالشاعر الفارسي قد غرق فى بحر المحبة حتى أصبح يرى العالم ، جميع العالم مظهرا لها . يقول سعدي الشيرازي :

بجاه خرم از آنم كه جهان خرم از اوست
عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست

انى لسعيد بالعالم لان العالم سعيد به، واني لأعشق كل العالم لان العالم هو منه .

وانه لمن الطبيعي وقد وجدت هذه الانغام الصوفية صداها فى العاطفة الفارسية الشعرية الرقيقة فتنسجم مع الروحية الفارسية ان يمتد ذلك اللهب بسرعة الى ادبهم النثري قبل ان يوجد له نظير فى غيره من الآداب الاسلامية فقد ظهر التاليف فى موضوع المحبة الالهية مبكرا فى اللغة الفارسية .

يبدو ان اول ما كتب فى ذلك باب من كتاب « كشف المحجوب » تاليف ابي الحسن علي بن عثمان ابن ابى على الجلابى الفزنوي الهجويري سنة 465 هـ . وهذا الباب هو باب المحبة وما يتعلق بها ، ويقع من الصفحة 392 الى الصفحة 404 (22) .

سوانح العشاق ثم نجد بعد ذلك كتابا مستقلا بموضوع المحبة وهو اهمها على الاطلاق ذلك هو كتاب سوانح العشاق (23). تاليف الشيخ مجد الدين ابو الفتوح احمد بن محمد الطوسي الغزالي المتوفى سنة 520 هـ ، وهو اخ حجة الاسلام ابي

---

(20) روضة التعريف صفحة 98 – 99
(21) روضة التعريف صفحة 101 .
(22) كشف المحجوب . طبع بتحقيق والنتين جوكوفسكي سنة 1344 هـ 1926 م .
(23) سوانح العشاق ، طبع ضمن سلسلة النشريات الاسلامية العدد 15 بتصحيح هـ. ريتر . استانبول 1942 .

حامد الغزالي (24) . يتكون الكتاب من خمسة وسبعين فصلا فى بيان مراتب العشق .

وقد استأثر الكتاب باهتمام الصوفية بعد ذلك فبادر الى شرحه بالفارسية الشاعر الصوفي الايراني الكبير الشيخ فخر الدين العراقي المتوفى سنة 688هـ مبلورا فى هذا الشرح فكرة وحدة الوجود على مذهب ابن العربي تلك النظرية التى كانت قد انتقلت الى ايران عن طريق مريده القونوي . ثم قام بشرح كتاب العراقي هذا الشاعر الصوفي الكبير نور الدين عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة 898 هـ وسماه « اشعة اللمعات » .

وفى هذه الفترة نجد احد رجال التصوف المسيحي وهو رامون لول 632 هـ ــ 714 هـ يكتب فى موضوع المحبة . ونستشف من كتابه فى ذلك « كتاب العاشق والمعشوق » انه نسج على منوال كتاب الغزالي سوانح العشاق . ويحتمل الاستاذ مانوئيل وايشر ان هذا الشبه الكبير الذى بين الكتابين من حيث الشكل والمحتوى يأتي من انهما استقيا من منبع واحد وهو نظريات ابن سينا فى العشق (25) .

عبهر العاشقين (26) مؤلف الكتاب هو الشيخ ابو محمد ابو نصر بقلى المعروف بالشيخ روز بهان المتوفى سنة 606 هـ . يشتمل كتاب عبهر العاشقين على اثنين وثلاثين بابا تشرح مراحل العشق. جاء فى مقدمة مؤلف الكتاب: «.. فصنفت كتابا فى بيان العشق الانساني والعشق الرباني ... ليكون للمحبين والعاشقين نزهة الانس والريحان فى حظيرة القدس » ويلاحظ ان المؤلف استعمل التمثيل بالطير لبيان مقام العشق فى احد فصول الكتاب وهو : الفصل الثاني والعشرون فى المراقبة التى هي جناح « لطير الانس فى مقام العشق ».

فى موضوع المحبة نجد ايضا نوعا آخر من المؤلفات هو عبارة عن رسائل لمؤلفين فى عصور مختلفة تحمل اسم «محبت نامه = كتاب المحبة» (27) نذكر منها :

محبت نامه للخواجه عبد الله الانصاري الهروي (396 ــ 481 هـ) .

محبت نامه للشيخ شاه نعمت الله ولي الكرماني (730 هـ ــ 834 هـ) .

ولعل « **رسالة المحبة** » (28) للملى خليل اليزدي ، من هذا النوع .

مجالس العشاق تأليف كمال الدين السلطان حسين بن السلطان منصور بن بايقرا بن عمر شيخ بن تيمور المتوفى سنة 911 هـ . وعدد هذه المجالس سبع وسبعون مجلسا جمع فيها العشاق نظما ونثرا بالفارسية من العلماء والمشايخ وغالبهم المتصوفة (29) .

ومن خلال هذا نستبين فائدة اخرى فى الرجوع الى هذه الكتب كان يمكن للمحقق ان يستعين بواسطتها على تخريج بعض الاشعار والاقوال مما تستدل به فى موضوع المحبة ونسبتها الى قائليها .

ان اكثر ما ورد فى هذا الموضوع واقدمه كما رأينا هو مؤلفات باللغات الفارسية . وان دل هذا على شيء فانما يدل على اهمية الرجوع الى هذا

---

(24) نذكر هنا ان ابا حامد قد الف ايضا فى المحبة فخصص قسما من كتابه احياء علوم الدين لذلك وهو « كتاب المحبة والشوق والانس والرضا » وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات ويقع فى الجزء الرابع من ص 343 الى 361 ومن فصوله ــ القول فى علاقة محبة العبد لله تعالى ص 329، بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم ص 355 . ــ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها ص 360 .

(25) رامون لول والعالم الاسلامي . مانوئيل وايشر. تعريب انا ماري شيمل. مجلة فكر وفن ص 40 عدد 13 / 1969 .

(26) عبهر العاشقين . تحقيق هنري كربن والمرحوم الدكتور محمد معين . طهران 1958 .

(27) انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة . العلامة اقا بزرك الطهراني الجزء 20 من الصفحة 138 الى 142 .

(28) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . الجزء 1 الصفحة 888 .

(29) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . الجزء 2 الصفحة 1590 .

المصدر الاساسي من تاريخ الفكر الاسلامي والاهتمام بتتبع ما جاء فيه ، اذ انه وجه مشرق للحضارة الاسلامية ينير كثيرا من جوانبها ، وهو مساهمة فى بناء الفكر الاسلامي فى سائر انواع المعارف فى مختلف العصور ظاهرة الاثر . ومن المؤسف ان نجد الدراسات العربية الحديثة خالية من هذا الجانب .

اما التمثيل بالشجرة فهو رمز طالما استعمل فى اماكن متباعدة وعصور متباينة وحضارات مختلفة .

فى احدى عقائد الهنود « يتمثل المعبود متقمصا شجرة » (30) وعند آخرين منهم تعبد الشجرة (31). وعند الايرانيين القدماء نجد كتاب «درخت اسوريك» = شجرة آشور ، وهو نص باللغة الفهلوية الف فى عهد الاشكانيين يستعمل هذا الرمز من خلال التعبير بمناظرة بين النخل والماعز . وحتى اليوم ما نزال نشاهد عند المسيحيين اقامة شجرة للاحتفال بميلاد السيد المسيح رمزا للخلود .

وفى القرآن الكريم آيات ذكرت فيها الشجرة (32) متضمنة اشارات ورد فى بيانها ان شجرة الزيتون ، وهي الشجرة المباركة التى ضرب الله بها المثل لنوره فى آية النور هي : « النفس القدسية المزكاة الصافية .. نابتة فى ارض الجسد ومتعالية اغصانها فى فضاء القلب الى سماء الروح ... وخصت بالزيتونة لكون مدركاتها جزئية مقارنة لنوء اللواحق المادية كالزيتون .. » (33) وهذه الزيتونة هي ايضا « شجرة من طور سيناء تنبت بالدهن » الآية . رمز « للتفكير وطور سيناء هو الدماغ او طور القلب الحقيقي بقوة العقل . اما الدهن فهو استعداد الاشتعال بنور نار العقل الفعال » . وما شجرة تلك المعاني التى توقد بقدح زناد الفكر فى الآية « أفرايتم النار التى تورون انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون » الا القوة الفكرية (34) .

وهذه الشجرة هي التى انبعث منها النداء القدسي « اني انا الله » حيث ظهر التجلي الالهي فى الشجرة من النشأة النباتية ، بيانا للانسان ، وهو اشرف المخلوقات ، ان يمكن ان يكون (35) مظهرا لهذا التجلي . وارضها هي « البقعة المباركة » اي مقام كمال القلب المسمى سرا .

وتشير الآية الاخرى « والنجم والشجر يسجدان » بالشجرة الى النفس النباتية . وسجودها مع النفس الحيوانية النورانية « النجم » هو توجه الى ارض الجسد لتبرئتها وانمائها وتكميلها (36) .

وقد فسروا « الكلمة » بالنفس ، فالتشبيه بالشجرة فى الآية الكريمة « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » هو للنفس (37) اصلها ثابت بالاطمئنان وثبات الاعتقاد بالبرهان « وفرعها فى سماء الروح « توتي اكلها » من ثمرات المعارف والحكم والحقائق. وتقابلها النفس الخبيثة المشار اليها بالشجرة الخبيثة « اجتثت من فوق الارض » (38) وهي الشجرة الملعونة ، شجرة الزقوم (39) ، شجرة النفس الخبيثة المحجوبة فى قعر جهنم الطبيعية المتشعبة اغصانها فى دركاتها القبيحة الهائلة ، ثمراتها من الرذائل والخبائث (40) .

---

(30) روضة التعريف . الصفحة 537 . الحاشية 1172 .
(31) روضة التعريف – الصفحة 539 .
(32) نبه ابن الخطيب على بعض هذه الآيات فى الصفحات 101 ، 102 ، 130 ، 134 ، 243 .
(33) التفسير الكبير . الجزء الثاني . الصفحة 63 .
(34) التفسير الكبير . الجزء الثاني . الصفحة 291 .
(35) كشن راز . شرح اللاهيجي . ص 372 – 373. وانظر كذلك التفسير الكبير . ج: 2 ص: 116.
(36) التفسير الكبير . ج : 2 ص : 278 .
(37) وبذلك ذكرها ابن الخطيب حيث قال : الطبق الرابع طبق النفس : وارض الشجرة فى الحقيقة انما هي النفس .. فالنفس تربة هذه الشجرة التى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . روضة التعريف . ص 132 و134 .
(38) التفسير الكبير . ج : 1 ص : 346 .
(39) هو المراد بها كما روى البخاري عن ابن عباس .
(40) التفسير الكبير . الجزء الثاني . الصفحة 164 – 165 . وانظر ايضا ص : 229 و 291 .

والاشارة فى شجرة الخلد واكل آدم وحواء منها هي رمز للاتصال بالطبيعة الجسمانية والمادة الهيولانية .

وعند منتهى علم الملائكة ، فى نهاية مراتب الجنة توجد شجرة سدرة المنتهى ، وهناك الروح الاعظم الذى لا تعين وراءها ولا مرتبة ولا شيء فوقها الا الهوية المحضة . فلهذا نزل عندها صلى الله عليه وسلم وقت الرجوع من الفناء المحض الى البقاء .. وهو صلى الله عليه وسلم راى الحق متجليا فى صورتها فقد غشى السدرة من التجلى الالهى ما سترها وافناها فرآها بعين الفناء (41) .

تلك اشارات ترمز اليها الشجرة المباركة واخرى تفيدها الشجرة الطيبة فى القرآن الكريم . وهناك الى هذا ايضا الاشارة فى البيعة التى تمت للنبي صلى لله عليه وسلم تحت الشجرة والتى حاول استغلال مضمونها وتقليده فيها كثير من الدعاة فى تاريخ الاسلام (42) .

واما فى الحديث فان النخلة هي التى جاءت رمزا للنفس الطيبة،كما شبه المؤمن بها «ان مثل المؤمن كمثل النخلة » (43) . ولا يبعد ان نجد فى هذا تفسيرا لعادة وضع عسيب النخل على القبور فى المغرب .

والنخلة تعتبر نموذجا فى تسلسل الموجودات عند الفلاسفة حيث تمثل اقصى عالم النبات الذي يتصف بالروح النامية اذ يصل فيها معنى الشجر الى نهايته فتظهر اثر الحيوانية (44) .

ونجد الاستفادة من الرمز بالشجر تتسع فتشمل كثيرا من مظاهر الثقافة الاسلامية وفنونها فى مجالات متنوعة . استعمل ذلك فى صناعات الشعر فسمي به « المشجر » (45) . ونراه يستعمل بالخصوص فى صلة الانساب باصولها وعلى الاخص بكثرة فى بيان سلسلة ارتباط المريدين بالطرق الصوفية وصلتهم بمشايخ التصوف . وكم نعثر على هذا الرمز فى تزيين الكتب الخطية حتى اصبحت تعرف فى اصطلاح الوراقة ب « المشجره » . ثم نجد مؤلفات فى علوم مختلفة قد استعارت لعناوينها «الشجرة» وبعضها كان بناؤه على مثال الشجرة(46) .
فمن هذه العلوم نذكر : 1 ـ الانساب وخاصة الانتساب الى البيت النبوي الشريف . 2 ـ علم الرمل . 3 ـ الادعية والاحراز . 4 الاختلاجات ، كما فى كتاب « شجرة طوبى » للفيلسوف الخواجة نصير الدين الطوسي المتوفى سنة 672 هـ . 5 ـ الطب . 6 ـ العروض . 7 ـ اجازة العلماء . 8 ـ الرجال ، ككتاب « الشجرة المورقة والمشيخة المونقة » المؤلف سنة 1091 هـ . قال صاحب الذريعة فى وصفه : « انه عجيب الوضع غريب الاسلوب » . جاء فى بدايته ما يلي : « هذا هو العرجون الاول من الغصن الثالث » (47) . 9 ـ التاريخ. 10 ـ النحو . 11 ـ اللغة . وفيها كتاب « الشجر والنباتات » لابي يوسف يعقوب ابن اسحاق السكيت المتوفى سنة 243 هـ . 12 ـ اصول الدين . 13 ـ الفقه . 14 ـ اصول الفقه . 15 ـ دراية الحديث . 16 ـ التجويد . 17 ـ التفسير . 18 ـ الاخلاق وسلوك السلطان مع الرعايا . ومن ذلك كتاب « شجرة الايمان » . قال فى وصفه صاحب الذريعة : « ذكر من اصول تلك الشجرة عشرة اصول ، ثم ذكر العينين اللتين تشرب منهما الشجرة ، اولهما معرفة الدنيا » واحتمل ان يكون

---

(41) التفسير الكبير . الجزء الثاني . الصفحة 271 ـ 272 .
(42) لاحظ فى ذلك مثلا بيعة المهدي بن تومرت التى تمت تحت شجرة الخروب . اخبار المهدي بن تومرت . البيدق ، تاليف ابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق . دار المنصور ـ الرباط ـ 1971 .
(43) صحيح مسلم . ج 2 ص 199 .
(44) رسالة درحقيقت كيفيت سلسلة موجودات وتسلسل اسباب ومسببات . ابن سينا ـ ص 27 طهران 1371 هـ .
(45) كشاف اصطلاحات الفنون . التهانوي . ج 1 ص 183 .
(46) لمزيد من التفصيل انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة . اقا بزك الطهراني . ج 13 من الصفحة 27 الى الصفحة 41 حيث اسهب فى ذكر اسماء تلك الكتب والتعريف بها .
(47) الذريعة الى تصانيف الشيعة . ج 13 ص36 .

مؤلف هذا الكتاب هو الغزالي ، أو ان يكون ملخص كتاب احياء علوم الدين الفيض الكاشاني (48) فهو من مؤلفات القرن السادس الهجري او القرن الحادي عشر الهجري . 19 ـ التصوف والعرفان . ومن ذلك كتاب شجرة الايمان وكتاب شجرة اليقين للشيخ اسماعيل حقي الرومي (49) . وقد نسج المتصوف المسيحي رامون لول في موضوع التصوف على هذا المنوال ايضا . ففي كتابه « التأمل في الله » نرى رسما لـ « شجرة الصفا » كما له له كتابا يحمل اسم « شجرة فلسفة المحبة » (50) .

اما شيخ العرفاء محيي الدين ابن العربي فقد الف رسالة في التصوف سماها «شجرة الكون» (51) ويعلق الاستاذ الكتاني في اشارته التي ذكرها حول موضوع الاستفادة من الشجرة في التاليف على رسالة ابن العربي هذه (52) بما يفهم منه ان الشجرة في اصطلاح الصوفية هي رمز للكون (53) ، وان رسالة ابن العربي هي عن ذلك . والحقيقة ان الرمز بالشجرة ليس للكون وانما هو للانسان الكامل (54) . وقد عدها الباحث الايراني الدكتور سيد حسين نصر منبعا رئيسيا لدراسة نظرية الكلمة عند ابن العربي (55) ، وهذا الرمز بالشجرة للكلمة هو ما تفيده اشارة عبارة للغزالي : « المحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء » (56) .

ثم اشار الاستاذ الكتاني في نفس التعليق الى كتاب آخر بن العربي هو كتاب « الشجرة النعمانية » . وان عطفه على ما سبق بالحديث عن هذا الكتاب يوهم انه من كتب التصوف ، والواقع انه كما يدل عليه الجزء الثاني من اسمه الذي هو : « في الدولة العثمانية » حول مستقبل الامبراطورية العثمانية ومستقبل مصر .

في المقدمة ايضا بقي مجال فارغ لمناقشة الكثير من الاراء التي وردت في عرض الكتاب وطوله ، خصوصا تلك التي كان لابن الخطيب راي خاص فيها . وقد اكتفى المحقق في بعضها بتعليقات عابرة في حواشي الكتاب . هذه التي لم تخل من بعض الملاحظات كما اشرنا سابقا . الى جانب ذلك نلمح في هذه الحواشي ما يدعو لمزيد توضيح او يتطلب قليلا من البيان او شيئا من التعديل ، نتناوله فيما يلي :

ص : 105 . حا : 77 الصوالج : عصا معقوفة كانوا يلعبون بها الكرة ..»

اصل الكلمة الفارسي هو « جوكان » ولعب الكرة بهذه العصي يستعمل فيه الخيول وهو المعروف بـ :

ص : 110 . حا 101 الراقي ، ورد تعريف ذلك مكررا في كلمة « الرقي » ص 170 حا 258 .

ص : 115 . حا 119 جذب وجذبة ، تكرر تعريف الكلمة بشكل آخر في ص 168 حا 238 .

ص : 126 . حا 137 جص ، تعريف غير ضروري . وكان الاحرى التنبيه على ان الكلمة معربة عن الفارسية ، كج

ص : 141 حا 177 الخروب ، تكرار لتعريف الكلمة في الصفحة 266 حا 557 .

---

(48) الذريعة الى تصانيف الشيعة . ج 13 ص 30 .
(49) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون الجزء الثاني الصفحة 41 .
(50) مجلة فكر وفن . الصفحة 38 . العدد 13 . السنة السابعة . 1969 .
(51) الاسم الكامل لهذه الرسالة هو : « شجرة الكون والبحر الموجود » .
(52) روضة التعريف . الصفحة 101 . الحاشية 59 .
(53) الشجرة هي مصطلح ابن العربي عن الانسان الكامل . كشاف اصطلاحات الفنون نقلا عن الجرجاني . ج 1 ص 742 . وانظر ايضا كتاب كاشن راز . الصفحة 307 ـ 308 .
(54) الدكتور عثمان يحيى Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn Arabi الجزء الثاني . الصفحة 458 الرقم 667 .
(55) ثلاثة حكماء مسلمين . الصفحة 209 . التعليق 66 . طبع دار النهار بيروت 1971 .
(56) احياء علوم الدين . الجزء الرابع ، الصفحة 330 .

ص : 161 . حا 221 زبـدة الحقائـق » . . ولعلها اختصار « لزبدة الحقائق » للامام عين القضاة الهمداني المتوفى سنة 531 .

جاء في «كشف الظنون» ان لعزيز النسفي كتاب زبدة الحقائق وهو تلخيص من رسالتـــه المبـــدوء والمعاد (57) .

وكتاب المبدوء والمعاد هذا مفقود . وقد احتمل الاستاذ ماري جان مولـي Marijan Molé فـي مقدمة كتاب الانسان الكامل لعزيز النسفي ان يكـــون كتاب المبدوء والمعاد مختصرا بدوره عـــن كتـــاب « كشف الحقائق » لنفس المؤلف (58) . اما عيــن القضاة الهمداني فالسنة التي مات فيها مقتولا هي سنة 525 هـ .

ص : 296 . حا 627 .

الـبـــــد

ص : 618 . حا 1461 .

بـيـــــذ

البـــد : (صوفيا) عند ابن السبعين : المثال الاعلى (حا 627) . الذات الالهية او اصل الوجود . ولعل اصله من اللفظ الهندي بيد (حا 1461) . »

الاصل الفارسي للكلمة هو « بـت » يعنـــي « الصنم ، بيت الاصنام » ويجمع على ابـداد (59) والكلمة في الاصل بمعنى جني وقيل هي من كلمة « بـودا » وهذا هي ما عليه وما تعنيه في الكتـب الاسلامية (60) .

وفي الاصطلاح الصوفي « بـد » يعني « مظهر العشق » (61) . وبهذا المعنى استعملها ابن الخطيب في عبارته : فلنلمع من ذلـك ببارقـة في الانفـس والآفاق ، كما قال ـ سبحانه ـ تلهم الانفس الى بدها وتقفها اذا طمحت عند حدها » (62) .

واما « بيـذ » فاصلها Vid بمعنى المعرفـة والعلم . وتجمع على بددة (63) فهو مذهب دينـي (روضة التعريف . ص : 536 . حا 1165 نقلا عن الملل والنحل 2 / 252) و Veda هي مجموعة من الكتب المقدسة للهنود القدمـاء ترتبـط بالمذهـب البرهمائي . وهي اربع بيدات (بددة) :

1. Atharva-Veda - 2. Sâma-Veda - 3. Yajur-Veda
4. Rig-Veda

لذلك فليست « بيـــذ » اصلا لـ « بـــد » كما يظهـــر .

ص : 375 . حا 816 حديث : « موتوا قبل ان تموتو » . . اقتلوا شهواتكم اختيارا قبل أن تفجأكـــم الموت بقطعـهـــا .

ورد في معنى هذ الحديث ان الموت ثلاثة انواع:

1 ـ الموت الممكن، ووقوعه جائز في كل ساعة وكل حين حسب الاقتضاء الذاتي ، وهو عام يشمل سائر الموجودات واليه الاشـارة في الآيـة الكريمـة « كل شيء هالك الا وجهه » .

2 ـ الموت الاختياري ، وهو عبـارة عن قمـع هوى النفس والاعـراض عن اللـذات الجسميـة والشهوات الحسيـة . وهذا الموت هو وسيلة المعرفة التي هي القصد من الخلق ، وهذه المعرفة هي خاصة بالنشأة الانسانية ولذلك كان هـذا المـوت خـاص بالانسان . وعن هذا الموت يقول جعفـر الصـادق : « الموت هو التوبة » واليه تشير الآية الكريمة « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم » . ومن كلام الصوفية : « انمخالفة النفس هي الموت الاحمر » . ويقابل هذا

---

(57) كشف الظنون . حاجي خليفة . الجزء الثاني: ص 951 ـ 952 وص : 1580 .
(58) كتاب الانسان الكامل . ص 34 ـ 36 . تصحيح ومقدمة ماري جان مولي . طبع طهران 1962 .
(59) القاموس المحيط . مادة بددة . وفيه ايضا انه يجمع على بددة .
(60) دائرة المعارف الاسلامية . الطبعة الجديدة . الاصل الفرنسي . الجزء الاول . الصفحة 1323 .
(61) شرح كتاب كلشن راز . الصفحة 639 .
(62) روضة التعريف . الصفحة 261 .
(63) جعل الجواليقي هذا الجمع لكلمة « بـــد » المعرب ص 83 . وكذلك الفيروزبـادي كما سبقت الاشارة الى ذلك .

الموت حياة قلبية ابدية تحصل بالانسلاخ من الصفات النفسانية والاتصاف بالصفات القلبيــة كما قــال افلاطون « مت بالارادة تحيى بالطبيعــة » وكما قال الحلاج :

اقتلونــي يــا ثقاتــي
ان فــي قتلــي حيــاتــي

ومكان هذه الحياة فى عالم القــدس ومرتبــة التجرد . (64)

3 ــ الموت الاضطراري وهو مفارقــة الــروح للبــدن .

ص : 387 ــ حا 834 الدساتيــن : جمــع دستان (كلمة فارسية) وهو الوتــر فى العــود وما يقابله فى سائر الالات (65) .

دستان : اصطلاح موسيقي معناه النغمة (66) وهو بهذا المعنى معرب (67) .

والدساتين من العود هي الرباطات التى توضع الاصابع عليها واحدها دستان (68) .

ص : 494 . حا 1051 محيي الديــن ابــن العربي .

اغفل المحقــق جوانب اساسيــة فى التعريــف بالشيخ محيي الدين ابن العربي مثل مذهبه فى وحدة الوجود ، مقتصـرا على بيان الاختــلاف فى امــره . وحصر عدد آثاره فى مائة وخمســين مؤلفــا ، وهو عدد ضئيل بالنسبة لما عرف لابن العربي من الكتب. وقد احصى ذلك الدكتور عثمان يحيى فى كتــاب خصصه لآثار ابن العربي فكان ثمانمائــة وستــة واربعين مؤلفا (69) .

ص : 537 . حا 1176 كيومرث : « ومعنــاه الحي الناطق » .

يزدان : « واله النور عندهم يزدان »

كيومرث هو اب الفرس ويقال انه اول ملــك فى العالم . والكلمة مركبة من جزئين : كيــو = الروح . مرث = الذي يمــوت . وهــي تــدل على الانســـان .

يزدان مخفف ايزدان جمع ايزد، وهم ملائكة وعددهم يتجاوز المئات الى الالوف ، وياتي على راسهم اهورامزدا ، واختص بهذه التسمية فى حالة الجمع للتعظيم .

ص : 538 . حا 1179 زنــد اوستــا .

الاوستــا Avesta او الابستاق ، هو كتــاب زردشت . وتسمى به احــدى اللغــات الايرانيــة القديمة . اما زند اوستا فهو شرح للاوستا باللغة الفهلوية كتب فى العهد الساساني . والتحقيق على انه ليس جزءا من الاوستا .

ص : 550 . حا 1227 و

ص : 624 . حا 1512 وحا 1513

الجبل = (فارس) الجبــل بفــارس

---

(64) شرح كلشن راز . الصفحــة 504 ــ 505 و 514 .

(65) هذا ما اورده صاحب المنجد ولم ترد الكلمة فى المعاجم الاخرى وغاية ما يفهم من كلام الثعالبي فى فقه اللغة انها آلة موسيقية وبذلك علق ناشر الكتاب (ص : 461) وعلــق عليه درج ادشيــر (ص : 64) .

(66) كتاب الالفاظ الفارسية المعربة . ادشير ص : 461) . وعند الخوارزمــي : اسم لكل لحــن من الالحان المنسوبة الى باربد . ص : 238 .

(67) Supplément aux Dictionnaires Arabes, R. Dozy, T. 1, p. 441

(68) مفتاح العلوم . ابو عبدالله الخوارزمي . ص 238 .

(69) Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn Arabi, T. 1 et 2, Damas 1964

(70) معجم البلدان . ياقوت الحموي . ج : 2 ، ص : 98 .

تقع الجبال غرب ايران (كرمنشاه ، همدان ، كردستان وما والاه) . ويقول ياقوت : الجبل منطقة تقع بين اصفهان وقزوين كانت تطلق على عراق العجم كله (70) .

فلا يصح جعل الجبل هو فارس ، لا ولا يحدد وجوده بفارس ، اذ ان فارس اسم اطلق اولا من طرف اليونان على منطقة تقع جنوب ايران Parsa وما يزال الى اليوم معروفا بهذا الاسم . وفي العهد الاسلامي سميت به ايران كلها

ص 633 . حا 1547 الفرانق : « لفظ دخيل معرب عن الفارسية معناه البريد او دليل الجيش . واصله سبع يصيح بين يدي الاسد كأنما ينذر الناس به » .

اللفظ المعرب من هذه الكلمة هو فروانق واصله الفارسي هو بروانك . وفي شرحها ذكر الدميري : الببر ... ضرب من السباع يعادي الاسد من العدو لا من العدوان ويقال له **«البريد»** (71) وخطاه الاستاذ احمد محمد شاكر وقال : « ان كلام ابن دريد يدل على انه الذي يتقدم صاحب البريد وقد فسره بذلك ايضا ـ القاموس (ج 3 ص 276) (72) . والاصل في معناه الفارسي انه حيوان يتقدم الاسد صائحا لينذر بذلك الحيوانات الاخرى ، وكنى به عن دليل الجيش .

ص : 664 . حا 1552 البهلوان (معرب من الفارسية) الذي يحاول ادهاش الناس باشياء غريبة كالالعاب وغيرها . هذا هو المعنى العربي الشائع للكلمة . اما معناها الاصلي في الفارسية فهو : القوي ، الشجاع ، البطل . ويظهر ان هذه المعاني هي المقصودة في قول ابن الخطيب هنا : « منهم الصقورة والمجان والحرافيش والبهلوان ممن يعول على ذراعه وقراعه وملاكمته وصراعه » (73) .

ص : 645 : حا 1591 خوند : لفظ فارسي معناه فقيه ثم اختص به متعاطي التصوف والحكمة.

من معاني هذه الكلمة في الفارسية ايضا صاحب الدار وربها ، كما انه يخاطب بهذه الكلمة الملوك والعظماء فتدل على الاحترام . وقد اورد ابن بطوطة الكلمة بهذا المعنى الاخير مرارا في رحلته . وكلا المعنيين مناسبين لكلام ابن الخطيب هنا ، ولكن المعنى الثاني ارجح . اذ يقول ابن الخطيب : « اخبرته لما دخل على صاحب الدار وانشده القصيدة ... فقال له : يا خوند ، الملوك مغربي ... » (74) .

هذه هنات ليست بالشيء اذا قيست بالعمل الذي قدمنا وصفه والذي نكرر التهنئة للاستاذ الكتاني عليه راجين ان نراه اكثر تنقيحا في طبعاته المتتالية ، وان نرى الاستاذ في اعمال علمية جليلة اخرى مثله .

فاس ـ عبد اللطيف السعداني

---

(71) حياة الحيوان . الدميري ج 1 ص 141 .

(72) المعرب من كلام العجم . الجواليقي . ص 238 ـ 239 . الحاشية رقم 7

(73) روضة التعريف ص . 634 .

(74) روضة التعريف . ص 645

السفير عبد الله بن عائشة

للأستاذ الحسن السائح

(2)

أعمال عبد الله بن عائشة

اشتهر عبد الله بن عائشة في التاريخ المغربي بنجاحه في ميدانين متناقضين كأشد ما يكون التناقض ، (أولهما) في ميدان الحربية البحرية ، و (الثاني) فيميدان الدبلوماسية المغربية .. أما الميدان الاول فهو يتطلب شخصية صريحة وقوية ، مندفعة مغامرة ، واما الميدان الثاني فلا بد ان يكون الناجح فيه متوفرا على كثير من خصال اللباقة والتبصر والاندفاع ... وقد استطاع السفير المغربي ، والامبرال الموفق ، ان يجمع بين العملين ويوفق فيهما معا .. كان في الميدان الاول قائدا بحريا ممتازا يتحلى بالشجاعة وقوة الشخصية وحب المغامرة ، ولطالما روع السفن البحرية سواء الحربية او التجارية بهجوماته المتوالية الناجحة رغم ما كان يتعرض لذلك من اهوال واسار ، وقد تحدث كثير من المؤرخين الاوربيين عنه بصفته (قرصاني خطير)

والمؤرخون الغربيون لا يتورعون عن تسمية اسطولنا الجهادي بأوصاف القسوة والتعسف ، وقد تناسوا جميعا ان هذا الاسطول كان يتحلى بكل صفات المروءة والشجاعة ، وانه كان اسطول جهاد ولم يكن اسطول اغتصاب وعدوان .. ولا شك ان الاندلسيين الذين طاردتهم محاكم التفتيش المتعصبة استقروا بالسواحل المغربية ليتخذوا منها مراكز للهجوم على المعتدين المسيحيين ، ومن هنا نشأ هذا الاسطول المجاهد الذي كان يغامر بالساحل الاوربي مهاجما تارة ، ورادا للهجوم تارة أخرى ... وفي غمرة هذه التجارب تعلم عبد الله بن عائشة حيث كانت السفن الجهادية مدرسته الاولى التي اقتبس من رجالها اساليب الحربية ومعرفة الطرق البحرية ، كما تعلم اللغات الاوربية التي كانت مألوفة عند هؤلاء المغامرين .. واظهر ما في شخصيته من بطولة وشجاعة وقدرة على خوض الغمرات ، وتمرس بعادات الاوربيين وتعرف على قضايا الاوربيين ولغتهم واساليبهم في الحرب والسلم .

واحتفظت سجلات التاريخ الاوربي في النشاط القرصني باسمه لدى ذكرها للمغامرين المغاربة في الساحل حيث كان اسم عبد الله ابن عائشة لامعا بين هؤلاء المشهورين ففي سنة 1684 ذكرته الوثائق الانجليزية في صراع أسطوله مع بعض السفن الانجليزية وكان عبد الله بن عائشة من الناجين من الغرق .. ثم نسمع بذكره وهو يروع ساحل البوغاز وقاديس ، والساحل الفرنسي ويتعقب السفن الفرنسية المتوجهة الى امريكا ، وقد كانت اعمال هؤلاء المجاهدين تروع الساحل الاوربي وتنعكس اصداء ذلك في عواصم اوربا لما لها من اثر فعال في الاقتصاد والمجتمع اذ ان عملية السفن الجهادية تقتضي مصادرة السفن واسر المسافرين ، مما يؤثر على الاقتصاد الاوربي بسبب خسارات المصادرة ، ويؤثر على المجتمع الاوربي ايضا لما يتركه الاسرى من

عائلات تضغط على حكوماتها للتعجيل بافداء وابهاء الاسار .. وهكذا كان (المجاهدون) يجدون في ذلك فرصة للتخفيف عن اسرى المسلمين مما يلاقون من عناء ومحنة ، ويضغطون على اسبانيا التى طردتهم من ديارهم والقت بهم خارج أوطانهم .. ولا شك ان تالق اسم عبد الله بن عائشة في ميدان الجهاد لفت نظر الدولة المغربية اليه لان اعماله وشهرته في المغرب ودول أوربا مما كان يخوله ان ينال حظوة واعتبارا لدى الحكومة المركزية التى كانت تعتمد على عمل هؤلاء في صيانة الساحل المغربي والدفاع عنه ، فلم تكن البلاد متوفرة على مدارس بحرية الا هاته المدارس الساحلية التى يتكون فيها المجاهدون في تجاربهم المتوالية بالبحر ، ويتمرسون على اساليب القتال مع السفن المعادية في عرض الساحل وانحاء البحار ... ولهذا فقد عين اميرالا للبحر اي قائدا الاسطول المغربي ، ونجد اسمه متالقا في البحرية المغربية وهو يعترض المراكب ، ويدوخ الاساطيل المعتدية ، كما نجد اسم عبد الله بن عائشة مع الرئيس فنيش يعربان عن نشاط بحري كبير ويعترضان سفنا فرنسية في طريقها الى امريكا والى سنة 1687 واسمه ما يزال بين رؤساء البحر ، كما ان الوثائق تذكر اسم والده الذى كان يتولى قيادة السفن الحربية مما يدل على ان ابن عائشة اصبح اميرالا بعد ان تجاوز الشباب الى الكهولة .. وفي هذه المرحلة من حياته ترك الحياة الجهادية الى الحياة الديبلوماسية ، وكانت رغبة رؤساء الدول الغربية ملحة ان تنهي حياة الجهاد في البحر او ما يسمى في تاريخ الاوربيين بالقرصنة ، والبيراط ، وكان الملك لويس الرابع عشر أكثر هؤلاء حماسا لانهاء هذه الاخطار نظرا لزعامته بين ملوك اوربا ، وما تتحمله بلاده من عناء المشاكل القرصانية ، ويظهر ان تعيين المولى اسماعيل لعبد الله بن عائشة حتى يضطلع بهذا العمل يرجع الى ما كان يتمتع به السفير المغربي من شهرة ذائعة في البلاد الاوربية ، وقدرته على التحكم في الموقف الذى كان يعتبر أحد ابطاله المشهورين دون نزاع او خلاف .. ومن تم عينه المولى اسماعيل سفيرا الى الملك لويس الرابع عشر الذى يعرف (عبد الله بن عائشة)

ابن عائشة في بلاط لويس الرابع عشر :

جاء في كتاب مصادر التاريخ الفرنسي (ج 17) نقلا عن وثائق تاريخية فرنسية ان السفير المغربي بفرنسا عبد الله بن عائشة وصل الى باريس يوم خامس يبراير سنة 1699 ، وقد جاء ليخطب الاميرة « دو كندي De Condé) الى السلطان المولى اسماعيل .. فنزل في مدينة بريست (Brest) ثم توجه الى باريس صحبة سانت اولم Saint Olem ولاكروى Le Petit de la Croix وتجول في عدة مدن فرنسية كالربن ونانت ، وعدة مدن اخرى ، ولما وصل الى العاصمة استقبله لويس الرابع عشر بحفاوة بالغة ، والقى السفير المغربي امام الملك (لويس الرابع عشر) كلمة عبر فيها عن ارتياحه للعناية التى لقيها في فرنسا ورغبة بلاده في توطيد الصداقة بين البلدين ، والتوقيع على معاهدة بذلك .. ويذكر المؤلف ان هذه السفارة اثارت ضجة في فرنسا وكانت مثار عدة تعاليق من مختلف الاتجاهات السياسية والمجتمعات الفرنسية ، وقد كلل مسعى السفير المغربي بالتوفيق والنجاح ..

وقد كان السفير عبد الله بن عائشة في فرنسا محل احترام واجلال ، واعجبت نساء الطبقات العليا بلباقة السفير المغربي ، وبداهته واعجابه بالمراة الفرنسية وما تتحلى به من لطف وذكاء ، وانها كانت معاهدة الصداقة بين البلدين اخذت طريقها للتحقيق فان خطبة الاميرة لم تتم نظرا لاختلاف العوائد والتقاليد بين المغرب وفرنسا ، وقد حاول المؤرخ المغربي المولى عبد الرحمن بن زيدان انكار هذه الخطبة بتاتا ، ولكن الوثائق التاريخية تحول دون الشك في ذلك زيادة على ان التاريخ المغربي والتقاليد المالوفة والاحكام الشرعية لا تمنع ذلك ..

وقد رجع السفير للمغرب حيث استقر بالرباط وحيث توفر على ثروة مادية كبرى مما جعل خليفة المولى اسماعيل بمكناس (الذى تولى الحكم مدة غيبة المولى اسماعيل بالحدود الشرقية) يطلب من عبد الله ابن عائشة قدرا كبيرا من ثروته ، ولما امتنع عن ذلك نكل به وجلده ، ورغم ضغط زوجة ابن عائشة على زوجها ليعطي ما طلب منه حتى يتفادى التعذيب فان السفير المغربي ظل مدة يعاني من الالم الذي اجحظ عينه وآذى جسمه ، ويذكر الاب (Busmot) الذي توجه لمكناس لفداء الاسرى سنة

1707 ان ابن عائشة افاده بتدخله لمكانته فى البلاط الاسماعيلي بمكناس .

وظل ابن عائشة يعاني آلاما بدنية نتيجة التورم والالتهاب بعد التعذيب بالطوق فى عنقه مما جعل لحمه يتعفن وينتن كما لاحظ ذلك بعض الذين زاروه فى آخريات أيامه حيث توفي سنة 1712 كما يذكر و. انتروين فى مقاله عن السفير المغربي..

واذا كان المؤرخون المغاربة قلما يتحدثون عن هذه الشخصية اللامعة فى عصرها ، فان المؤرخين الغربيين تحدثوا عنه كثيرا لما كانت له من شهرة فى عصره بأوروبا .. وقد خصص الكاتب R. Antroygnes مقالا قيما فى المجلة البحرية

(Revue Maritime, août 1931)

التي كانت تصدر بفرنسا حيث عرف بنشاطه البحري ، كما ان بعض الشعراء الغربيين المعاصرين له وصفوا جمال دو كندي وطلب يدها .. ولم يفت اصحاب الوثائق ان يتحدثوا عنه كما ان المصورين رسموا صورته فى المسرح الفرنسي وهو يتتبع باهتمام بعض التمثيليات الكلاسيكية صحبة السفير المغربي محمد تميم .. ولدي عدة وثائق تاريخية للمراسلات الدبلوماسية التى تولى كتابتها او المحادثة فيها سفيرنا اللامع ..

الرباط ـ حسن السائح





مسجد القرويين بفاس

La Mosquée Al Qaraouiyin à Fès

للدكتور عبد الهادي التازي

لعل قراء (دعوة الحق) ما يزالون يذكرون أن الاستاذ عبد الهادي التازي شرع منذ اربع عشرة سنة في نشر سلسلة أحاديث بعنوان (جامع القرويين) عدد مارس ـ ماي 1958 من السنة الاولى ، وقد كنا علقنا عليها وقتئذ بأنها مقتبسة من مؤلف له قدمه تحية لجامعة القرويين وهي تشرف على ذكراها المائة بعد الالف ... ونذكر أن هياة تحرير المجلة اقترحت على الاستاذ التازي آنذاك أن يعمل على نشر هذه الدراسة في بحث مستقل ، ويطيب لنا اليوم ـ والكتاب مائل للطبع ـ ان نزف باسم قراء المجلة التهنئة للاستاذ التازي الذي جعل من تلك الاحاديث أطروحة نال بها درجة الدكتوراة من جامعة الاسكندرية بمرتبة الشرف الاولى مقدرين وفاءه للبحث وبروره بالقرويين ..

بعد ازيد من عشر سنوات على ظهور بحثه القيم حول الفن المرابطي ما بين سنة 537 هـ ـ 1143 م ـ 529 هـ ـ 135 1 م داخل مسجد القرويين بفاس وذلك بمجلة Arts Orientalis - Volume II, 1957 بعد ذلك ، ظهر كتابه منذ بعض الوقت في باريز بالعنوان اعلاه عن مكتبة : (C. Klincksieck, 1968

وقد كان هو الآخر منصبا بصفة ملحة على بداية القرن الثاني عشر الميلادي (1) .

والاستاذ هنري طيراس من الشخصيات الاركيولوجية اللامعة ، وقد امتازت بحوثه وكتاباته بطول نفس وعمق في التحليل .

وقد قرانا له قبل حديثه عن القرويين عددا من البحوث الجليلة والكتب المفيدة كان منها : جامع الاندلس بمدينة فاس .. والجامع الكبير بمدينة تازة وتاريخه للمغرب منذ الاصول الاولى الى نظام الحماية الفرنسية بالمغرب الخ ..

وقد ساعدته وظيفته القديمة بالمملكة المغربية كمشرف على الآثار واستاذ بمعهد الدروس العليا على ان يتمكن من الوقوف على عدد من الامكنة التي كان من المتعذر على غيره الوصول اليها .

ولذلك فان تحقيقاته حول آثار المدن المطلة على حوض المتوسط تعتبر من الفائدة والقيمة بحيث تستحق منا كامل العناية .

ومنذ الوقت الذي عنيت فيه بكتابة تاريخ القرويين كنت استمتع ببحوث الاستاذ طيراس وكتاباته عن المغرب ، وقد حرصت على الاجتماع به

---

(1) جريدة لوموند الباريزية 21 ـ 22 دجنبر 1969 .

فى مدريد اوائل الستينات لاعرض عليه ما كنت احضره حول تاريخ ذلك الجامع العظيم ولاستفيد من التصميم الذى يختاره هو لكتابه حول القرويين ..

وقد تجاذبنا أطراف الحديث حول بعض النقاط التي كانت تستوقفني مما وجدت لها مراجع تاريخية ولكن من غير ان اجد لها تأكيدات آثارية كما تفضل البروفيسور فعرض على بعض نماذج من اكتشافاته وجهوده القيمة .

وقد عرفت من خلال الحديث أمرين :

اولهما : ان الكتاب الجديد سوف لن يتضمن اكثر مما تضمنه ما نشره البروفيسور منذ سنوات خلت فى مجلة (Orientalis) مما اشرت اليه آنفا باستثناء بعض الاضافات والتكميلات .

ثانيهما : ان ابتعاده عن عين المكان : مدينة فاس ربما يكون له اثر على بعض نواحي الكتاب .

ولم يفته ان يذكر بانه كان يتمنى ان يكون له نصيب فى اللغة العربية حتى يقتحم الموضوع بما يليق به من المام واستيعاب .

وعندما تمثلت عمله وفضله على تجسيد (الفن المرابطي) بالقرويين معترفا باني استفدت منه كثيرا حثني بحرارة ان استمر فى بحثي حول القرويين سيما عندما علم انه يتناول التاريخ الفكري ايضا ، وانه لا يختص لفترة محدودة من ايام المرابطين بل يهتم بمختلف العصور .

— ◆ —

واذا كان بحث طيراس فى (اوريانطاليس) يتركز فى اثنتي عشرة صفحة فان كتابه اليوم يصل الى سبعين صفحة من حجم 20/27 اضف الى هذا اثنين وثلاثين رسما ومائة وخمسا وعشرين صورة لمختلف جهات القرويين .

وقد آثر ان يصدر لبحثه الاثري بمدخل مختصر عن أهمية الجامع ثم قسم كتابه الى عشرة فصول وخاتمة اردفها بايراد بعض من المنقوشات التي توجد بالقرويين .

وقد تضمن الفصل الاول تاريخا مقتضبا للجامع من بدايته الى عهد المرابطين معتمدا على نصوص ابن ابي زرع والجزنائي (2) .

بينما خصص الفصل الثاني لتوسعة المرابطين للمسجد من الناحية التاريخية والمعمارية .

اما الفصل الثالث فقد ابرز فيه العمل المرابطي من حيث الزخارف الهندسية .

وخصص الفصل الرابع للفن المرابطي المتجلي بخاصة فى التطريزات المتألفة من الخطوط والزهور المنقوشة .

أما الفصل الخامس فكان نظرة على المجموعات الكبرى للوشي والزينة ..

وقد خصص المؤلف ابواب الصفر المرابطية بالفصل السادس .

وكان الفصل السابع كله حديثا عن المنبر التاريخي العظيم الذى تحتضنه القرويين الى اليوم..

وبعد كل هذه الفصول السبعة عن الفن المرابطي ظهر له ان يخصص بعض الفصول الباقية لمحاولة الحديث عن بعض ما تبقى مما يظن انه يفي بالغرض .

ويتعلق الفصل التاسع بالاعمال المرينية .. اصلاح الصومعة وبناء غرفة الموقتين ...

وكان الفصل العاشر اقصر الفصول وحاول ان يتحدث فيه عن القرويين بعد المرينيين ...

وهكذا نرى ان الفترة التى خصص لها الكتاب فى واقع الامر كانت هي فترة المرابطين ولكن طيراس رأى ان من باب الاستيعاب ان يحاول ان يجعل للكتاب بداية ونهاية ومن هنا كان حديثه العابر عن فترة ما قبل المرابطين وفترات ما بعد المرابطين .

---

(2) ومع هذا فيلاحظ ان الاستاذ طيراس لم يكن متقيدا بالنقل عن روض القرطاس او جني زهرة الآس ولو اننا نقف احيانا على إشاره للجزنائي نظرا فيما يظهر لان ترجمته من قبل (بيل) كانت فى متناوله ، ونذكر على سبيل المثال اختياره لكون الصومعة بنيت فى ربيع الاول لا فى الآخر (ص 12) واختياره لكون عدد نوافذ المستودع الذى بناه الامام يشكر كان يبلغ خمسا وليس اثنتين (ص 56) كما نذكر اختياره لكون القرويين اصبحت جامع فعلية عام 321 هـ 932 وليس 306 (ص 12) .

واذا كانت المناقشة فيما قدمه الاستاذ من تدقيقات حول الاشكال الهندسية والافاريز والخلايا والزوايا والاقواس والعقود مما يعتبر تدخلا في اختصاصه فاننا مع ذلك سنسمح لانفسنا بتعقب بعض النقاط الاخرى ...

كان الاستاذ طيراس عظيما عندما كان يضع مسطرته على خط من الخطوط ، وعندما كان يتحدث حديث الاركيولوجي المتمرس ، ولكنه عندما كان يتحدث حديث المؤرخ المغربي او يتقمص شخصية الفقيه المتحدث بلسان الدين ، كان في كلتا الحالتين يفرض ان نضع بعض التساؤلات ..

ويظهر ان الاستاذ طيراس لم يحاول ان يتخلص من بعض الانطباعات التي اصر على تسجيلها في كتاباته عن تاريخ المغرب وهكذا فانه بالرغم من ان كل مصادر التاريخ تؤكد ان المغرب الاقصى استطاع منذ عهد الادارسة ان يحقق وحدة سياسية بلغت حدا فرضت فيه استقلالها عن المشرق ، فان طيراس ظل غير مقتنع بما حققته جهود الاولين وظلت تشوش عليه في الكلام عن تلك « الوحدة » حوادث بسيطة ، حوادث كبرت أمام عينيه ليتخلص الى القول بان المغرب ظل مفتتا ممزقا الى حين ظهور المرابطين .. وهذا ما ردده (ص 17) ايضا في حديثه حتى عن مسجد القرويين بعد عشرين سنة من كتابه عن تاريخ المغرب ..

وعندما اراد ان يتطرق للقرويين ما بعد المرينيين (ص 69) رأى ان من المفيد حتى بالنسبة للذين يتطلعون فقط على فنون القرويين ان يذكر «بالازمات المتوالية » التي كانت تتخبط فيها الحكومات المغربية المتعاقبة ، ويذكر بضعف الادارة المركزية وتمرد قبيلة الزناتيين على الحكم واغتيال هذا وتصفية ذاك .. وبالتالي سقوط المغرب في بحر لجي من الفتن التي دامت قرنين من الزمن ..

ولدى حديث قصير جدا عن القرويين في عهد العلويين لم يفته ان يذكر بالملك بان المغرب كان مجزأ بين (ممالك) بيد المتصوفة تتقاتل فيما بينها بعنف وضراوة (ص 72) كما بحث عما سماه بقتال المولى اسماعيل ضد المطالبين بالعرش .. ثم عن الحكم العسكري لمدة ثلاثين عاما بعد وفاة المولى اسماعيل ..

وهكذا ذكرنا البروفيسور طيراس فيما كنا قراناه في كتابه عن تاريخ المغرب من تصوير بلادنا على انها منذ كانت وهي لم تكتمل وحدتها الوطنية الا اياما محسوبة وان سكان الجبل ظلوا على صراع مع سكان السهل ، واستمرت الفتن والازمات والاغتيالات الى ان كان تاريخ 1912 !..

— ◆ —

وبعد هذا فان هناك انطباعات ثانيا دفع بنا كذلك الى التساؤل ...

لقد اعتاد الاستاذ طيراس في كتابه (تاريخ المغرب) على ان ينسب كل جميل يجده من صنع المغاربة الى الاندلس ، اي الى جنوب أوربا (ص 19)، لا ادري لماذا ؟ اللهم الا ان يكون قاصدا الى القول بان كل ما كان يوجد مما يستهوي النفس في المغرب انما كان الفضل يرجع فيه الى عالم آخر هو العالم الاوربي ...

ومع ان الاندلس كانت تشكل مع المغرب امبراطورية واحدة فاننا مع ذلك نسجل ان المغرب الاقصى كان له طابعه الخاص وحضارته الخاصة وقد قرانا في روايات شاهدي العيان ان الاندلس كانت تستعين بالفنانين المغاربة لانجاز مشاريعها المعمارية الكبرى ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بناء جامع اشبيلية الاعظم الذي دعي اليه كبار المعلمين من المدن المغربية (3).

ومع ذلك فان طيراس يظل متحدثا عن « العمال الاندلسيين الذين كانوا في خدمة الملوك المرابطين او الموحدين » .

ولقد اكبر طيراس على اديب فقيه مغربي من اهل فاس ان يكون هو الذي طرز منبر القرويين ووشاه بالرغم ان كلا من ابن ابي زرع والجزنائي كلاهما يطبقان على ان الشيخ العتاد هو نفسه الذي قام بتحقيق ذلك العمل .

---

(3) ورد في تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة : « وحضر على ذلك شيخ العرفاء احمد بن باسه واصحابه العرفاء البناؤون من اهل اشبيلية وجميع عرفاء اهل الاندلس ، ومعهم عرفاء البنائين من اهل حضرة مراكش مدينة فاس واهل العدوة . تاريخ ابن صاحب الصلاة : نشر وتحقيق عبد الهادي التازي ، طبعة دار الاندلس بيروت 1964 ص 474 .

وقد راح طيراس يفترض ان المنبر ربما كان اتى في الاصل من مدينة قرطبة .. والا فان هناك جماعة من الفنانين « المجهوليــن » وردت من تلك المدينة وكان يشرف عليها كالمعتاد استاذ القرويين ! (ص 49 ــ 50) وقد رضي بنسبة العبقرية المتجلية في المنبر الى « مجهولين » دون ان يذعن لنسبتها لفقيه من مدرسي القرويين ممن ورد ذكره صريحا باسمه واسم والده ولقبه وصفته ! ص (53) ــ (73) .

وفي هذا الصدد ايضا نراه عند التعليق على احد الاسماء المنقوشة داخل القبة السادسة المستديرة يحاول ان يجد ايضا علاقة لتركيب الاسم (سلمة بن مفرج) بالاعلام التى عرفت في الاندلس ليستنتج من ذلك ان القباب بناها قوم لا ينتمون الى هذا المغرب ! وهكذا كان يحاول ان يبعد المغاربة عن كل موهبة تقربهم من الفنون الجميلة مؤثرا بذلك جهات اخرى وكل ذلك مما لا يرضي المغاربة .. لانهم لا يرون فيه انصافا لتاريخهم .. ولذلك فانهم ما يزالون ينتظرون من الاستاذ طيراس المزيد من المحاولات للتخلص من الرواسب التى كتب على اساسها بعض الفصول من تاريخه للمغرب ...

هناك ناحية اخرى تستدعي اهتمام بعض القراء .. ذلك ان الاستاذ طيراس لم يتردد في بعض الاحيان من اعطاء بعض « الفتاوي الفقهية » حتى يبرر عملا ما او بادرة ما .. وهكذا قال : ان الاهتمام ببناء قبة جامع الجنائز على النحو الذى تمت به من اتقان يقربها من قبة المحراب ، وان ذلك يدل على ان الصلاة على الجنازة تعتبر عند الاسلام في الدرجة الثانية مباشرة بعد الصلوات الخمس ! ص 21 ــ 43 ــ 46 ــ 47 .

وكان قبل هذا علق على الفرض من بناء جامع الجنائز على حدة بان ذلك كان لهدف تجنب تلطيخ المسجد بوجود نجاسة فيه (ص 13) ــ 23 .

وعندما علق على ان خطيب الجمعة يكتفي بالجلوس على الدرجة التى توجد وسط المنبر دون ان يسمح لنفسه بالصعود الى اعلى درجة فيه قال (ص 50) ان مرد ذلك لكون الدين يقتضي التادب مع النبي (عليه الصلوات) الذى كان يتخذ مكانه على اعلى درجات المنبر ؟

ووراء هذا وذاك هناك بعض المواخذات على الاستاذ طيراس قد يكون فيها ما هو خارج طاقته مما يدخل في اطار الاخطاء المطبعية التى لم ينتبه لها عند التصحيح غير ان فيها ما كان سببه على ما اسلفنا مغادرة طيراس للمغرب وعدم تمكنه من الاعتماد على من يزوده بالمعلومات اللازمة .

لقد احال في اثناء الكتاب على بعض اللوحات التي لم تكن موافقة للموضوع المقصود الامر الذي يحتاج الى التصحيح الضروري .. ولابد ان نذكر في هذا الصدد انه في اثناء الحديث عن جامع الجنائز (ص 22) عندما ذكر انه يتصل بطريق السبطريين عن طريق بابين كبيرين احال على الصورة رقم 10 الامر الذى كان خطأ فان الصورة تمثل احد ابواب الرواح الثلاثة التى تربط بين داخل المسجد وجامع الجنائز ..

وقد احال ص 33 عندما كان يتحدث عن القبة الموجودة عند المدخل للبلاط الاوسط المباشرة للعنزة احال على صورة رقم 33 مع ان الحقيقة غير ذلك .

ويتساءل مرة اخرى عن صلة الصورة رقم 92 التى هي تمثل باب السبطريين بالحديث عن قبة باب المحراب (ص 45).

ومن اخطاء الاحالات ما يوجد (صفحة 59) من الاحالة في الخطوط الكوفية التى تحمل القطع السفلى الظاهرة من الثريا على الصورة رقم 105 مع انها على صورة رقم 107 .

ومن الاحالات الخاطئة كذلك احالته (ص 63) على الصورة رقم 109 على انها باب دار الوضوء التى انشاها المرينيون مع انها احد ابواب القرويين وتحمل اسم (باب الحفاة) ...

وعندما كان يتحدث عن حرس رابع ص 67 احال على الصورة رقم 118 والصواب ان تكون الاحالة على رقم 120

وعدا هفوات الاحالات هناك بعض الملاحظات الاخرى فليس الاستاذ طيراس على حق عندما يذكر ص 19 ان حومة فندق اليهودي توجد مباشرة شمال جامع القرويين وذلك عند حديثه عن اليهود الذين عوضوا عند الزيادة على عهد المرابطين .

— ♦ —

وعندما تحدث عن مواقع المحراب الاول ذكر انه كان تحت الثريا الكبرى الموجودة حاليا والصواب ما ذكره الجزنائي من أنه كان في البلاط الذي يتقدم الثريا .

وعندما كان يتحدث عن ابواب الرواح الثلاثة ص 22 التي تربط بين المسجد وجامع الجنائز تحدث عن « الدفف » التي توجد هنا ولكنه عوض ان ينسبها للعهد الموحدي كما يؤكد روض القرطاس نسبها للعهد المريني ، وفي اعتقادي ان هذا الخطأ انما اوقعه فيه اعتماده على الترجمة الفرنسية لروض القرطاس نسبها للعهد المريني ، وفي اعتقادي ان هذا الخطأ انما اوقعه في اعتماده على الترجمة الفرنسية لروض القرطاس التي كانت متساهلة في التدقيق بين التواريخ وبين اسماء الملوك (4) ..

وعندما تحدث طيراس (ص 19) عن ان اوقاف القرويين – باشراف قاضيها او عميدها – لم تكن بمستطيعة وحدها ان تقوم بعمل عظيم كالذى تحقق في عهد المرابطين ، فانه كان على غير علم من الثروة العظيمة والعظيمة جدا التي كانت القرويين تتوفر عليها ، وكان على غير علم كذلك بمركز قضاتها الذين ظلوا يؤرخون احداث القرويين بوجودهم هم ، وليس بظهور دولة واخرى ! وعندما كان يتحدث عن ابواب الصفر ص 47 ذكر سهوا ، فيما يظهر ، ان باب السبطريين هي التي تنفذ لجامع الجنائز مع ان المعروف في التاريخ ان الباب الذي ينفذ الى جامع الجنائز والمقابل للدرب الذى تقع فيه مدرسة الشراطين ، يحمل اسم باب الخلفاء على ما في جني زهرة الآس .

وعند الحديث عن بعض المنقوشات بالقرويين اعتمد في قراءتها على بعض المتساهلين فقرأوا له المجازلة عوض المجازاة ، واليسر والخسر عوض النشر والحشر والآمد عوض الآمر (ص 78 – 77)

ومن الاخطاء التي اوقع طيراس فيها اعتماده في قراءة العربية على غيره انه اعتقد ان النقش الموجود على واجهة القوس الذى يحمل المنبر هو من النقوش التاريخية مع انه نقش لبعض الآيات الشريفة ، وقد التبس عليه هذا بالنقش التاريخي الحقيقي الذى تحدث الجزنائي على انه موجود في اعلى ذروة المنبر يعني عند نهاية الادراج (5) .

وعند استعراضه للكتابات المنقوشة في الثريا الكبرى ذكر ان الكوفي الموجود فيها انما هو في الدعاء والتعوذ مع ان منه ما يتعلق بالنقش التاريخي وهو الذى يقيد تاريخ انشاء الثريا وصنعها على نحو ما يوجد في الملاق الذى يحملها (ص 59) .

وعند حديثه (ص 57) عن الصحن ذكر ان الخصة التي بناها الشيخ السجلماسي كانت وسط الصحن الامر الذي يربك الذين يؤرخون للخصة الوسطى العلوية النشء : مع ان خصة السجلماسي في الجهة الشرقية من الصحن متصلة بالجدار الفاصل بين الصحن والرواق الشرقي .

وعند حديثه عن احد الاجراس الصغيرة التي تحولت الى ثريا (ص 66) قال عنه ان ظهره يحمل نقشين باللاتيني .. مع ان الحقيقة ان النقشين موزعان: احدهما على الجرس الاكبر ويبتدىء بكلمة (Mehtem) وثانيهما على ذلك الجرس ويبتديء بكلمة (Vox) وليسا معا على جرس واحد كما يعطيه تعليقه ايضا على الرسم رقم 27 .. وهذا ما يؤيده كارسيا كوميز وموريتو اللذان نقل عنهما طيراس (6) .

ومحاولته عن الاجراس والثريات كان ينقصها ترتيب الاجراس ، كل في قبته وكل وما نقش عليه ، الامر الذى سبب له اضطرابا – وربما زيادات – عندما توهم ان نقشا يوجد على الثريا الصغرى الموحدية التي كانت في الاصل جرسا من (وبذة) بينما هو اي النقش يوجد في الثريا الكبرى (ص 80) .

وقد شعر الاستاذ طيراس نفسه بذلك عندما اعترف (ص 67) بانه لم يتمكن من تحقيق بعض هذه الثريات نظرا لافتقاره الى الوثائق او لبعده عن عين المكان على أصح تعبير .

---

(4) روض القرطاس طبعة فاس ص 42 – 43 روضة النسرين ص 21 .
(5) جني زهرة الآس ص 56 .
(6) عبد الهادي التازي – احد عشر قرنا في القرويين طبعة فضالة ص 20 .
Al Andalus, 1953, p. 430

ونعتقد أن عدم الحرص من الاستاذ على ترتيب الثريات والاجراس حسب قبابها هو الذى اربكه ايضا عندما ذكر أن عدد الاجراس المعلقة بالبلاط الاوسط هو اربعة مع انها ثلاثة بينما كان الرابع معلقا بداخل باب الشماعين وهو نفسه الذي اضطره لعدم تحديد محل الثريا الموحدية الصغرى مع أنها توجد فى القبة الثانية من جهة العنزة .

وعندما تحدث طيراس عن ترميمات الصومعة على عهد بني مرين حاول ان يتحدث عن الساعات المائية التى كانت هنا (ص 62) ، والتى تنسب لعدد من العلماء منهم ابن الصديني ؛ ولكنه لم يعد ترجمة ما ورد عند الجزنائي من قبل الاستاذ الفريد بيل من غير ان يتعرض لذكر ساعة ابي زيد اللجائي .. الامر الذى يؤكد انه اي طيراس لم يشتغل اطلاقا فى غريفة الصومعة ، وانما تحدث عنها حديث المقلد لا حديث المتتبع الذى اعتدنا ان نقراه لطيراس ! وقد اتعب طيراس نفسه عندما حاول أن يسوق ما ترجم عن المنشآت بالقرويين مما ذكره القرطاس والآس فانه فضلا لم يكن يتوفر على المعلومات الضرورية على نفس المستوى الذى كان يعالج به الامر فى العهد المرابطي والموحدي مثلا ، ولذلك نجده يتملص من كثير المعارج والمنعطفات ، كما نجده يهمل عددا من المنجزات الهامة فى العهد المريني والعهد الوطاسي ، والعهد السعدي والعلوي.

ولهذا ايضا نراه يخطيء عندما تحدث عن باب الورد على انه اصلح ايام بني مرين (ص 63) مع ان الصواب ان ذلك تم فى ايام الوطاسيين بعهد أبى زكرياء عام 848 حسبما هو منقوش فى القبة ذاتها .

وقد ذكر ان « المصرية » التى بنيت على عهد بني وطاس فى قبلة المسجد كانت للقاضي (ص 69) مع ان التاريخ المنقوش على باب المصرية يؤكد انها مصرية اعدت للامام الخطيب ...

وقد تجنب طيراس الحديث عن برج النفار وعن الخلوة العليا فى حين تحدث فيه عن الخلوة السفلى مع اننا كنا بحاجة الى مزيد من المعلومات الاركيولوجية عن المحلات المذكورة وعن المكتبة السعدية .

واخيرا فان الاستاذ طيراس لم يكن على حق فى دعواه ان العهد العلوي ربما حصل فيه بعض التجني على الآثار القديمة (ص 72) فان المحفوظ لدينا مما هو منقوش على الثريا الكبرى يشهد بما قام به العلويون فى سبيل ترميم المسجد والابقاء عليه والحفاظ على تراث الاقدمين فى هذا البلاط الاوسط بالذات .

لقد كان على الاستاذ طيراس فيما نعتقد أن لا يقتصر على المصادر القليلة التى اعتمدها وان يتنازل للاطلاع على ما كتب حول المسجد دون ما ان يقتصر على الاحالات فقط على ما كتبه هو مسبقا : (ص 13 – 15 – 22 – 41 – 42 – 54 – 57 – 59) ، ودون ان يسمح لنفسه باعادة الحديث عن الشيء الواحد عددا من المرات ص 43 – 51 .

على أن هناك اخطاء مطبعية ظلت بارزة بالرغم من حرص الاستاذ على كشف بعضها وهكذا ففي صفحة 9 – 10 نجد ان القرويين اسست عام 857 مع ان التاريخ الصحيح هو 859 وقد اساء هذا الخطأ لجريدة لوموند التى نقلته كما هو ولمجلة الاسبوع العربي اللبنانية التى ترجمت حديث لوموند بعد ذلك ... وفى صفحة 10 كتب كلمة Ouest بدل Est

وفى صفحة 14 كان يوافق تاريخ 345 ربيع الاول يونيه – يوليه 956 وليس 965 وفى صفحة 19 سقطت كلمة (ابن) بين عبد الحق وعبد الله ابن معيشة .

وفى صفحة 64 اصلاح كلمة hibz بكلمة hizb .

— ◆ —

وبعد، فقد قدم البروفيسور طيراس عملا جليلا للتاريخ المعماري للامبراطورية المغربية فى العصر الوسيط وسيظل كتابه ضمن المراجع الهامة لمهتمين بتاريخ الفن المغربي سيما وقد ظلت هذه الفنون النموذج المتبعة ، والمثال النموذجي لكل الفنون التى نراها فى المغرب الى الآن كما يذكر .

وكم يسعدنا – نحن المغاربة – ان نتوفر على كتاب مثل هذا يعطي صورة صادقة عن زاوية مهمة من زوايا هذا المسجد العظيم لقد استطاع طيراس بكتابه ذلك ان يقدم للعالم المغربي اصدق الملامح واجملها لفترة من فترات امجادنا ولذلك فهو يستحق منا كل التقدير وكل المتمنيات الطيبة .

الرباط : عبد الهادي التازي

ديوان المجلة

من أناشيد عيد الشباب المجيد

أهلاً بأجمل عيد ..!

للشاعر محمد محمد العلمي

لعيد الشباب المجيد — نغني بأحلى نشيد
ونقطف ابهى الورود — ونحيا بأجمل عيد
وللعرش نحن جنود — نصون ونرعى العهود
ففيه الفخار المشيد — وفيه عرين الأسود
له قد بسطنا الخدود — وصغنا نفيس العقود
ونبني لعهد جديد — ونحمي بناء الجدود
ونبذل اقصى الجهود — لعيش كريم سعيد
ونرفع فينا البنود — ونسكن هام الخلود
ونحن بعزم نسود — وننزع عنا القيود
ونحن كقدر تضيد — بوحدتنا نستفيد
ونسعى لنصر أكيد ؛ — سواعدنا من حديد
ونرفع شتى السدود — ونقهر كل عنيد
وخير البلاد يزيد — وليس له من حدود
فيفرح كل شهيد — وينعم كل وليد
وما ضاع سوف يعود — برغم الدخيل الحقود

◆

ندين بدين حميد ... يحارب كل جمود
وبدا ثم بعيد ... كفايتنا في الوجود
اذا صح عزم وطيد ... على السير نحو الصعود ،
فان الزمان يجود ... علينا بخير رصيد .
الى العرش تسعى الوفود ، ... وذلك سعي رشيد
فبشرى لنا اذ يقود ... طلائعنا للسعود
براي حكيم سديد ، ... وذلك بيت القصيد
فاهلا بأجمل عيد ... بعيد الشباب المجيد !!

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي





للشاعر مولاي عبد الملك البلغيتي

انا فى عهد شبابي   مثل المخمور كنت
كلما استيقظت من سكري من الخمر سقيت
هكذا حتى تولت   صفوة العمر أفقت
ها انا ابكي شبابا   غاب عني اذ صحوت
اين القاه ؟ فاني   دونه العيش كرهت
اخذ الصحة معه   ونشاطا فيه عشت
وسلوا وهناء   وجمالا فاسفت
وخلو البال من انكاد دنيا فكدرت
وارتياحا وطموحا   فكأني ما ضحكت

— ◆ —

كنت فى عهدي فيه   كلما سر سررت
لم اخالف له امرا   وله ـ عمري ـ استجبت
فلماذا غاب عني   وانا ما ـ عنه ـ غبت ؟
هاجرا لي دون حق   وانا معه نشأت ؟
وكاني الشيب قبحا   فاختفى حين ظهرت
لم يسؤ لى وكما انني ـ لعمري ـ ما اسات
اننا تربان فى العيش ، تولى وبقيت

— ◆ —

اتــراه ظــــن أنـــي رائد الافــلاك صــرت ؟
وعبــرت الجــو عبــرا والى المريــخ ســرت ؟
فبكـــى مثـــل بكــائـــي عنه ، ايام استفقـــت ؟
حنقـــا ، اذ ظـــن انـــي لســـواه قد عشقـــت ؟
عاتبـــا مثـــل عتـــابـــي مشفقا حيـــن شفقـــت ؟
ربما يحســـب ، ظنـــا انا ــ لا هـــو ــ فقــدت
او تحـــولنـــا الـــى الحـــــال الـــذى منه ضجـــرت
يا تـــرى من فـــر منا ؟ انا ــ منه ــ ما فـــررت
يا ترى من غاب منـــا ؟ اكلانا ، ما ظننـــت ؟
يا تراه ، ايـــن يلقـــى ؟ انني فى الامـــر حـــرت
يا اخـــي ، أين شبابـــي مات ؟ او انـــي متـــت ؟
لست ادري ، لست ادري يا اخي والله لست . . .

الرباط ــ عبد الملك البلغيثي

بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف بفاس

يا ربيعا ملأ العالم بشرى

للشاعر مفدي زكرياء

جلت الذكرى ، فهاجت ذكرياتي   وتعالت ، فتوالت خفقاتي

وزكى العيد ، بارض المعجزات   يلهم الافكار أسرار الحياة

يسكب الفجر بروع الكائنات   يغمر الارض بعلوي السمات

ويشيع النور في حسي وذاتي   فاذا بالعيد يشدو كلماتي

واذا بالشعر يتلو صلواتي

— ◆ —

يا ربيعا ، ملأ العالم بشرى   يا وليدا أودع الأكوان سرا

يا نبيا ، بث فيك الغيب أمرا   فصدعت الغيب ، والافلاك حيرى

وانرت العقل ، والاحلام سكرى   وأزحت الظلم ، والويلات كبرى

وجعلت الامر بين الناس شورى   ليس فيهم ذمم تسبى وتشرى

لا ، ولا قيصر في الأرض وكسرى

— ◆ —

يا رسولا ، بك حطمنا الجهاله   واهتدينا ، فعصفنا الضلاله

واعتمدنا العقل ، نستوحي جلاله   وعرفنا الله ، نستقصي جماله

ورأينا : الرفق بالخالق عداله   وشريف الاصل، من يرعى الأصاله

بك آمنا ، وصدقنا الرساله   فانتصرنا ، مذ تفيأنا ظلاله

وبآل البيت ، خلدنا احتفاله

— ◆ —

يا رسولا ، غمر الارض سلاما — وغزا الظلم ، وما ابقى الظلاما
واقر العدل فينا والنظاما — واشاع الحب فيها والوئاما
فعرفنا ، كيف نحياها قواما — كيف نرعى فى بني العم الذماما
فاحفظ اللهم عرشا يتسامى — وارع فيها مغربا لم يحن هاما
وكريما ، ماجدا، يرعى الكراما

— ◆ —

يا رسول الله ، فى بيتك قمنا — نغمر الذكرى تسابيحا ولحنا
فى حمى سبطك، نسترضيك عنا — انت عن ارزائنا اعلم منا
او يرضيك — رسول الله — انا — بعد عز ، كم خذلنا ، وامتهنا
فقدنا المقدس للارجاس مغنى — او تنسى.. كيف كانوا.. كيف كنا؟!
يا رسول الله ، رحماك اغثنا ...

— ◆ —

سل لنا جدك — يا سبط النبي — « حسن » انت امتداد للأب
لذ به ، يجمع شتات العرب — ويحقق وحدة فى المغرب
انت ، يا من جئتنا بالعجب — فى بلاد ، أرضها من ذهب
ونفوس ، ناصعات الأدب — وطباع فى عداد الشهب
ارض عزي ، ارض امي وابي

الرباط : مفدي زكرياء

الغد المأمول ...

للشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

فى حاضري ابني الغدا   واتخذته لي موعدا
وذكرت ايامي واحـ   ـلامي التى ذهبت سدى
ونفضت آلامي تؤر   قني وضقت بها يدا
ومللتها ومللت كل   حديثها لي والصدى
وغدي وليس الامس كا   ن – كما ارى – لي مولدا
واها لامس مبددا   واها لامس مشردا
ما امس من عمر الزما   ن ولم يدع عندي يدا
لم لم اعش فى عصر اجـ   ـدادي القدامى سرمدا ؟
لم لم اعش فى دار آ   بائي لامطرها ندى
جئت الزمان موليا   هرما وقد بلغ المدى
جئت الحياة ووجهها   امسى كئيبا اسودا
وكامس يومي عشته   عشت الزمان الأنكدا
فاليوم كالامس الحزيـ   ـن ، وعشت فيه مفردا
انا عشت الاثنين الشقى   الساهم المتمردا
لولا الغد المرموق سر   ت كمن يسير الى الردى
لولاه عشت على الاسى   آسف الفؤاد مسهدا
جمع الزمان كان   ن غدا ، وما احلى غدا
للدين ، للاسلام ، سو   ف يجيء ، يقبل ، للهدى
للمجد ، للحلم الكبير   وما اعز وامجدا
للنصر ، للآمال احـ   ـيا فيه ، احيا ، مسعدا
لحياتنا المثلى يجيء   غد ، ويخطر سؤددا
وتكاد تندى ارضنا   منه ، وتنبت عسجدا

وتكاد تورق منه از ... هار الرياض زبرجدا

أعلامنا اتخذت به ... فوق الكواكب منتدى

يعنو له هام الجلا ... ل ، وهام دهري ، سجدا

ونصوغ فيه لديننا ... عقد الفخار منضدا

ويعود فيه المجد ، بالـ ... همم الكبار ، مخلدا

كرم الفد المأمول نحـ ... ياه ، وما احلى الفدا

المسلحون به يطو ... لون السها والفرقدا

وبه ينالون الفخا ... ر طريفه والمتلدا

فيه ، وفي إيراده ... نختال فيه على العدى

لا نرهب الموت العتي ... ولا نخاف به الردي

ونجد فيه نجد أيـ ... ـدينا تصافح أحمدا

وتقول عاد لنا الزما ... ن ، وما أجل وأحمدا

—) ◆ (—

سيجيء للبعث العظيـ ... ـم غد ، ويوقظ هجدا

يمشي سعيدا بيننا ... متوهجا متوقدا

ويروح يغدو في روا ... سينا جليلا سيدا

ويجيء للزحف الكبيـ ... ـر ، وللرجاء ، مؤكدا

ويجيء للأمل النبيل ... وللسلام مؤيدا

ويجيء للعز التليد ... وللبناء موطدا

لفضائل الاسلام للـ ... ـخلق الزكي ممجدا

وثنية العصر الذى ... نحياه يصرعها الردى

ولكل بهتان ومسـ ... ـوآة يجيء مشردا

يبني له القرآن مجدا ... بالقديم مشيدا

وله له عزماتنا ... تبني وترفع أعمدا

هذا سناه وذاك مشـ ... ـرقة يجيء مجددا

هذي رؤاه وذاك مو ... كبه ، يسير ، لقد بدا

كرم الفد المأمول نحـ ... ـياه ، وما أحلى الفدا

وتمد فيه تمد أيـ ... ـدينا تصافح أحمدا

ان قيل من لمآثر الاسـ ... ـلام ؟ قال : محمدا

د. عبد المنعم خفاجي

رحلة إلى القمر

للشاعر سليم الرافعي

بطيء السرى . يخطو الهوينا . كأنما ... يطل على واد رهيب فيحذر !

وجوم يغشي وجهه وهو ساهر ... كأن له قلبا من الحزن يعصر

طوى الاعصر الاولى ثقالا بطيئة ... تؤرقه منها الرؤى حين ينظر

فهل سئم الدنيا : فصولا معادة ... تمثلها الاقدار . لا تتغير ؟

◆

الغفاءة – يا بدر – فى الليل عذبة ... تعاودها ؟ أم فكرة وتحير ؟

احبك فى صمت مهيب تطيله ... كمستعرض ماضيه اسوان يذكر

تطالعني فى كل حين . فاجتلي ... محياك وضاحا عن الحسن يسفر

سميرا وديعا ، لا يمل سكوته ... ولكنه يغري النفوس ويسحر !

وفى الصمت والاطراق للنفس متعة ... وقد يطرق المرء الحكيم المفكر

وكم لسن لا يستساغ حديثه ... وكم صامت فى هاديء الصمت يكبر !

◆

ابا النور : ما يضنيك ؟ والنور قدرة ... ووحي ، واحلام ، ترف وتخطر ؟

وعالمك المسحور اروع عالم ... اما فيه ملهى يستبيك ومنظر ؟

ارقب مجهولا بعيدا مغلقا ... ولهت به ، مما يغوص ويضمر ؟

اتشعر بالدنيا وبالكون والهوى ... أم القلب مشغول بما ليس يشعر ؟

اتعلم انا سائرون وربما ... صعدنا الى واديك بالركب نعبر ؟

◆

افق ! وتطلع ! او تخير مقالة ... وقل ايها الناس اعملوا وتبحروا

وقوموا الى رحب الفضاء فانه ... طريق جميل للبرايا ميسر

مللت سكوتا فيه طال زمانه ... فما انا الا بلقع متحجر !

اريد رجالا خالقين اذا مشوا ... على هامد اضحى يفور ويزخر

اريد نساء فى بيوت واسرة ... وضجة انس فى المدائن تعمر !

اريد دخانا يملأ الجو باللظى ... تقوم به الاعمال حين يسعر

اريد حروبا او سلاما لانني ... اريد حياة . فالحياة تفجر ...

ومن عجب ان يحسبوني حالما ... وان يحلموا بي فى الهوى او يعبروا

◆

فيا من له عقل : تقدم ولا تنم ... مباركة تلك الخطى حين تحضر

تقدم ! تقدم ! فالكواكب بالضنى ... وباليأس تذوي والسكون مدمر

اقيموا علينا – ايها الناس – عالما ... فعالمكم اشهى واهدى واكبر !

◆

فما هي الا ان تقدم ركبنا ... على ذات الواح ضخام تزمجر

واذن ربان بنا وهو يعتلي ... ذرى سحب دكناء والعزم يهدر

علوتم الى الله القدير فلحظة ... من الصمت . ان الصمت روح ومهجر

ويا اخوة فى الحق هذا مقامكم ... مع الملأ الاعلى كراما . فابشروا

◆

نظرنا الى الدنيا . فقلنا تعجبا ... انت هي الدنيا ؟ فمثلك يعذر ..

نبارحها طيفا ضئيلا وهالة ... من الضوء وسنى او تهاويل تنثر

لقد صرت يا دنيا قديما من البنى ... يعفي عليه الدهر . والدهر اقدر

◆

وصاح بنا الربان : يا قوم ارضكم ... على القمر المنشود .. فالجهد مثمر !

ولما تنادينا به . قال قائل ... أفي الصحو هذا ؟ ام من الحلم منظر ؟

سراديب فى المجهول تمتد والثرى ... مع اليأس يغفو . والذرى تتنكر

لقد هجرته الناس فاغبر لونه ... كذاك العظيم المرتجى حين يهجر !

◆

دعـوه وحيـــدا . واحملـــوا منـــه كومـــة
ففيهـــا دلــــيـــل للحقيـــقـــة نـــيـــر

وعـــودا اليهـــا انـهـــا الارض امـــنـــا
كمـا عـــاد اطفـــال بشـــيء فأخبـــروا

وقولـــوا لاهليهـــا : سـعدتـــم على المـــدى
بماء جـــرى في الارض والعـــود اخضـــر !

طرابلس ـ لبنان : سليم الرافعي



للشاعر المدني الحمراوي

يا «رباط الفتح» حياك الرضى … من فؤاد بهواك انتفضا

يا خرود البحر ، يا بنت العلى … بسناها مربع العز اضا

اي مجد لك فى تاريخنا … مهجة صان ، ووجها بيضا !

يد «يعقوب» اجادت نظمه … لك عقدا لؤلؤيا اومضا

حلية جيدك منها ساطع … وبها قلب حمانا نبضا

تتملى فى مراياك الالى … يهم المغرب ـ قدما ـ نهضا

عكف النصر على راياتهم … وحماها ورعاها وارتضى

ومع العز مشوا فى دربه … فلهم فى نهجه ما فرضا

لهم الجيش على هام العلى … رفع الراية لما ركضا

فمشى بالنور يمحو ظلمة … وجد الاشراك فيها غرضا

يد العدل تقصى اربعا … فزوى عنها شقاء ونضا

كشف الغمة عنها ، وشفى … فى نفوس لبنيها مرضا

وبنور الوحي احيا امة … وبه الجهل محا فانقرضا

اي عهد كانت الدنيا به … روضة فيها حمانا ربضا !

من جنان الخلد وافى حسنها … ليت ذاك الحسن ما كان انقضى

فى جبين الدهر يحكي غرة … وعلى الارض سلاما ورضى

كلما خالج فكري ذكره … شب فى مهجتي جمر الغضا

— * —

يا رباط الفتح حدث مهجتي ... عن فخار فيك يهوى مربضا
فلكم آويت قدما ركبه ... كلما خيم دهرا قوضا
ولكم ودعت من اجياله ... موكبا ناداه مبعوث القضا
ثم رحبت بجيل قادم ... كان ممن ودعوك العوضا
يسبح الخاطر في امواجه ... كلما ذكر المعالي عرضا
فيرى « يعقوب » في اسطوله ... يغمر البحر به اذ خضخضا
ويد النصر تحيي راية ... بيد العز عليها قبضا
وهلال الدين يبدو عاليا ... عنه غيم الشرك ولى معرضا
ثم لاح البدر من عليائه ... كل افق بالسنا قد فضضا
فبكى الليس في اغلاله ... ناعيا دولته ممتعضا
صولة التوحيد اردت حزبه ... ثم هدت صرحه فانتفضا
يومنا في « الارك » يوم خالد ... ظل في جو العلى معترضا
من «رباط الفتح » زفته المنى ... وبه ركب المعالي اوفضا
لم يزل « حسان » يعلي رمزه ... هيكلا فيه يجلي معرضا
و « ابو رقراق » يشدو لحنه ... وعلى ذكرى جهاد حرضا
والصدى في الشط يحكي صخبا ... فيه جيش الفتح قدما فضفضا
هاهنا مجد قديم صارخ ... حث اجيالا لنا واستنهضا
قد قهرنا بمزايا روحه ... سيف بغي كان فينا منتضى
فالتقى الحاضر بالماضي ولم ... يكذب التاريخ فيما قرضا
مدد من مجدنا مسترسل ... لم يزل مستنفرا مستوفضا
قد حفظنا عهده في دمنا ... هكذا موثقه لن ينقضا
روحنا نحيا بها تسمو بها ... وسلاح به نردي مبغضا
بشعار الحق والدين له ... صولة ساءت عدوا مفرضا
ديننا ، قرآننا ، آدابنا ... اسس العز الذى لن يدحضا
وينابيع حياة ، نبعها ... ما تغشاه الهوى أو غيضا
هي في نهج المعالي عصمة ... سددتنا ، ووقتنا مدحضا
طالما كان الحمى في سيفها ... متنه ، بل حده والمقبضا

— * —

يا « رباط الفتح » يارأس العلى ... ومطاها ، والحشا ، والمابضا
يا مهب النصر في هذي الربى ... كم بعطر الفتح عطرت الفضا

مطلع الامجاد تجلو سره — منك عين جفنها لن يغمضا
انت اقرضت بياني سحره — فانا فيك احيي مقرضا
وفؤادي فيك الفى صفوه — وقريضي فيك لاقى منهضا
لشبابي كنت مرآة ، وها — لمشيبي لم تزل مستروضا
لك حبي كله يا موطنا — جوهرا أحسبه لا عرضا
قد تمليت الصبا في ظله — ورعى حق فؤادي وقضى
فاذا غنى به شعري فقد — انطق المجد لساني واقتضى
ودعا فضله شعري مغريا — فقضى واجبه المفترضا
مربع في ارض قومي لم يزل — مهجة فيها ، ووجها ابيضا
توج الفتح واعلى راسه — كلما سيم صغارا رفضا
وعرين الملك في احضانه — لا كفخر العرش فخر يرتضى
فليصنك الله يا ربع المنى — وافر العز وموفور الرضى
لك من خالص حبي صبوة — وولاء ، حقه لن يرفضا

الرباط ـ المدني الحمراوي



5 يونيو 1972

عيد استقلال الجزائر الشقيقة

للشاعر محمد محمد العلمي

حي (الجزائر موئل الابطـــال ... واهتف بها في عيد الاستقلال

وادر كؤوس الراح في عرصاتها، ... اكرم بها من جنة وظـــلال !

فالشعر فيها بالروائع مدنــف ... يشدو باقوى همة ونضال

والوحي منها يستقـــى عنوانـــه ... ويروق عند براعـــة استهـــلال

فارى المعاني في ازدحام قد أتت ... تختال فوق يراعـي السيـــال

لو كنت احترف الفناء لكنت في ... نجوى (الجزائر) مدمنا موالـي

اذ تلك أوطاني وتلك عشيرتـــي ... والحب ملء مشاعري وخيالـي

كان الفداء بها يــروي ارضهـــا ... بدمـــاء مليـــون من الاقيـــال !

قد ظن الاستعمـــار فيها خلـــده ... والمكـــر داب الفـــادر المحتـــال

شهداؤها الابرار ماذهبوا سدى، ... بل حرروا الاوطان باستعجـــال

فاذا الخمائل ازهـرت وتمايلت ... بثمارهـــا وعطائـــهـــا المتـــوالي

واذا البلاد تحررت من قيدهـــا ... لتعيش في الشرف الكريم العالي

ان الجـــراح تضاءلـــت آلامهـــا ... لتجود بالبسمـــات والآمـــال

والظلم مخذول ، والاستعمار قد ... ولى ، ليندب لعنـــة الأنـــذال

نشر المساويء ، غير انا هاهنـــا ... نسعى بنهج تحـــرر وكمـــال

مسخ الحقائق ، غير ان لنا هنا ... قيمـــا تلازمنـــا بغيـــر فصـــال

لا خيب الله المساعي فهـــي قد ... صدقت لدى الاقوال والاعمـــال

والشعب ان شاء الحياة فانـــه ... اهل لها في مصـــرع الاهـــوال

ان الكرامة والسيادة دابنا   فلقد غدونا مضرب الامثال
تلك العروبة امنا ، فى حضنها   عشنا ، لارفع غاية ومثال
والمغرب العربي شدنا صرحه   فى وحدة الأرحام والاوصال
لا حد يفصلنا ، فنحن عشيرة   تبني الوئام بأحسن الافعال
صحراؤنا سلمت فليس يصيبها   شيء من الابدال والاعلال
خسىءالدخيل، فنحن نرفض ظله   اذ لا مكان هنا للاستغلال
مهما يطل ليل ، فان صباحه   آت بالاطمئنان والاقبال
ما ضاع حق من ورائه طالب   بشريه بالاعمار والأموال
حرية الشعب الكريم حياته ،   فهي المرام ، وعبرة الأجيال
و (المغرب الاقصى) يعانق صنوه   بحرارة ، فى نخوة وجلال
ويبارك الأمل الرحيب بأفقه   ليعيش فى امن واحسن حال
وبـ(تونس الخضراء) عيد مشرق   نحياه فى الدنيا بأهنأ بال
اكرم بعقد فى الاخاء منضد   فيه يواقيت زهت ولآلي
فاسأل عن التاريخ ، تعلم أننا   اسد غضاب فى مرير نزال
سدنا بماضينا لنحيا حاضرا   غضا ، ونكسر شوكة الاغلال
فهناك (عبد القادر) الشهم الذى   فتح البصائر للمقام العالي
ولنحن لاننسى (ابن باديس) الذي   صان البلاد بهديه المتوالي
(جمعية العلماء) فى حلقاتها   كم انجبت من فتية ورجال
ولكم انارت من ربوع بالهدى،   ولكم محت من فتنة وضلال ،
قد رام الاستعمار طمس ضيائها   لكنه اكدى فى الاضمحلال !
وهنا بمغربنا العزيز قريحة   خلاقة فى عزمة الاشبال
ف (الخامس) الحر الكريم لقد غدا   لملاحم الابطال خير مثال
سكن القلوب ، فلم يزل خفقانها   يرعى الجميل لسيد الأبطال
لا ! لم يغب عنا ، فشمس وجوده   قد اشرقت فينا بوجه هلال
فالعاهل (الحسن المثنى) نجله   حمل الأمانة جمة الاثقال
ومضى بأمته ينور خطوها   فهو الذى بالصعب ليس يبالي
هذي عنايته تعم بلاده ،   لا فرق بين جنوبها وشمال
ويرى العروبة، فى شريعة احمد،   اسمى شعار فى اعز منال
و (الاطلس) الجبار يجمل شوقه   لمفاتن (الأوراس) خير مجال
افريقيا تسعى لاحسن وحدة   فنجيرها من حماة الاهمال

في كل شبر ثورة تسعى الى … تحريرها في اقصر الآجال
(هيلتون) الف قمة مشهودة … محمودة التفصيل والاجمال
قد كان مؤتمرا عظيما واعيا … وموفقا في النهج والاشغال
فبالاتحاد وبالتضامن اننا … نلنا المنى ، ومفاتح الاقفال
من روح افريقيا ، ومن خطواتها … نحو التصالح روعة الارسال
قد ضاق عنها ثوبها فتحركت … لتزيل عنها ذلة الاسمال
والمارد الجبار حطم قمقما … واصاب الاستعمار بالزلزال !
حسن الشمائل في الرئاسة نابغ … قد كان في التوجيه نبع زلال
حذق الجواب بندوة صحفية ، … عن كل تمحيص وكل سؤال
(مليون دولار) يجود بها ، لكي … نسعى الى التحرير باسترسال !
وهنالك (الخضراء) ينضح وجهها … بالنور ، وهي غنية بالآل
و(حبيبنا) فيها زعيم ملهم … يبني نماء بلاده ويوالي
سل عنه في (هلتون) ضمن خطابه … فلقد سما في فكره الجوال !
ولقد اتى بالبينات ، وحسبه … فخرا بهمة شخصه المفضال :
عمق، وايمان، ونضج في الحجى، … واصالة في الجد والاجلال !

— * —

هذي (فلسطين) السليبة تشتكي … اذ ظلم (اسرائيل) شر وبال
و (المسجد الاقصى) تضرج كله … في العار، والتحريق، والأوحال
وضمير هذا الكون عما قد جرى … بالقدس ليس بغافل او سالي
واللاجئون تعذبوا بخيامهم … وتشردوا ، فالربع منهم خال
لهفي على الظلم المرير ينالهم ، … والحق ضاع ، فما لهم من وال !
من لي بـ(معتصم)؟ ومن لي هاهنا … بهدى (صلاح الدين) يصلح حالي؟!
ان يستقم منا السلوك، فحقنا … ومناله بالجهد غير محال

— * —

انا بوحدتنا تكون اسرة … موصولة في السعي والمنوال
لم نلتفت للقائلين بفرقة … في زحمة الالوان والاشكال
لا يترك الاجماع الا حانق … متخاذل في نقمة وخبال
نبقى على العهد الوطيد، وخصمنا … ماض لأسوأ غاية وزوال
لن يطفئوا النور اليقين ، لانه … شتان بين الصرح والاطلال !

بل نحن نمضي للأمـام بصفنـا ... ونخوض لج الهول في استبسال

حسن الجوار ، به نعز ونرتقي ، ... فتـزول عنـا ظلمـة الاشكـال

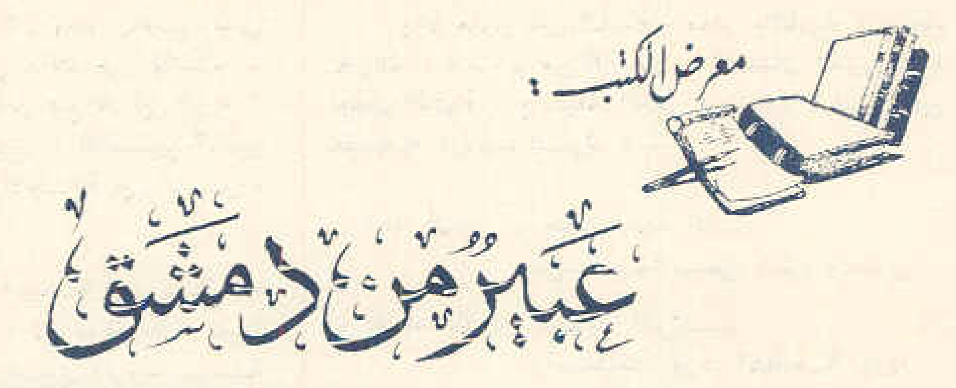
وجميعنا جهد ، وقلب مؤمـن ... بوصيــة الابــاء للانجــال

ويمينا أمست تصافح اختهـا ، ... والحب اقدس مكسب وجمـال

في العيد هات الكاس شهداء واسقني ... من كوثر عذب المـذاق حـلال

ان ((الجزائـر)) نغمـة عربيـة ... نشدو بها في عيد الاستقلال !

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي



عبير من دمشق

ديوان شعر . مردم بك

دراسة ونقديم :
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

– 1 –

لكأننا ، ونحن نطالع ديوان « عبير من دمشق » للشاعر السوري الكبير عدنان مردم بك ، ننصت الى همس ابي عبادة البحتري وغنائه في شعره الرقيع الساحر ، الذي يقول فيه شاعرنا عدنان مردم :

شعره السحر ، معجز اغرابه
وجديد على الزمان شبابه

شاعر ، للجمال كل اغانيه ، وللمجد سعيه وذهابه

وليس ذلك بعجيب ، فان نسيج الشاعرين واحد ، نسج الحرير وحنانه وجماله ، وموسيقاهما تكاد تتشابه ، موسيقى الروح ، موسيقى الموهبة الهادئة الرقاقة ، المهومة في آفاق السحر والابداع والجمال .

و « عبير من دمشق » احدث دواوين هذا الشاعر العربي، فقد صدر بعد أخوات له : « نجوى » 1956 ، و « صفحة ذكرى » 1961 وبعد صدور « غادة أفاميا » 1967 ، و « العباسة » 1968 ، والملكة زنوبيا 1969 ، وهي مسرحيات شعرية مأثورة صدرت له .

وفي الديوان من العبير أرجه وشذاه ونفحه وعطره ، وفيه من دمشق الهامها وايحاؤها وصداها وسناها ، يتمثل فيه تراب الوطن ومعالمه ، فهنا ازقة دمشق القديمة ، وهناك الغوطة في الربيع ، وربوة دمشق ، والخريف في دمشق ، وهناك هناك : سفح دمر ، وتدمر في التاريخ ، وشارع النصر .. كما يتمثل فيه ابو عبادة البحتري ، وابو فراس الحمداني ، ووقائع نور الدين زنكي ، وبطولات يوم حطين .. وسوى ذلك من ملامح دمشق الفيحاء ومعالمها وتاريخها وبطولاتها ، ومن انتصاراتها الخالدة ، وذكريات مجدها القديم ..

دمشق الملهمة ، الساحرة ، التي انطقت أعظم شعراء العربية بارفع الآيات، واخلد الحكم ، فرايناها مرسومة الشخصية في شعر ابي تمام والبحتري وديك الجن والواواء والمتنبي وابي فراس والمعري وغيرهم من شعرائنا الخالدين .

فلا عجب اذن ان تكون الملهمة لشاعر « عبير من دمشق » ، والموحية له بملاحم رفيعة من الشعر العربي الجليل ، وهي هي وطن العروبة والاسلام على امتداد التاريخ ، وعلى الرغم من كل ما صنعه ويصنعه الشعوبيون ..

وعدنان مردم صاحب اصالة وطلاقة فنية عجيبة ، وصاحب مواهب طريفة وتليدة في الشعر ، وهو من بيت عريق في الشاعرية ، غني بمواهب

الفكر والادب والشعر ، كما كان بيت زهير فى الجاهلية ، وحسان وكعب بن مالك فى الاسلام ، على سبيل المثال .. وقد اهدى ديوانه الى ابويه : خليل مردم ، وزهراء الحمزاوي ، الانسانين اللذين وهباه حب الجمال وتذوقه والاجادة فى تصويره وتصويره .

والكلاسيكية الاصيلة واضحة فى قصائده الشعرية ، وفى جميع صوره ، اما موضوعاته ففيها الموضوعات الكلاسيكية والاخرى الرومانسية الطريفة ، واما معانيه فصدى لثقافة واسعة عميقة .

— 2 —

والشاعر يؤمن بالعاطفة والشعور ، ويجحد العقل والمنطق ، يقول فى قصيدته « أبو عبادة البحتري » يكذب العقل ، وينفي ان يكون طريقا الى الحقيقة :

كذب العقل رائدا ودليلا
في طريق للشك ماجت قبابه

منطق العقل مجدب وشحيح
ليس يروي الظماء يوما شرابه

ظلمات كتابه ، وشكوك
اين للشك ان يبين كتابه ؟

ويقول فى قصيدته « فى حلبة المتصوفة » يصور منطقهم من الايمان بالهام ، واتخاذه طريقا الى الحقيقة والمعرفة :

بلغوا الحقيقة بالشعور ، ولم يروا
فى العقل ثم معارفا تتحقق

اوليس نور الله يبصره الفتى
بشعوره والليل داج مطبق ؟

تعمى العقول عن الصواب ودونها
شمس بالسنة الحقيقة تنطق

وفى قصيدته « كل حقيقة سراب » ينزع نحو فلسفة ذاتية ، يعبر فيها عن رايه في الحياة والناس .

وهو مقبل على الحياة ، معتز بالتاريخ ، ممجد للتراث ، متشائم من الانسان ، الانسان الذى يشوه جمال الحياة ، وحقيقة الخير فيها ، فيقول من قصيدته « لاعب السرك » :

تجد الناس ـ حيثما وجد النا
س ـ قطيعا يسعى لسوء ويحدى

نعمت بالاذى قلوب البرايا
واستطابت ورد القطيعة وردا

اجد الصخر كان الين قلبا
من بني الناس ، والسوائم اهدى

رب صخر تفجر الماء منه
فشفى لاعجا واطفأ وجدا

ومرد الاحقاد والسوء قلب
لم يكن دهره عن السوء يهدا

عالم الشر عالم ما تعدى
هذه الارض او تجاوز حدا

وهنا نجد تشاؤم المعري ، وصياغة البحتري واضحين كل الوضوح ، ونجد الجانب الفلسفي فى « عبير من دمشق » قويا واضحا رفيعا .

— 3 —

والديوان غني بروائع الخيال والصور الفنية الجليلة ، وبأتلد واخلد واجمل ما فى العربية من مثل للأداء والتصوير والتعبير ..

يحتوي على ثمان واربعين قصيدة ، قد يسوغ لنا ان نقول : انها تثرى الشعر الحديث ، وتكسبه مجدا كبيرا ، وتلبسه حللا جميلة من زهو الشاعرية ، ورونق عموديتها الاصيلة المتمردة المعبرة عن كل حقائق الحياة ، ومشاعر الشاعر .

جزالة الالفاظ والاساليب ، وشرف ما تضمنته من روائع المعاني ، واوابد الحكم ، وبدائع الخيال والصور ، وجميل التشبيهات والاستعارات والمجازات والكنايات ، كل ذلك سمة اصيلة للديوان والشاعر .

والقصائد الثماني والاربعون فى جملتها من بحر الكامل ، ومنها قصيدتان من مجزوئه ، وقصيدة

واحدة من مجزوء الرجز ، واخرى من المتضارب ، وثمان قصائد من بحر الخفيف ، وثلاث من الرمـــل ، اما الكامل التام فمنه ثلاث وثلاثـون قصيـــدة فـي الديوان ، وهذه الاوزان استخدمها الشـاعر استخداما موسيقيا ماهرا ، فى اجادة تامة للعزف ، وابداع فى صناعة اللحن ، وصياغة النغم ، والعبرة فى الامر هي اصالة الشاعر ، وان كان شعراء العاطفة والحب يفضلون اوزانا خاصة ، وشعـراء المآثـر والمفاخـر والتاريخ يفضلون اوزانا غيرها ، ولكن الشاعر هنا فى اختياره لاوزانه يعبر عن ذوق كلاسيكي رفيع فى الغناء والعزف والشعر ، وتحاول اداته الطيعـــة فى الشعر ، ان تطوع كل نغم لخيال الشاعـر وفكـره وشاعريته .

– 4 –

ويحتوي « عبير من دمشــق » على ابـواب رئيسية :

فالباب الاول ، وهو « من كنوز بلادي » يحتوي على احدى عشرة قصيدة ، من ارفعها : الحرية – الخريف فى دمشق – شارع النصر – ازقة دمشق القديمة .

ومنه قصائده : الفوطة فى الربيع – سفـح دمـر – قلعة الحصن – الوطن – تراب الوطن .

والباب الثاني ، وهو وصف الطبيعة ، يحتوي على ثمان قصائد ، من اجملها : جبال لبنان – خريف – اوراق الخريف .

ومنه : البرق – شقائق النعمـان – سنابـل القمح – الصفصافة العارية – الناعورة .

والثالث ، وهو المعذبون فى الارض ، يحتـوي على سبع قصائد ، من ابدعهـا قصيدتـاه : بائـع العرقسوس ، الحطاب .

ومنه : شواء الذرة – صانع الزجاج – الحائك – الخزاف – الحمال .

والرابع : وهو صور فنية ، يشتمل على سبع قصائد ايضا ، من امتعها : لاعب السيرك ، راقصة الباليه ، الاشباح التى تعد ذات مضمون رمزي

ومنه : ندوة القصاص – العازف العجـوز – غجرية – المولوي .

والخامس : وهو تأملات ، يحتوي على اربـع قصائد ، من اجملها ، فى حلبة المتصوفة ، فى كل بيت مأساة .

ومن قصائده : عالم الحق – كل حقيقة سراب

والسادس : وهو صفحات من التاريخ ، يحتوي على عشر قصائد ، من اجلها : دمعة على القـمر – غرناطة – الثغور السليبة – الشهيد – ابو فراس – ابو عبادة .

ومن قصائده : اندلس الشرق – يوم حطين – وقائع نور الدين زنكي – التاريخ

والواقعية فى موضوعات الشاعر واضحـة ، وتمثل هذه الموضوعات الجـانب القومـي للعـرب والمسلمين تمثيلا كاملا واضحا . .

والديوان مصدر بقصيدة كلاسيكيـة بليغـــة بعنوان « اللـه » ، وفيها تأمل كثير ، وفكر عميق ، وحجج منطقية دقيقة .

– 5 –

وقصائد الديوان تمتد ، فتحتـــوي فترة مـــن حياة الشاعر الفنية الخصبة ، هي الفترة ما بيـن عامي 1960 ، 1969 .

وفى الديوان قصيدة واحدة من نظمـه عـام 1969 ، هي « دمعة على القمر » ، وست من نظمه عام 1968 هي : شارع النصر – اوراق الخريف – المولوي – راقصة الباليه – فى حلبة المتصوفة – التاريخ .

وباقي قصائد الديوان من وحي عام 1960 حتى عام 1967 .

والديوان حافل بالشعر الوطني والقومي ، ومنه قصائده : الوطن – تراب الوطـن – الحريـة – الشهيد – اندلس الشرق (فلسطين) – الثغــور السليبة .

وفيه من الشعر الرمزي قصيدتاه : فى كـل بيت مأساة – الاشباح .

وهو على الجملة من اوابد الشعر وخوالده ، وصوره الجميلة تمضي بين بلاغة الاداء ، وجلال الخيال وشموخه ، وسحر التصوير وابداعه .

– 6 –

والشاعر في ديوانه عميق النظر في الطبيعة والحياة والتاريخ والاشياء والمجتمع .. وتكاد تلتهم عينه الناظرة كل ما تصف التهاما شديدا ، لتخرج منه صورا لطيفة، ومن ثم ابدع الشاعر في وصف كل المحسوسات المرئية .

فهذه صور فريدة وسمتها ريشة شاعر ملهم ، يقول الشاعر من قصيدته « ربوة دمشق » :

همس النسيم وسجعة النهر
رجع الصدى لقوافل الدهر

دون الربى وبكل منحدر
لروائع فيض من الشعر

وعلى الثرى عبر وموعظة
عن غابر لوقائع تكر

والحسن اسفر غير منتقب
برياضها ، واطل كالبدر

والسحر لا يحصى بفوطتها
ويضيق عنه الشعر من حصر

ماست قيان الدوح من عجب
مزهوة بمطارق خضر

وازينت بجواهر نظمت
للنور دون الجيد والنحر

سطعت غلائلها بمؤتلق
من يانع كالانجم الزهر

الصورة بصرية ، فيها من الجمال سحره ، ومن الطبيعة مرحها ، ومن المحسات كل فتنتها ، ويكاد الشاعر يمثل ذا الرمة وابن المعتز ، وابن خفاجة في شاعريته وخياله وتشبيهاته البصرية ، وفي هيامه بالطبيعة واوصافها في شعره ..

ويستمر الشاعر في القصيدة نفسها فيقول :

واوابد للصخر قد نشرت
في الافق أجنحة من الصخر

عطفت على الوادي تحف به
كالام في رفق وفي بشر

شابت ذؤابتها وما وهنت
قدم على الاحداث من ذعر

قامت على الايام شامخة
بمعاطس كالنجم من كبر

ما عابها عري تحيفها
او غض من شان ومن قدر

عري الحقائق زاد هيبتها
في السمع والعينين والصدر

والسيف ما لم تعر شفرتيه
عبء ، ولا يغنيك في امر

فنجد ارفع الصور الحسية ، واجمل الخيال المفرق في النظر في الاشياء .

وفي المعنى الاخير ، الذي تضمنه آخر بيت منها ، يقول الشاعر من قصيدته « سنابل القمح » :

عريانة لم تحتجب عن ناظر
والليل عريان يضل ويوبق

ويصور « قلعة الحصن » ، فيقول :

حصن اعارته المنية عينها
ومن الغرائب لم تحط بجفون

وفي مطلع قصيدته « الخريف في دمشق » يقول :

مقل الخريف على الثرى تجري
بدموع ثاكلة على قبر

ويقول فيها :

والماء يضرب في مساربه
متعثرا حيران لا يدري

والغيم ارخى من غلائله
طررا على الكثبان والقفر

ويقول كذلك في القصيدة نفسها متحدثا عن دمشق :

عقد الغمام على مفارقها
تاجين من شرف ومن فخر

عصفت بها الاحداث من قدم
حسدا لها بحوادث نكر

لم يطفها ترف وما وهنت
قدم لها يوما على عسر

يا لله .. هذا هو الشعر والخيال وروائع الصور المبصرة حقا ، التي البسها الشاعر طيالس من عبقريته او شاعريته .

وفي قصيدته « شقائق النعمان » يقول متحدثا عن انسان مولع بهذا الزهر الجميل :

واغد يسرع والظلام ملاءة
نشرت بغير يد على الغبراء

وملاءة الظلام هنا شبيهة بملاءة الفجر في شعر ذي الرمة ، وهي اثر لخيال شارد ملهم .

وروائع صور الشاعر في قصيدته « بائع العرقسوس » كذلك تغني عن التحليل ، يقول في وصف طاسات بائع العرقسوس :

سلبت شعاع الشمس ريقه
وبهاءه بأشعة صفر

وتجلببت بالنور أذرعة
شفافة كالكوكب الدري

او انها بيمينه اكر
وضاءة من مشعل الفجر

جرع يدار بها مشعشعة
كوميض برق في دجى يسري

تشفي جوى ولظى مؤججة
بالري آونة وبالعطر

ويقول في وصف الحطاب :

أهوى على الجذع العتيق بفأسه
حنقا كاعصار بجنح ظلام

ويقول في لاعب السرك :

لم يرعه الردى وقد نشر الرعـ
ـب حبالا على الفضاء ومدا

صور خلابة مشرقة لا نعثر عليها الا عند الاصلاء من الشعراء ، ولا نكاد نجدها عند احد من الشعراء المعاصرين . ولعل بيئة الشاعر دمشق ، وجمالها النادر كان من بين العوامل التي صنعته على اجادة الوصف والتصوير . ومن هذا الجانب الحسي البصري استمد شاعرنا قاموسه الشعري الجميل ، وهو يغني بالشعر والسحر والجمال ..

— 7 —

ولا اعدد قصائده الجياد في هذا الديوان ، فاكثرها جيد نادر ..

ازقة دمشق ، خريف ، ربوة دمشق ، جبال لبنان ، لاعب السيرك ، بائع العرقوس ، راقصة الباليه ، دمعة على القمر ، غرناطة .. الخ .

ويكاد الشاعر يصور نفسه فيما وصف به البحتري حيث يقول :

شاعر الجمال كل اغانيـ
ـه ، وللمجد سعيه وذهابه

فهو ينشد الجمال في الحق والخير والحرية والفداء والبطولة والنضال ، وفي الحياة والمجتمع والطبيعة والكون والوجود والله ..

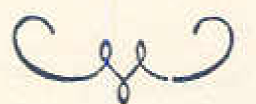
وهو يرسم الصور الانيقة الجميلة التي تعبر عن هذا الجمال الذي امتلأت به نفسه وروحه حتى ليقول :

صور سمحة الخيال تعرت
دون افق بالنور ماج رحابه

والديوان بعد هذا غني بالحكمة الشاردة ، والمثل النافر وبالقياس والتنظير والتشبيه الضمني ، وحسن التعليل .. مما لا نعثر عليه كثيرا في دواوين الشعراء المعاصرين . ويكاد يكون الشاعر في تشاؤمه وحيرته متأثر بأبي العلاء الى حد كبير .

وما كان أحوجني الى الوقوف امام قصيدة نادرة طويلة ، مثل « لاعب السيرك » ، او « بائع العرقسوس » ، لنحللها ، ونتملى جمالها وبلاغتها ، ولكن لا ضير ، فلذلك موضع آخر من الدراسة والنقد .

القاهرة : محمد عبد المنعم خفاجي



قصة العدد

حكاية من شاطئ الغيب

كأنما يصعد في السماء ...

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

هل للموت طعم ؟

طعم او رائحة يجدها الواحد تحت لسانه او في خياشمه حين يصبح منه قاب قوسين ؟

يجده الجند تحت ألسنتهم وهم في الخنادق على جبهات القتال ينتظرون الامر بالهجوم .

وتعبق به خياشم وافواه المحكوم عليهم بالاعدام قبيل ساعة التنفيذ ، في غبش الفجر ، دون ان يكون لهم علم سابق بميعادهم مع الموت ..

القتلة والجلادون ، كذلك ، يذوقونه على رؤوس ألسنتهم وهم يتربصون لضحاياهم ، أو يعدون لهم المذابح ..

كانت تلك الرائحة هي الخيط الوحيد الذى ربط بين عبد الجليل وعالم الوعي .. افاق في جوف تلك الليلة الميتة بعقل مشلول ، وذاكرة فارغة كصفحة بيضاء ..

وفتح عينيه في ظلام حالك كثيف تكاد اليد تلمسه .. واستيقظت أحاسيسه على صمت متصلب تكاد تدق عليه المطارق..

وخاف خوفا شديدا ..

ليس من الظلام والصمت ، بل من نفسه من وجوده .. او على الاصح من جهله بذلك الوجود .. كان قد اصيب بحالة « امنيزيا » فقدان ذاكرة كلي .. لم يعرف من هو ، ما هو ، ولا أين هو ..

كلما كان يحسه في عالم وعيه المادي البسيط المحدود انه كتلة حيةتتنفس داخل فراغ صامت مظلم .. كان عبارة عن عينين تتحركان في محجرين داخل بحر صامت من السواد في مكان ما من نهر الزمن ..

ذلك ما اخافه ..

وبالفعل كان كتلة ضخمة مكتنزة لحما وشحما كأنها كرة هائلة من الزبد الابيض لا يصدق من ينظر اليها وهي تتبختر في جلبابها الابيض الانيق أنها تنطوي على كل ذلك الشر والاجرام ..

تلك الرائحة كانت اول واصل له بعالم الوعي وذلك الطعم الغريب الذي وجده تحت لسانه رمى به الى نقطة في سجل حياته العامرة بالرعونة والانانية والطغيان .

ومر بذاكرته شريط حي اعقبته الاحداث التى ادت الى أول مرة ذاق فيها ذلك الطعم وهو شاب في عنفوانه ، منذ خمس وثلاثين سنة .

راى نفسه جالسا في مؤخرة سيارته «رولزرويس» ممسكا بيد حبيبته «ماري»، الحسناء الاوربية يخترقان شوارع العاصمة المضاءة ، بمناسبة أعياد الميلاد وراس السنة ، وكأنها تاج عملاق مرصع بالماس ..

سيارته هي الاخرى كانت حجرا كريما بين سيارات العاصمة .. كانت فضية اللون ، حديثة

الصنع لا توجد مثلها الا عند سفراء بعض الدول الغنية .. لذلك كانت الاعناق تشرئب حولها من فوق الارصفة لتنظر الى راكبها المحظوظ ..

ومر الشريط ..

ورأى نفسه يدخل قاعة الحفلات على سطح فندق « الكلاريدج » تسبقه « ماري » تطوقها العيون والابتسامات .. كانت القاعة تحفة تتألق فيها الاضواء الملونة وباقات الزهور والشموع على الموائد.

وقاده رئيس النذل في حلته الفخمة بين الموائد التى كان يقف بعض اصحابها لتحيته .

كان يومها نجما طالعا من نجوم المجتمع الاوربي لثروته التى كانت تضعه فى مصاف اغنى عشرين رجلا هناك ..

وجلس الاثنان الى مائدة تطل على شارع المدينة الرئيسي حيث سيتجمع الناس حين يقترب منتصف الليل للاحتفال بمولد السنة الجديدة ..

ونظر الى «ماري» ..

كانت السعادة ترتسم على وجهها الشاب وتشع حواليها .. كانت فى التاسعة عشرة من عمرها جميلة كالملاك ، انيقة الحركة واللباس ، يلتف جسمها النحيل فى فستان طويل من الساتان الفضي اللماع اظهر مفاتنها جميعا .. وقصت شعرها على طريقة راقصات « الشارلستون » بحيث تركت منه خواتم سوداء ناعمة على جبينها الابيض العاجي وصدغيها ..

ومد يديه فوق المائدة فمدت هي الاخرى يديها الرخيصتين الصغيرتين فاحتوتهما يداه الكبيرتان فى لطف كما تمسكان بطائر صغير ..

ونظر الى عينيها الزرقاوين الواسعتين بافتتان فتفادت عينيه محاولة البحث عن موضوع للكلام ، قالت :

ـ سقف الكلاريدج يكاد يهوى !

ـ ماذا تعنين ؟. الكلاريدج من امتن مباني العاصمة واحدثها ..

ـ ليس ذلك السقوط الذى اعني يا عزيزي ! قلت يكاد يهوى تحت ثقل وزن الشخصيات التى تملأ القاعة الآن ..

وضحك هو .. قائلا :

ـ لا يجرؤ على المجيء الى هنا الا كل ذي رتبة او لقب أو جاه ..

ـ قرأت فى الجرائد ان الكلاريدج رفض احد الاثرياء الامريكان لانه كان غنيا حربيا لا يتقن البروتوكول ..

ونظرت اليه فى حلته الزرقاء الداكنة وعلى صدره قرنفلة بيضاء ، وقد فرق شعره فى الوسط كما كانت موضة الساعة بين الشباب فابتسمت موافقة راضية ..

لم يكن حينئذ بالسمنة المفرطة التى اصبح عليها الآن رغم ميله الطبيعي اليها .. ولا يمكن انكار ما تشع به شخصيته من قوة ومهابة فقد تربى فى احضان السطوة والحكم فى مشيخة احدى القبائل .. ولكن رغم خلفيته البدوية فقد كان ذكيا للغاية يتقن عدة لغات ويحس فى اوربا انه فى بلاده اكثر من احساسه حين يعود الى المغرب .

كانت أوروبا حينئذ راضية عن نفسها ترفل فى موجة الترف المفاجيء الذي عمها فى سنوات ما بين الحربين العالميتين غير شاعرة بما يكنه لها الزمان من مفاجآت واحداث ..

وكان عبد الجليل زائرا دائما لاوروبا لاحساسه بالانتماء الثقافي والروحي لذلك المجتمع الحي النظيف ، الواعي المهذب ..

ولم يكن يملك ان يقارن بين البلدين .. ولكن الغضب والاهانة كانتا تسيطران عليه كلما استحضر صور بلده المتخلف ومجتمعه الجاهل .. ولم تطل مدة غضبه واهانته ، فقد حل بعقليته التجارية مشكلته هذه حلا باردا قاسيا .. وكلما ازداد ارتباطه بالمجتمع الاوروبي وغرامه ببريق وراحة الحياة فيه ، وخصوصا بعد ان لقي « ماري » فملأت منه السمع والبصر والفؤاد ، كلما زادت علاقته ميكانيكية ببلاده ، حتى اصبحت علاقة منفعة محضة .. ولولا اعتماد وجوده على شكله الحالي فى أوروبا ، على ما يجمعه من اموال بشتى الطرق فى المغرب لقطع به الصلة منذ مدة طويلة ..

وفى المغرب ، لم يكن احد من اهله ولا زملائه وخدمه ومواطنيه يعرف هذا الدافع الذى جعل تصرفاته من الشراسة والجشع والانانية بحيث لم

تبق له صديقا .. كانت قبيلته بالنسبة اليه ضيعة وابناؤها قطيعا من الخرفان لا مبرر لوجودها الا صوفها او لبنها او لحمها .

وكل الحب الذي انتزعه من بني جنسه اغرق فيه «ماري» ، النصرانية الرائعة الجمال ..

ونزلت امامهما اطباق الاكل ، وزجاجة الشامبانيا في اناء فضي .. وترددت امواج الموسيقى اللاتينية التي كانت حديثة الوصول من اميركا بانغامها الممزوجة بموسيقى الهنود الحمر تضفي على الجو طعما محببا غريبا ..

وبعد الاكل اكتظت القاعة بالراقصين ، فقام عبد الجليل ومد يده الى « ماري » التي امسكت بها في حبور صبياني لحبها الشديد للرقص ..

ودقت موسيقى الشارلستون الذي كان حديث الظهور في اميركا الشمالية فانسحب من القاعة عدد كبير من المحافظين ممن لا يحسنون تلك الرقصة الحمقاء .. وبقيت ماري وعبد الجليل مع من بقي بالقاعة يرقصان في تناسق وانسجام عجيبين والموائد حولهما تصفق وتهتف باعجاب ..

واقترب منتصف الليل .. واعلن رئيس البروتوكول بحماس انه لم تبق الا دقيقة على دخول العام الجديد .. فبدأ الجميع يلبسون طرابيش الورق الملون ويستعدون للحساب الرجعي الذي بداه الرئيس من ستين وهو ينظر الى ساعته في توقع بلغ قمته مع الدقات الاخيرة .. وعند تساوي العقربين صاح :

ــ عام جديد سعيد ! عام جديد سعيد !

وردد الجميع الهتاف ..

ودخلت « ماري » بعبد الجليل قاب الزحام فتعلقت به وطبعت على شفتيه قبلة طويلة .. وضمها هو اليه حتى ظن انه كسر عودها الناعم الرهيف وهمس في اذنها :

ــ احبك ..

وحركت هي الاخرى شفتيها ، ولكن هتاف الراقصين وضجيجهم اغرق الكلمات الرقيقة قبل ان تصل الى سمعه .. وانطلقت الموسيقى بنشيد الوداع : « نادي الرحيل بالفراق .. » فامسك جميع من في القاعة بعضهم ايدي بعض ووقفوا حلقة متماسكة ينشدون النشيد المؤثر ، وقد تأثر النساء وابتلت عيونهن ..

وحين انتهى النشيد العالمي انتقل الجوق الى موسيقى مرحة خفيفة ليطرد اشباح التأثر من الوجوه ويجفف الدموع من العيون ..

ورقص عبد الجليل وماري تلك الليلة حتى الفجر .. راى تباشيره من الحائط الزجاجي الذي كان يحيط بقاعة المطعم من كل الجهات بحيث تقع تحته المدينة بأبعادها الاربعة ..

ورغم انه كان واقعا تحت مفعول الشامبانيا وسحر الموسيقى وعطر الناس وزينة المكان فقد كان قلبه يخفق كلما تذكر شيئا لم يجرؤ على الاقدام عليه .. وكان التردد يضايقه ويعكر عليه صفو نفسه في تلك اللحظات السعيدة ، فقد كان كل شيء في حياته مكتملا ، الا شيئا واحدا لو فشل في الحصول عليه فالاحسن ان تنشق من تحته الارض وتبتلعه ..

ذلك هو يد « ماري » ..

حبه لها كان قد شغف قلبه .. وركز العالم كله حولها ..

وكلما تشجع لسؤالها ارتفعت مع دقات قلبه اصوات الشك والتردد .. انت .. لست من جنسها ولا دينها ، ولا وطنها .. ماذا لو رفضتك ؟ ماذا لو ضحكت في وجهك ؟ ماذا لو غضبت وخرجت ؟

حبه لها كان من الحرارة بحيث كان جوابها له يعني الموت او الحياة حرفيا ودون مبالغة ..

وانتظر الفرصة ..

وغادرا الفندق الى الحديقة المركزية حيث تركا السيارة وركبا عربة يجرها حصان .. وهام بهما السائق الصامت في طرقات الحديقة المتعرجة وعلى ضفاف البحيرات الهادئة وتحت الدوح الوارف تتدلى خصلات ناعمة منه فوقهما وهي تتوسد ذراعه في صمت وادع وهو يلتذ بدفئها الى جانبه ..

وبدات خيوط الصباح الاولى تلوح في افق الشرق فرفعت « ماري » وجهها وهي ما تزال ممسكة بذراعه القوية وهمست وكأنها تخاطب نفسها :

ــ ما اسعد هذه اللحظة واهناها .. في الواقع، ما اسعد هذه الليلة كلها من بدايتها حتى الآن ..

واكتفى هو بنظرة الى وجهها وابتسامة . واضافت :

ـ يا ترى هل يمكن ايقاف هذه اللحظات واستبقاؤها الى الابد ؟

واغتنم هو الفرصة ليقول :

ـ بالنسبة الي ذلك ممكن جدا ..

ـ كيف ؟ هل الك عصا سحري من بلادك تستطيع به ايقاف الزمن ؟

ـ لا ابدا .. بالنسبة الي بقاء لحظة السعادة هذه تتوقف عى جوابك على سؤالي بنعم ..

وشعرت هي بجدية الموضوع لاحساسها بتصلب عضلاته ، وتوتر اعصابه .. قالت :

ـ اي سؤال ؟

ـ ولكن ارجوك ، اذا كان جوابك « لا » الا تقوليه الآن .. لا اريد ان تاتي نهاية حياتي هذه الليلة ..

ـ نهاية حياتك ماذا تعني ؟ ما هو السؤال اذن ؟

ـ هل ـ هل تتزوجينني ؟

ـ هل حقيقة يعني جوابي على سؤالك هذا كل ذلك ؟

ـ ارجوك ، لا تلعبي بعواطفي .. انك تعنين كل شيء بالنسبة الي !

ـ اذا كان الامر كذلك .. فنعم ونعم .. والف نعم .. نعم اريد ان اتزوجك .. وقبل ان يحتضنها ليضمها اليه في انفجارة عاطفية ابعدته عنها بيديها بلطف قائلة :

ـ ولكن ..

فهبط قلبه ، وسأل بلهفة :

ـ ولكن ماذا ؟

ـ بشرط ..

ـ اشترطي ما شئت ، فانا كلي لك ..

ـ ذلك بالضبط ما كنت ساشترط ..

ـ وهل تشكين في ذلك ؟

ـ ليس لي شك .. بل انا على يقين بانك لست كلك لي ..

ـ ماذا تعنين ؟

فنظرت في عينيه بشقاوة صبيانية وقالت :

ـ بالضبط ما سمعت ..

فامسك بيديها وقال متوسلا :

ـ ارجوك .. ارجوك ان تكفي عن المزاح وتصارحيني بما عندك ..

فظهر على وجهها الجد وهي تسحب يديها الرقيقتين من بين يديه وتقول :

ـ ما دمت تطالب مني الصراحة فذلك ما ساعطيك ووضعت يديها في حجرها وواجهته ثم قالت :

ـ قيل لي انك متزوج ..

وظهر الاستغراب والانفعال على وجهه وهو يحاول ان ينكر بقوة ، فوضعت أصبعا ناعما على فمه واستأنفت كلامها :

ـ ارجوك لا تنكر ، فانا أعرف الحقائق من مصادر موثوق بها للغاية .. انت متزوج ـ ولتعرف مقدار دقة المعلومات التى عندي ـ بامرأة .. سوداء .. ولك معها طفل ..

وهنا فهم ما تعني .. كان سينكر في البداية مخلصا صادقا ، لانه كان يعد علاقته « بريحانة » الامة السوداء التى تربت في بيت ابيه ، شيئا لا يمكن ان يوصف بانه زواج .. الزواج يكون بين الاكفاء .. الاكفاء في المقام الاجتماعي والثروة واللون وحتى الجنسية .

وحاول ان يشرح ..

وفجاة وجد نفسه امام جبل هائل من التقاليد المعقدة التى يطول شرحها .. وكاد يلمس الجدار الثقافي الهائل الذى وقف بينهما بطرح هذه المشكلة .. واثقل كاهله الفرق الذى احس به فجاة بين بلاده واوروبا ..

وتنهد وهو يبحث عن اجابة مقنعة :

ـ طيب .. ان انكر .. لي ولد .. ولكني لست متزوجا .. ارجوك .. لا تقاطعيني .. سوف تفهمين كل شيء حين تذهبين معي الى بلادي .. من

الصعب شرح تقاليدنا لك هنا .. وتأكدي انك ستجدين كل شيء على ما يرام ..

فنظرت هي اليه وفى عينيها الكبيرتين قوة واصرار ، وقالت :

ــ عرفت الآن انني لست فقط احد الوجوه الجميلة .. وان داخل هذا الراس عقل يفكر .. انا لن اترك بلادي لاصبح جارية من الجواري في قصر من قصور الشرق .. نحن الاوروبيات لا نقتسم الازواج .

فامسك بكتفيها وقاطعها بنظرة ثاقبة فى عينيها :

ــ ماري .. انت تعرفين كم احبك ــ احبك اكثر من اي شيء فى هذا الوجود .. فكيف يعقل ان اشرك معك امراة اخرى ؟

وقربها منه تطبع قبلة على جبينها وهي مسبلة العينين تنظر الى اظافرها ..

ــ ماري .. قولي شيئا .. فيم تفكرين ؟

فرفعت راسها مثقلة الاجفان وقد زالت عن وجهها نشوة الاحتفال واكتست ملامحها سيمة الجد:

ــ عبد الجليل .. افكر الآن ، ما عسى ان يكون رد فعل عائلتي واصدقائي وحتى صحافة بلادي لو قبلت الزواج من رجل له ابن ملون .. ابن من امراة سوداء ..

فاندهش عبد الجليل واندفع يقول :

ــ عزيزتي ماري .. وما فى ذلك من عيب .. الى جانب ان ذلك حدث قبل ان نلتقي بسنوات طويلة .. كان نزوة شاب طائش لا خبرة له بعواقب الامور ..

هذا ليس هو الموضوع .. هل تتتبع ما تنشره الجرائد هذه الايام عن تصريحات العلماء الالمان حول الفروق السلالية بين الاجناس ؟

ــ لا .. ولكني سمعت بعض المناقشات حول ذلك ويظهر ان علماء السلالات انفسهم لا يتفقون عليه .. ما دخل ذلك فى حياتنا نحن ؟

ــ يقولون ان الجنس الاسود اقرب الى الحيوان فى سلم التطور منه الى الانسان ..

ــ لا اريد ان ادخل معك فى اية مناقشة من هذا النوع ، فالموضوع كله لا يهمني .. ثم اننا انا وانت ابيضان .. وفى بلادي لا نميز بين الالوان ..

وانتهى النقاش على ان يحل هو مشاكله المعلقة فى بلاده قبل أن يتم الزواج ..

ومر الشريط امام عينيه بسرعة .. امام عيني الكتلة الصامتة فى حلكة الظلام كالجنين فى رحم امه ..

وعاد الى المغرب يجتر ما قالته له ماري ويزداد اقتناعا به .. وخصوصا وانه يزيده امتيازا جديدا لم يكن يعرفه من قبل ، هو بياض جلده ..

وصحبه طيف ماري مثل كوكب من نور طوال رحلته .. وكلما ابتعد عنها فى قطار الجنوب زادت فى عينيه رهافة وفى خياله تألقا ..

ومن بين مستقبليه العديدين كانت ريحانة .. ولاول مرة يراها ، كما هي ، امراة سوداء .. لا كما كان ينظر اليها حين اختلى بها فى غرفته بسطح بيته الكبير : فتاة جميلة مسكية اللون والرائحة ، شديدة الجاذبية والانوثة ..

وكرهها .. تفجرت الكراهية فى قلبه كنبع مفاجىء .. ولم يضع يده فى يدها حين حاولت السلام عليه فاكتفت بتقبيل كمه ..

ولم يلمس طفله منها حين جاءت به اليه وعيناه تبرقان فى براءة وسذاجة ..

وكره نفسه واحتقرها لطمعها فى مخلوقة قريبة فى « سلم التطور » من القردة ..

وبكت هي امامه تلك الليلة .. وطالبت حقها فى معرفة سبب تغير قلبه وتحول عواطفه عنها ، فطردها من محضره وانذرها بالعقوبة ان هي عادت الى مضايقته ..

وفى تلك الليلة اعلن ، فى حفل كبير من اصدقائه واقربائه عن عزمه بالزواج من « ماري » .. واطال فى الاشادة بها وبثقافتها وعلو شان اسرتها حتى اقتنع الجميع بانها العروس المثلى ــ الا ريحانة.

صعقت للنبأ ، رغم معرفتها بأن سيدها كان سيتزوج حرة فى يوم ما .. وما كان ليخطر على بالها ان تكون هذه الحرة نصرانية من بلد آخر .. فقد كانت مستعدة للتعامل مع زوجته الحرة لو كانت مغربية .. ولكن كيف ستتفاهم مع هذه ..

وبالقريزة ادركت ان النصرانية هي التى غيرت قلبه عليها ..

وتحول حزنها الى غضب جارف فقدت معه السيطرة على تصرفاتها ولسانها فصاحت شاتمة لاعنة حتى وصل صراخها محفل سيدها .. ودون ان تزول عن وجهه ابتسامة السرور بضيوفه اعطى اوامره لخادمه الشاب ان يسجنها فى الحمام ويحميه .. سخونة الحمام له مفعول سحري فى تهدئة الاعصاب الثائرة ..

واعطى تعليماته للخادم :

— لا تطلق سراحها حتى تستاذنني ..

وبقيت هناك والدار تهتز بانغام الموسيقى والحان المطربين ..

وفى غفلة من الحاضرين تسلل الى الدهليز حيث يوجد فرن الحمام فملاه باثقل قطع الحطب المتراكمة حوله واغلق بابه الحديدية وعاد الى مكانه فى صدر الصالة الكبيرة ..

واحست « ريحانة » بالحمام يزيد حرارة فالجأت الى البارد وقد خلعت جميع ثيابها لابتلالها بالعرق ، ولكن لهيب الحرارة بدا يتسرب نحوها بسرعة مخيفة حتى وجدت نفسها تكاد تختنق ..

واخذت تصيح .. وبدات تدق الباب بقبضتها مستغيثة وقد تحول غضبها وحزنها الى رعب شديد ..

واغرقت الموسيقى استغاثاتها الخافتة التى لا تكاد تسمع من قلب الدهليز ..

وبدات تنظر حولها فى الظلام فترى اشباح غيلان وعفاريت تفتح افواها كبيرة حمراء لتنفخ عليها السنة اللهب ، وتقهقه فى وجهها قهقهات شيطانية ماردة تتردد اصداؤها داخل جمجمتها كحلم مخيف ..

وسقطت فى النهاية مغمى عليها ، وقد انفجرت شرايين مخها وقلبها لسرعة جريان الدم وتضخم حجمه ..

وفى الصباح وجدوها جثة هامدة على عتبة الحمام الداخلية وعيناها مفتوحتان والدم يقطر منهما ..

وسار فى جنازتها وقد صغير من الخدم والاعوان لدفنها فى المقبرة العامة ..

وانطوت صفحة سوداء فى حياة عبد الجليل كان شبحها يهدد سعادته ومستقبل حياته مع ماري .. ولم يشعر بوخزة واحدة من ضميره.. كان صوت ماري الناعم ، وهي تقرا عليه ما يقوله علماء السلالات، مبررا علميا وافق هواه ، لما صنع ..

اذا كان الناس يضحون بالابقار والكباش لقتل الجوع ، فلماذا لا يضحي هو بامة سوداء من اجل سعادته ومن اجل اشباع جوع روحه وبدنه الى « ماري » ؟

والمجرم دائما يعود الى مكان جريمته ..

كذلك احس عبد الجليل بدافع قوي خفي الى دخول الحمام الذى قتلت فيه ريحانة .. كان يتردد بين الخدم انه اصبح مسكونا منذ موت الجارية ريحانة .. ودخله هو ليزيل الاسطورة من رؤوس الجميع حتى لا يهجرونه ..

وانقفل خلفه الباب آليا فقفز لعدم توقعه لذلك .. ودخل قاعة البرمة الساخنة وطاف بين الغرف الصغيرة يطل فى كل واحدة .. وفى النهاية اطل داخل البرمة فاذا بوجه غير وجهه ينعكس فى مائها الهادي ، وبصوت خافت بعيد يستغيث .

وانصت هو دون خوف لظنه انه ياتي من خارج الحمام .. ولم يقشعر بدنه ويقف شعره الا حين ادرك معنى ما يقوله المستغيث : كان صوت امراة يقول :

— بالله لا تدفنوني .. انا ما زلت حية .. اجلي لم يصل بعد ..

وحينئذ اصابه الذعر ، ولاذ بالفرار .. وامر باغلاق ذلك الحمام ..

ومر الشريط سريعا ..

وتحولت « ماري » بعد سنوات من الانانية والعراك معه الى عجوز شمطاء ذهب عنها كل رونق الصبا وجماله ، ولم يبق فيها الا تعصبها لكل ما هو اوروبي ، واحتقارها لكل ما ينتسب اليه زوجها ..

وبدا طيف ريحانة يزوره من حين الى حين ..

فوجيء به وكان قد نسيه .. ابعده الى اعماق عقله الباطن وغطى عليه بكل شيء حتى لا يطفو على السطح ..

ولكن مع تقدمه فى السن بدأ ذلك الطيف يزوره بغير مناسبة .. وتكررت الزيارات ، وقصرت المدة بينها ، وطالت فترات وقوف الطيف امامه والدم يتقاطر خاثرا من عينيه .

اللعنة على تينك العينين .. انهما ما تزالان حيتين ، بل وتزدادان حياة كلما تجددت الزيارة ..

ولم يكن طيف ريحانة من قبل بالوضوح والقرب الذى ظهر به هذه الليلة لعبد الجليل وهو فى حالة فقدان ذاكرته .. كان من النصوع والواقعية بحيث كان ظهوره صدمة كافية لايقاظه وارجاع ذاكرته اليه ..

وانتفض انتفاضة هائلة عند دخوله منطقة الوعي الباردة وصرخ محاولا الخروج من الصمت والظلام .

وملأ النور الغرفة فجأة ـ كان صراخه قد ايقظ « ماري » النائمة الى جواره فاشعلت الضوء ووضعت يدها عليه لتهدئه :

ـ عبده ، عبده .. افق .. افق ..

وفتح عينيه الواسعتين فى وجه سمين مستدير غارق فى العرق ، وتلاحقت انفاسه وهو يجول بعينيه فى الغرفة محاولا ان يتذكر اين هو ليؤكد هويته من صلته بالمكان ..

وعادت ذاكرته أمواجا اليه .. وخرج من عدمية النسيان وفراغه المظلم الصامت ، وبدا يحس بوجود بقية اعضاء جسده الذى كان قبل قليل كتلة جامدة ضائعة فى أزل الفضاء ..

ووقعت عيناه على زوجته ففوجيء بأنها عجوز شمطاء تناثر شعرها وأزال الليل عن وجهها اقنعة المساحيق والاصباغ التى تستغيث بها كل صباح لطمس معالم الزمن .. وتساءل دون كلمات : هل من اجل هذه قتل ونهب وايتم وفضح الاعراض واغتصب حقوق المساكين وسلط على رقابهم سيوفه ؟

كانت هي تمشط شعرها بسرعة وتتكلم .. لم يكن يسمع ما تقول .. وفى النهاية جاءته برداء قطني ثقيل وساعدته على القيام من فراشه فألبسته اياه ودفعته نحو الحمام وهي ما تزال تتكلم .. ومشى هو امامها فاقد الارادة ..

واطلقت الماء فملأت الحوض المرمري وصبت فيه بعض الزيوت المعطرة وغبرة الصابون ، ثم خلعت عنه ملابسه قطعة قطعة وساعدته على دخول الحوض والتمدد فيه والاسترخاء ..

ورن التلفون فخرجت وهي ما تزال تثرثر .. وغرق هو فى الحوض المرمري المربع يستمريء الخلوة والدفء والهدوء الذى كان يجسم وقع كل قطرة ماء تسقط .. وفى كل لحظة كان يعيد التوازن الى جسده الاسفنجي الذى كان يملأ حيزا كبيرا داخل الحوض ويطفو على سطح الماء من حين لآخر..

واغمض عينيه فى شبه اغفاءة لذيذة فاحس بيد تلمس كتفه برفق وتبدأ فى تدليكها فانتبه وفتح عينيه :

ـ ماري ـ لم اشعر بدخولك الحمام ـ لا بد انني اغفيت ..

واجابه صوت غير صوت ماري وبلغة غير لغتها فيه رقة وانوثة مألوفتان لديه :

ـ انا لست ماري ، يا سيدي ..

واحس بقشعريرة فى جلده ، ورجفة فى قلبه ، وبرودة مفاجئة تتحول الى حرارة .

ـ من انت ؟ ومن اين جئت ؟

قالها وهو يحاول الالتفات فلا يستطيع لالتصاق راسه مباشرة بجسده كانما ليس له عنق.. واجابت هي بصوت بارد :

ـ ريحانة ، ريحانة ياسيدي .. زوجتك الاولى .. الا تذكرني ..

واشرأب بعنقه محاولا ان يصرخ ويستغيث فارجعته الى الماء يدان سوداوان قويتان رآهما تستقران على كتفيه . وسمعها تقول :

ـ الى اين يا سيدي ؟ لم تأخذ حمامك بعد . انت فى اشد الحاجة اليه .. ومن واجبي كزوجتك ان اساعدك عليه ..

وفتح فمه ، الذى كان يبدو رغم كبره صغيرا فى وجهه الكبير ، وجحظت عيناه وهو يحاول الصراخ باسم ماري فلا يخرج من فمه الا صوت مبحوح ناشف .. واحس بالحرارة داخل الحمام تزيد

بسرعة لا تحتمل . وبدا قلبه الضعيف يدق حتى يكاد يرى دقاته فوق صدره ..

وسمعها تتكلم بنفس البرود :

– للأسف ليس من واجب الرجال مساعدة زوجاتهم على الاستحمام .. والا كنت انت دخلت لحك ظهري في آخر استحمام لي وانا على قيد الحياة .. للأسف ما اعتقد انك كنت تستطيع احتمال ذلك الحمام .. اتذكر ؟ لكنت فتحت الباب وخرجنا معا من ذلك السعير .. ولكنت انا تمتعت بولدي .. ولدي « الصادق » الذي كان رغم سمرته القوية ، ابنك ، وبه شبه كبير منك .

وانتبه هو الى المرآة التي كانت تغطي حائط الحمام كله امامه ، وقد زال عنها الصقيع وصفت ، فراى ريحانة عارية تقف وراءه كما كانت يوم فتح الحمام عليها ليجدها ميتة .. عيناها جاحظتان وقطرات الدم تترقرق منهما ثقيلة على خديها ..

ونظر الى وجهه هو فافزعه ما راى ..

كان الدم يتقاطر من عينيه وانفه واذنيه كانما حدث انفجار هائل داخل راسه ..

ودار به المكان .. ودقت داخل راسه صنوج نحاسية هائلة .. ووقف ليجد نفسه داخل حمامه القديم بالمغرب وقد التهبت الارض حتى اصبحت جمرة واحدة تحته .. ولاحت له ريحانة واقفة على الباب هادئة فهرول نحوها كالذبابة الثقيلة واخذ يصرخ مستغيثا :

– ريحانة .. ريحانة .. افتحي لي الباب .. ارجوك .. ارجوك بحق « الصادق » ولدنا ..

ونظرت هي اليه ببرود غريب وقالت :

– لا تقلق .. سوف تعتاد .. انا الاخرى اعتدت قبلك .. لم أعد اجد الجو هنا كما تجده الآن .. وللأسف ، سنفترق الآن .. ستذهب انت الى حيث لا يمكن ان تعتاد ..

وارتمى عليها محاولا التعلق بها ، فامسك بيديه الفراغ ..

وضاق قلبه .. واظلمت الدنيا في عينيه .. واحس بقلبه يركل ركلته الاخيرة وكان يدا قوية قبضت عليه لتمنعه من النبض ..

وتوقفت رئتاه عن الحركة بزفير عال سقط معه الى الوراء جثة هامدة تنظر الى المرآة ..

ودخلت « ماري » فنظرت اليه وصرخت ثم ولت على اعقابها هاربة .. كان طافيا على سطح الماء كحوت ضخم رماه البحر ..

وارتمت على التليفون بيدين مرتعشتين ..

ولو وقفت واصغت لسمعت صوتا صادرا عن شفتيه وهما لا يتحركان ينادي :

– ماري .. بالله لا تدفنيني .. انا لم امت .. أجلي لم يصل بعد .

الرباط – احمد عبد السلام البقالي





المغــــرب :

* اصدرت وزارة الانباء ــ ولاول مرة ــ كتابا باللغة العربية من سلسلة وثائق ومستندات وهي الدورية التى تصدرها الوزارة باللغة الفرنسية .

والكتاب من حجم متوسط يبلغ عدد صفحاتـه حوالي 250 صفحة فى طبعـة انيقـة ، والغـلاف بالالوان فى شكل واخراج جميلين .

ويسجل الكتاب اهم الاحداث الوطنية خـلال الفترة المتراوحة ما بين شهر ماي 1971 حتى شهـر مارس 1972 ، والكتاب يعتبر مرجعا قيمـا وغنيـا كذلك لكل باحث ودارس مهتم بشؤون المغـرب ، وهو بحق اضافة جديدة ونفيسـة ستسهم بحـظ وافر ولا شك فى التعريف بالمنجزات التى ما فتـيء هذا البلد الفتي يحققها فى جميع المجالات وعلى جميع المستويات .

* صدر عن المطبعة الملكية بالرباط اول ترجمة مستوفاة لحياة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عنوانها ــ الحسن الثاني حياته وجهاده ومنجزاته ــ وقد عالج مؤلف هذا الكتاب الاستاذ عبد الوهـاب بنمنصور فى اسلوب تاريخي جذاب جميع مراحـل هذه الحياة العظيمة منذ ولادة جلالته يوم 9 يوليوز 1929 الى مؤتمر القمة الافريقي التاسع المفتتح يوم 12 يونيو الماضي ، متحدثا باسهـاب عن جميـع ما اقترن بها من وقائع واحداث سواء عندما كان جلالة الملك تلميذا وطالبا فى المعهد والجامعة او عندما كان يسهم الى جانب جلالة والده المرحوم فى معركة تحرير الوطن ودعم استقلاله ، او عندما شرع وهو ممسـك بمقاليد الحكم يخطو به الاشـواط ويقـطع المراحـل لتحقيق تنمية شاملة واحلاله المقام الجديـر به بين الامم الراقية ، كما قدم الاستاذ بمنصور وصفا شاملا عن حالة المغرب فى السنة التى ولد فيها جلالتـه والتطورات التى شهدها فى السنوات التالية فالكتاب الذي تبلغ صفحاته الاربعمائة علاوة على كونه ترجمـة لحياة جلالة الملك نصره الله هو ايضا تاريخ للمغرب مدة 43 سـنة من خلال الحيـاة الملكيـة العظيمـة ، وستصدر قبل نهاية هذه السنة ترجمة الكتـاب الى جميع اللغات الحية .

الكتابان صدرا بمناسبة عيد الشبـاب الـذى يصادف ذكرى ميلاد عاهل البلاد جلالة الرائد الحسن الثاني .

* توفى يوم الجمعة 12 ربيع الآخـر عامـه بالحجاز حيث اختار الاقامة منذ عـدة سنـوات ، قطب من اقطاب الوطنية وعـالم من علم الاصـلاح الديني هو الفقيه العلامـة السيد محمد غـازي بعد مرض طالتمعاناته له ولم ينفع فيه علاج .

وقد خسر المغرب فيه رائدا من رواد السلفية الذين عملوا على محاربة الخرافات والبدع ونشـر العلم وبث الوعي القومي منذ أكثر من نصف قرن . وكان من اول من اوذوا فى سبيل عقيدتهم وتعرضوا لعسف المستعمر ، فما لانت قناته ولا استكان لوعد ولا وعيد وعاش دائما عيشة العفاف والكفاف ، ولما طلع فجر الاستقلال وبدا التكالب على المغانم اختـار العمل فى الحجاز كسفير للمغرب ، وكان هدفه من ذلك ان يقيم بجوار البيت الحرام والمسجد النبوي ويتردد على تلك البقاع المقدسة مستلهما منها معاني السمو الروحي والكمال الانساني ، وبقي كذلك حتى بعد اعتزاله للوظيف الى ان قضى نحبه راضيا مرضيا ماسوفا عليه من جميع المواطنيـن رحمه الله رحمـة واسعة وجزاه بما يجازي به العامليـن المخلصيـن وتعازينا الحارة لابنائه واخوته والشعـب المغربـي عموما .

※ شهدت رحاب مدرج المحاضرات بكلية الآداب بفاس – كما كنا اعلمنا من قبل – مناقشة رسالة الاستاذ عبد الوهاب التازي عن احمد بن فارس اللغوي تحت اشراف الدكتور امجد الطرابلسي وعضوية الدكتور محمد بن شريفة والدكتور صالح الاشتر وحضور عميد كلية الآداب ونائب العميد واساتذة الكلية وجمهور غفير من الطلبة واستمرت مناقشة الرسالة زهاء اربع ساعات .

وبعد المداولة اعلن الدكتور المشرف قرار اللجنة بمنح الاستاذ عبد الوهاب التازي دبلوم السلك الثالث بميزة حسن .

※ الارجوزة المختارة ، وهو كتاب يبحث فى نظرية الامامة ، ومن تاليف القاضي النعمان بن حيون المغربي ، ومن تحقيق الاستاذ قربان حسين بوناوالا بمعهد الدراسات الاسلامية بجامعة ماك جيل بمنتريال بكندا ، والكتاب من نشر دار الآفاق الجديدة فى بيروت .

※ صدر للاستاذ عبد السلام ياسين كتاب قيم بعنوان « الاسلام بين الدعوة والدولة : المنهاج النبوي لتغيير الانسان » وهو كتاب ضخم يقع فى نحو 500 صفحة من الحجم الكبير يتضمن قيمة فى مواضيع ذات ارتباط وثيق بالدعوة الاسلامية ، ويذهب الى تاكيد ضرورة اعتماد المنهاج النبوي لتغيير الانسان المعاصر تغييرا وفق تعاليم الاسلام .

ويعتبر مؤلف الكتاب ان الاسلام وحده هو الكفيل بانقاذ البشرية ونقل الانسانية من حاضرها المتردي الى مستقبل ظهور الاسلام عبر جدلية التجديد الايماني ، جدلية بين الجاهلية والاسلام ، بين الظلمة والنور كما جاء فى تقديم الكتاب .

※ صدر للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون كتاب جديد بعنوان على « درب الاسلام » وهو الكتاب الثاني فى السلسلة وهو الكتاب الثاني الذى اعلنت عنها الميثاق « لسان رابطة علماء المغرب خلال المدة الاخيرة ، وقد صدر للاستاذ كنون منذ شهور كتاب « اسلام رائد » وينتظر ان تصدر قريبا كتب اخرى متتابعة ، ، وعلى « درب الاسلام » يعطي المؤلف الفاضل صورة مشرقة لواقعية الاسلام واحقيته فى قيادة العالم الى شاطىء السلامة ،

ويتضمن الكتاب الجديد مجموعة مقالات قيمة تجمعها وحدة الموضوع والتزام المنهج الذي عودنا الاستاذ كنون اتباعه فى جميع مؤلفاته ، ومن مواضيع الكتاب :

هؤلاء اسلموا ، اسلام رائد ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحلال والحرام ، غربة الاسلام ، ماضي المراة المسلمة وحاضرها ، موقف المراة المغربية من الدين ، المراة المظلومة والمساواة المزعومة ، الاسلام أقوى رابطة ، فلماذا لا يتحد المسلمون ، ملكية وجمهورية ، العمل الفدائي فى نظر الاسلام ، وكيف أخاف ما اشركتم ؟ ، آيات قرآنية تورد فى غير موردها ، التبشير ودلالته ، القرآن وحرية الفكر ، هل ندع الشباب يجرب ؟ ، الاسلام والتطور .

※ « الباحث » مجلة ادبية ثقافية صدر العدد الاول منها عن مديرية الشؤون الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطر ، ويمتاز العدد الاول بوفرة المواضيع التى سبق أن القى جلها كمحاضرات فى قاعة المديرية .

نتمنى للزميلة الجديدة واسع الانتشار حتى تؤدي الرسالة المنوطة بها على أحسن وجه كما ادتها زميلات لها صدرت عن نفس الادارة مثل « البحث العلمي » والثقافة المغربية .

※ زارت المغرب بعثة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية بالقاهرة ، وذلك فى مهمة ثقافية تشمل تسجيل اهم المخطوطات المغربية فى مختلف فنون المعرفة وتصوير ما يمكن تصويره للاحتفاظ بنسخ منه فى مكتبة المعهد ووضعها رهن اشارة الباحثين ، وصرح الاستاذ صالح ابو رقيق رئيس البعثة ان جلالة الملك الحسن الثاني رحب بزيارة البعثة وامر حفظه الله بوضع جميع التسهيلات لنجاح اعضاء البعثة فى مهمتهم ، كما فتح نصره الله ابواب مكتبة القصر الملكي العامر فى وجوههم للاطلاع على نفائس المخطوطات ونوادرها مما تحتوي عليه مكتبة القصر .

※ كتاب الجغرافيا ، لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، حققه ووضع مقدمته

وعلق عليه الاستاذ اسماعيل العربي، وهو من منشورات المكتب التجاري ، وتوزيع دار الآفاق الجديدة ببيروت وكان الكتاب قد طبع من قبل في المغرب بتحقيق احد اساتذة جامعة برشلونة في اسبانيا .

※ قام المستر تشارلز مكللند رئيس القسم العربي بالاذاعة البريطانية بجولة عبر المدن المغربية الرئيسية اتصل خلالها بالمكلفين بالاعلام والصحافة .

※ بلغ عدد المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط نحو 10 آلاف ، ويوجد ما يقارب هذا العدد بخزانة تمكروت بناحية درعة ، فضلا عن خزانة القرويين التي تتوفر على 3000 مخطوط ، وهناك آلاف اخرى من الكتب المخطوطة موزعة بين عدد من المراكز كخزانة تطوان ومكتبة ابن يوسف بمراكش والجامع الاكبر بمكناس والجامع الاكبر بتازا ومكتبة بزو ومكتبة الزاوية الحمزاوية بآيت عياش ومكتبة الجامع الكبير بوزان ومكتبة المعهد الاسلامي بتارودانت الخ ..

※ من المعارض التي اقيمت هذا الشهر تحت اشراف مديرية الشؤون الثقافية او بعض المراكز الثقافية الخاصة ، معرض الرسام الغاوي ومعرض التصوير بباب الرواح ، ومعرض للفنانة ايفامو تتفيل للنحت والرسوم الزيتية وقد شارك فيه الفنان بتسي وهينزلر .

※ حصل الفنان مصطفى السباعي على الجائزة الاولى للرسم من منظمة اليونسكو وذلك خلال معرض اقيم مؤخرا بالرباط عرض الفنان فيه ثلاث لوحات ويشارك كذلك في معرض المغرب العربي الذى سيقام بالجزائر في يوليوز المقبل .

※ صدر للاستاذ محمد الاخضر غزال دراسة بالفرنسية عن الادب المغربي في العصر العلوي ، وقد قدم لها الاستاذ محمد الفاسي رئيس اللجنة الوطنية لليونسكو، وتتضمن الدراسة جملة كبيرة من التراجم لادباء الحقبة التاريخية المذكورة ، وكم يكون من المفيد ترجمة هذا الكتاب الى العربية، لاسيما بالنسبة للقراء المغاربة .

※ الطريق الى معرفة القصر الكبير ، كتاب للسيد محمد بوخلفة عن ماضي هذه المدينة التي كانت مسرحا لاحداث تاريخية مهمة فضلا عن انها كانت من اهم المراكز الثقافية النشيطة في العصر السعدي والى ابان الحماية الاسبانية ، كما انها تتوفر الآن على نخبة مثقفة واعية .

※ تم الاتفاق بين الحكومتين المغربية والفرنسية في تكوين الاطر المغربية في ميدان الحفريات حيث ستساهم الحكومة الفرنسية في تكوين الاطر المغربية في ميدان الحفريات والآثار وتزويد المصالح المختصة بالمعدات ، وترأس الوفد المغربي في المفاوضات التي جرت بالرباط رئيس قسم التعاون الاقتصادي والتقني بوزارة الشؤون الخارجية ، كما ترأس الوفد الفرنسي رئيس قسم النشر والتبادل الثقافي بوزارة الخارجية ، كما ترأس الوفد الفرنسي رئيس قسم النشر والتبادل الثقافي بوزارة الخارجية الفرنسية .

※ سيتبادل المغرب والجزائر مائة منحة دراسية خلال السنتين المقبلتين ، كما سيزداد تبادل البعثات والزيارات الطلابية والشبابية والنسوية بين البلدين والى ذلك تواصل الاذاعات والتلفزة الوطنية في المغرب العربي تبادل البرامج والانشطة .

※ نظمت مديرية الشؤون الثقافية والجمعية المهنية لصناعة السكر بقاعة باب الرواح معرضا لصناعات السكر القديمة بالمغرب ، وهذا المعرض يشمل مواد اثرية وفنية قيمة ضمنها عدد من الاوعية التي كانت تستخدم في هذه الصناعة وتصميمات لبعض المعامل القديمة وغير ذلك .. وقد حضر حفلة التدشين في 8 مايو 1972 عدد كبير من الممثلين الدبلوماسيين وكبار الموظفين والطلبة .

※ مدينة سجلماسة بجنوب المغرب لعبت دورا عظيما ولمدة عشرة قرون في تاريخ المغرب ، ولها صبغة تاريخية خاصة لانها من تاسيس بني مدرار الخوارج وكان فيهم صفرية واباضية .. هذه المدينة فقدت آثارها تقريبا الى ان قام مفتش الآثار بمكناس في السنة المنصرمة باجراء حفريات مركزة ، بمساعدة مصالح الانعاش الوطني فتبين من النتائج الاولية ان مسافتها كانت تمتد 12 كيلومترا تقريبا

تضم مجموعة من القصور والاحياء ، كما عثر على الساقية التى بناها بنو مدرار وكانت تمد المدينة بالماء . والجدير بالذكر أن بعثة ايطالية سويسرية قامت من جهتها بجهود موازية بغية الوصول الى مزيد من الاكتشافات مع العلم بأن اتساع الرقعة وأثر الرمال التى طمست كثيرا من المعالم ، فضلا عن جفاف الطقس ، مما يزيد فى صعوبة اجراء التنقيبات التى ستواصل مع ذلك بجد .

❊ صدر بالفرنسية كتاب السيد بول (باء مثلثة) دوكرو وهو دراسة قيمة عن العقارات المغربية وطرق تسجيلها وتحفيظها وحق الملكية والمستلزمات المتعلقة بها ، وقد نشرته دار النشر « الباب » بالرباط فى 470 ص . وللمؤلف مع هذا دراسات قانونية متعددة .

❊ صدر للاستاذ الاخ محمد الصباغ كتاب جديد فى سلسلة (... والقلم) الجديدة بعنوان « شجرة محار » وذلك ضمن منشورات وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطر .

❊ «المخاض» الرواية الثانية للكاتب البكري احمد السباعي صدرت مؤخرا بالدار البيضاء ، وكانت قد صدرت للمؤلف رواية « بوتقة الحياة ».

❊ الشاعر مصطفى الزباخ اصدر ديوانه الجديد « اصنام الشر » وهو باكورة اعمال الشاعر الشاب .

❊ نظم الاديب والفنان عبد القادر السميحي معرضا لواجهات الكتاب من تصميمه ، اقيم المعرض بقاعة العرض بمديرية الشؤون الثقافية تحت اشراف اتحاد كتاب المغرب ، وقد احتفلت الاوساط الثقافية والفنية بالمعرض الذى ضم واجهات عدة دواوين لشعراء بارزين امثال نزار القباني .

❊ زارت بلادنا الصحفية المصرية المشهورة سكينة السادات رئيسة تحرير مجلة « حواء » القاهرية ، ورئيسة قسم العلاقات الخارجية بمجلة المصور الواسعة الانتشار ، والاستاذة سكينة شقيقة فخامة الرئيس المصري انور السادات ، وقد أجرت معها التلفزة المغربية حديثا صحفيا .

❊ صدر بمدينة تطوان كتاب « شذرات من الشطرنج » للاستاذ محمد السوسي ، وهو كتاب جديد فى بابه ويتضمن القانون الدولي للعبة الشطرنج ونبذة مركزة عن دخول الشطرنج الى المغرب وكذا اهم المدن المتعاطية له .

❊ عاد الى ارض الوطن الدكتور تقي الدين الهلالي الاستاذ بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة واحد كبار كتاب هذه المجلة منذ تاسيسها .

❊ اصدرت ادارة الجمارك والضرائب غير المباشرة كتيبا لفائدة رجال الصناعة المغاربة والاجانب يحمل عنوان : « الانظمة الصناعية والاقتصادية » ويعالج هذا الكتيب المقتضيات القانونية التى تساعد على تصدير المنتوجات المصنوعة فى المغرب كما يتضمن الكتيب مواضيع اخرى تتعلق بالتصدير والاستيراد ، ونظام التصدير الموقت مع اعادة تصدير البضائع فى حالتها الاصلية ونظام التصدير المؤقت للتحويل .

❊ تقدم الطالب المغربي - رشيد العشوبي - الذى يزاول تعليمه العالي بكلية الطب بئانجارس بامريكا باطروحة حصل بها على الدكتوراه فى الطب بملاحظة مشرف جدا وكان موضوع الاطروحة حول دراسة آثار الصدمات الباطنية فى كرة القدم .

وكانت الدراسة ضافية اقامها على براهين عملية حيث ادرج 535 حادثا لآثار الصدمات الباطنية عند لاعبي كرة القدم .

وقد قام الدكتور العشوبي بخدمة جليلة للطب حتى انه استحق جائزة الاطروحات حسب راي رئيس لجنة كلية الطب بأنجارس وهذه الدراسة ستفيد الاطباء المهتمين برياضيي كرة القدم على الخصوص ومن شانها ان تساعد المرنين على الاهتمام بهذه الناحية ومراعاتها فى القيام بالانشطة .

الجزائر :

❊ مالك بن نبي المفكر الاسلامي الجزائري ومستشار وزارة التربية بالجزائر غادر الرياض بعد ان قضى عدة ايام فى السعودية بدعوة من وزارة المعارف السعودية القى خلالها عدة محاضرات عن الفكر الاسلامي والثقافة الاسلامية .

* معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين ، وهو من تاليف الاستاذ عادل نويهض ، ومن المعروف ان المؤلف اقام فترة بالجزائر وكان رئيسا لمصلحة الصحافة والنشر بها ، والكتاب صدر عن المكتب التجاري في بيروت.

* صدر العدد الثامن من السنة الثانية من مجلة « الاصالة » التى تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية بالقطر الجزائري الشقيق وهو عدد ممتاز ، كبقية اعدادها ، يشمل الذكرى الالفية لتاسيس الجزائر والمدية ومليانة ، وبمناسبة العيد العاشر لاسترجاع الاستقلال .

وفى بداية العدد كلمة قيمة تحت عنوان : « العيد عيدان ، عاشر والفي والذكرى ذكريات » للسيد وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية الاستاذ مولود قاسم .

ويضم العدد عدة مقالات وابحاث ودراسات لاعلام الكتاب والمؤرخين فى القطر الجزائري الشقيق وقد بلغ نحو 368 صفحة ومن المواضيع التى تطرق اليها :

اصول النشاة لمدينة الجزائر – بلقين بن زيري – مدينة الجزائر فى كتاب انجليزي قديم – الحياة الاجتماعية فى مدينة الجزائر ابان الاحتلال – مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والاجنبية – مدينة الجزائر ، تاريخها وحياتها الثقافية – الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا – ابو راس المسكري وتاريخ مدينة الجزائر – الذكرى الالفية لتاسيس مدينة مليانة – مدينة مليانة عبر العصور – اصالة الشخصية الجزائرية – التعليم الاصلي فى الجزائر خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال – البشير الابراهيمي فى المشرق العربي – العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر – الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب فى الميدان الروحي ، الى غير ذلك من المواضيع القيمة والابحاث الناضجة .

وبكل تقدير واكبار فان عدد «الاصالة» عدد خاص بهذه المناسبات ، وممتاز فى اخراجه، ورائع فى موضوعاته الوطنية كما يعتبر وثيقة تاريخية هامة لا يستغني الباحث المعاصر عنها ..

* عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، من تاليف ابي العباس احمد بن عبد الله الغبريني (644 – 714 هـ) ومن تحقيق الاستاذ عادل نويهض ، ومن توزيع دار الآفاق الجديدة فى بيروت .

* كتاب الوفيات ، لابي العباس احمد بن حسن ابن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني ، وهو من تحقيق الاستاذ عادل نويهض ومن منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ، والكتاب يعد معجما زمنيا للصحابة واعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11 هـ الى سنة 807 هـ .

* وافقت وزارة التربية العراقية على ايفاد 50 مدرسا عراقيا الى الجزائر للتدريس فى مدارسها المتوسطة والثانوية للعام الدراسي القادم 1972 – 1973 بينهم 20 مدرسا فى اللغة العربية و 25 فى الرياضيات وخمسة فى الفيزياء .

وجدير بالذكر ان نحوا من 1.000 مدرس ومعلم عراقي قد وفدوا الى الجزائر خلال السنوات الاخيرة للمساهمة فى برنامج التعريب فى الجزائر.

* نشرت صحيفة لوموند الفرنسية يوم السبت 27 مايو 1972 مقالا بعنوان الكنيسة التى ستصبح مسجدا جاء فيه :

من مراسلنا بمدينة (ليل) يقول :

ان الكنيسة المبنية منذ عام 1954 لهذه المدينة كانت مستعملة للسكن من طرف البطارقة ، وهؤلاء يعتبرهم المسيحيون اولياء ، ونظرا لضعف الديانة المسيحية فى نفوس اهل مدينة (ليل) فقد سلمها راهب المدينة الاكبر (ادريان) – وكان مجتهدا فى هذا منذ عشرات السنين – هدية للافارقة العمال من المسلمين فى (ليل) لاقامة شعائر دينهم .

ومدينة (ليل) تقع فى الناحية الشمالية من فرنسا ، ويربو عدد المسلمين هناك على ما يقرب مائة الـف .

هذا وبمناسبة الندوة الصحافية حضر السيد (علي صالح) المكلف العام لدى القنصلية الجزائرية وبمحضره قال الاستاذ (فان) : « ان هذا التعاون الاخوي بيننا وبين الشعوب الاسلامية والانسانية

جمعاء سوف يوطد العلاقات الدائمة بين الشعوب ، وهذه العملية توضح حقيقة الاخوة وتؤكد على استمرار الاحوال من هذا النوع فى كل نواحي فرنسا ، وهذه المواهب لا ينبغي ان تكون محدودة فى اطار الدين ، بل يجب ان تعمم جميع الميادين من معاملات وغيرها ، حتى تتمكن من القضاء على العنصرية فى كل مكان » .

كما توجه السيد « علي صالح » بكلمة شكر اليهم على عنايتهم واهتمامهم فيما يخص ميدان الديانة .

والمسجد هذا سيطرأ عليه بعض الاصلاحات والترميمات وسيكون جاهزا للصلاة فيه ان شاء الله فى شهر اكتوبر القادم .

تـــونـــس :

* صدر عن الدار التونسية للتوزيع والنشر فى تونس الكتب التالية :

ا ـ ديوان حازم القرطاجني .

ب ـ افادة النصيح بالتعريف باسناد الجامع الصحيح لابن رشيد الفهري .

ج ـ السنن الابين فى المحاكمة بين الامامين فى السند المعنعن ، لابن رشيد الفهري . والثلاثة من تحقيق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة عميد كلية الشريعة بجامعة الزيتونة .

د ـ قلائد العقيان للفتح بن خاقان بشرح ابن زاكور ، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفتي الديار التونسية .

هـ ـ طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ، بتحقيق الاستاذ فؤاد سيد .

* اختتمت دار الثقافة ـ رشيق ـ موسمها الثقافي لسنة 1971 ـ 72 باقامة مهرجان كرمت فيه الاديب اللامع محمد العروسي المطوى ، الذى يعد من ابرز ادباء تونس اليوم واكثرهم شهرة وتقديرا ، لا داخل البلاد التونسية فحسب بل وخارج الحدود، خاصة فى البلاد العربية الشقيقة ..

وقد عرف الشاعر المطوي شاعرا ، وقصاصا بارعا ، ومؤلفا غزير الانتاج وديبلوماسيا محنكا ورقيقا

وهو الى جانب عمله الشخصي المتواصل ضمن مسؤوليات عديدة يعمل عملا دائبا لخدمة الثقافة فى تونس ، وتوفير ظروف ملائمة لتفتح القرائح ، وابراز مواهب جديدة من ابناء الجيل فى مجالات الفكر والآداب والفنون .

ومن مؤلفاته :

الحروب الصليبية ـ ومن الضحايا ـ جلال الدين السيوطي ـ النصوص المفسرة ـ امرؤ القيس ـ فرحة الشعب ـ حليمة ، قصة ـ خريدة القصر (تحقيق) اسس التطور والتجديد فى الاسلام ـ تحفة المحبين (تحقيق) ـ من الدهليز .

* سنت دار الثقافة ابن رشيق بحزم مديرها السيد خالد التلاتلي سنة حميدة تتمثل فى عقد ندوة تتناول بالنقاش انتاج اديب تونسي معاصر . وقد تطوع لهذا العمل الاديب الشاب نور الدين بن بلقاسم فقدم فى الاسابيع الفارطة على التوالي دراسات حول قصص البشير خريف ومحمد العروسي المطوي .

وفى هذا النطاق قدم الاديب نور الدين بن بلقاسم يوم السبت 8 افريل 1972 دراسة حول اقاصيص البشير بن سلامة .

ثم وقع نقاش حول مضمون هذه الاقاصيص وشكلها واجاب على اسئلة الحاضرين صاحب الدراسة والقصاص البشير بن سلامة . وقد تناول الكلمة ايضا فى هذه الندوة الاستاذ محمد مزالي والقى اضواء على الظروف التى ظهرت فيها هذه القصص .

* كان الدكتور سهيل ادريس رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين والامين العام المساعد لاتحاد الادباء العرب ضمن الوفد اللبناني بصفته صاحب دار الآداب . وقد حاضر الدكتور يوم الثلاثاء 18 افريل 1972 بدار الثقافة ابن خلدو على منبر اللجنة الثقافية القومية . وقد حضر المحاضرة جمع غفير من المثقفين . وكان قدم الدكتور سهيل ادريس الاستاذ محمد العروسي المطوي نائب رئيس اتحاد الكتاب التونسيين .

* من المعلوم ان المؤتمر التاسع للادباء العرب وكذلك مهرجان الشعر الحادي عشر سينظمان بتونس

حسب ما تقرر بدمشق اثناء انعقاد المؤتمر الثامن للادباء العرب . ولهذا الفرض زار بلاد تونس الشقيقة الاستاذ يوسف السباعي زيارة خاطفة واتصل بهيئة اتحاد الكتاب التونسيين وضبط معها تاريخ المؤتمر 9 والمهرجان الشعري (مارس 1973) وكذلك قائمة البحوث .

وعلمنا ان جلسة الختام لمهرجان الشعر ستنعقد بعاصمة الاغالبة وذلك باقتراح من اتحاد الكتاب التونسيين .

افريقيا

النيجر :

※ استقبل السيد حماني ديوري رئيس جمهورية النيجر الشيخ محمد محمود الصواف المستشار فى وزارة التربية السعودية والمبعوث الخاص للملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية الذى نقل الى الرئيس ديوري رسالة من العاهل السعودي . وصرح المبعوث السعودي عقب المقابلة بانه بحث مع الرئيس حماني ديوري جميع الوسائل المتعلقة بالعالم الاسلامي . وقد أبدى الرئيس ديوري تفهما وادراكا تاما لكل ما يجري فى العالم العربي .

غانا :

※ « أهدت وزارة المعارف السعودية مجموعة من الكتب الدراسية الى مدرسة النهضة للغة العربية والعلوم الدينية والاسلامية فى مدينة تامالي بغانا فى اطار خطة الوزارة الرامية الى تشجيع المؤسسات الثقافية الاسلامية فى البلدان الافريقية والاسيوية .

اكرا :

※ سيوصي المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى غانا رابطة العالم الاسلامي والامانة العامة الاسلامية بتشكيل جمعية عالمية للشبيبة الاسلامية للمساعدة فى نشر تعاليم الاسلام .

وقال الحاج وليامز مدير النشر فى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ان مثل هذه الجمعية للشبيبة ستكون مفيدة ايضا فى مراقبة النشاطات المعادية للاسلام فى بعض انحاء العالم .

واضاف يقول ان مقر الجمعية يجب ان يكون ضمن مكاتب الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي فى جدة وان مجلس ادارة الجمعية يجب أن يكون برئاسة السيد طنكو عبد الرحمان السكرتير العام للامانة العامة .

وقال الحاج وليامز ان المعلومات عن الجمعية سترسل قريبا الى زعماء العالم الاسلامي لدراستها والحصول على تأييدهم لها .

واضاف يقول ان هذه المعلومات سترسل للملك فيصل المعظم ملك المملكة العربية السعودية.

تنزانيا :

※ غادر القاهرة الى دار السلام فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار مدير المساجد فى وزارة الاوقاف المصرية لتولى مهام منصبه الجديد كمدير عام للمركز الاسلامي فى تنزانيا .

وصرح النجار قبل سفره بأن هذا المركز هو الوحيد فى افريقيا ويعتبر نقطة انطلاق للدعوة الاسلامية وللثقافة والتراث العربي الى بقية دول شرق افريقيا بل الى القارة الافريقية كلها .

وقال ان الفرض من انشاء المركز هو ايضاح المفاهيم الاسلامية وتعميقها خاصة وان الاستعمار استطاع خلال الفترة الماضية ان يغير هذه المفاهيم بزعمه أن الاسلام دين تخلف وجهل .

واضاف الشيخ النجار ان المركز الاسلامي فى تنزانيا يستطيع ان يغير من حياة المجتمع الاسلامي هناك عن طريق كشف ما دسه الاستعمار من مفاهيم بين المواطنين .

وذكر ان من واجبات المركز الاسلامي الربط بين المسلمين فى الاقطار بتنزانيا خاصة كينيا وجنوب السودان وايجاد العلاقات الوثيقة فى كل بلد من هذه البلدان منعزلين عن البلد الآخر كما كان للصهيونية العالمية دور فعال فى تحريف مبادىء وقيم الدين الاسلامي .

واكد الشيخ النجار ضرورة ايجاد جهاز اسلامي واحد تكون مهمته نشر الدعوة الاسلامية فى دول افريقية وآسيا ومتابعة الجهود التى تبذل فى هذا المجال .

مصـــــــر :

* تقرر عقد المؤتمر الاول للاتحاد العالمي للشباب في اوائل شهر سبتمبر القادم في القاهرة .

وصرح السيد ابراهيم الطحاوي الرئيس العام لجمعية الشباب المسلمين ان لفيفا كبيرا من زعماء وعلماء المسلمين سيحضرون هذا المؤتمر كما يحضره عدد كبير من المفكرين ورؤساء الجاليات والجمعيات والمراكز الاسلامية في اكثر من ستين دولة من دول العالم .

واضاف السيد الطحاوي ان المؤتمر سيبحث توثيق الروابط بين شباب العالم الاسلامي والقضايا التي تهم الشباب في النواحي الثقافية والاجتماعية.

* صدر المجلد الثامن من كتاب الوافي بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدي تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، وهو يبتديء بمن اسمه احمد الى اسحاق ، ومنذ فترة قريبة صدر منه الجزء الخامس بتحقيق البرت ديتريش .

والكتاب يعد موسوعة في التاريخ والتراجم ، وينتظر ان يصدر في خمسة وثلاثين جزءا .

* ومن كتب التراث التي صدرت اخيرا :

ا : ادب القاضي والقضاة ، للمهلب بن ابي الهيثم ، وهو من تحقيق الاستاذ فرحات الدشراوي، والكتاب يقع في 166 صفحة ، ومن طبع الشركة التونسية للتوزيع .

ب : خريدة القصر للعماد الاصفهاني ، الجزء الثاني من قسم المغرب والاندلس وهو بتحقيق آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، وجاء في 342 صفحة ، ومن نشر الدار التونسية للنشر سنة 1971 .

ج : ادب القاضي لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة 450 هـ ، وقد صدر منه الجزء الاول بتحقيق الاستاذ محيي هلال السرحان ، نشر لجنة احياء التراث برئاسة ديوان الاوقاف العراقي ، وطبع مطبعة الارشاد سنة 1971 .

د : الافحام لافئدة الباطنية الطغام تاليف الامام يحيى بن حمزة العلوي المتوفى عام 745 هـ تحقيق الاستاذ فيصل بدير عون المعيد بكلية الآداب بجامعة عين شمس ومراجعة الدكتور علي سامي النشار نشر منشأة المعارف بالاسكندرية عام 1971 جاء في حوالي 140 صفحة .

هـ : ثورة 1920 في الشعر العراقي ، تاليف الاستاذ عبد الحسين المبارك المعيد بجامعة البصرة وقد ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره ، وطبع مطبعة البصري في بغداد 1970 ، ويقع في 288 صفحة .

* الاستاذ مفاوري السيد احمد بخيت المدرس بمعهد جرجا الديني ، وهو يعد دراسة دكتوراه في اصول الفقه بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، باشراف الدكتور عبد الغني عبد الخالق الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على فهارس المخطوطات بالمعهد لاختيار احداها موضوعا لرسالته .

* الاستاذ سامي نصر لطفي المعيد بكلية آداب عين شمس وهو يعد رسالة للدكتوراه موضوعها (فكرة الجوهر عند فلاسفة الاسلام) تحت اشراف الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* عمدة اهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة اهل التوحيد الكبرى ، تاليف محمد بن يوسف السنوسي المشهور بالسنوسي الاشعري ، اعداد ومراجعة بركات عبد الفتاح دويدار وعبد الفتاح عبد الله بركة ، مطبعة قاصد خير بالقاهرة ، القسم الاول في 179 ص .

* تفسير سورة النور ، لتقي الدين بن تيمية ، تحقيق صلاح عزام، مطبعة دار الشعب في 142 ص.

* تفسير القرآن الكريم لابن كثير القرشي ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد احمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا ، المجلد الرابع الاعداد من 23 ـ 28 ، والمجلد الخامس العدد 29 ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة .

☼ صحيح مسلم ، يحيى بن شرف النووي ، الحنبلي ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد مكتبة تحقيق واشراف عبد الله احمد ابو زينة 7 اعداد من 15 الى 21 ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة .

☼ القواعد فى الفقه الاسلامي ، لابن رجب الكليات الازهرية ، فى 487 ص .

☼ البرهان المؤيد لسيدي احمد الرفاعي ، تحقيق صلاح عزام ، مطبعة دار الشعب فى 111 ص .

☼ الروض الانف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لابي القاسم السهيلي ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، مكتبة الكليات الازهرية ، الجزء الاول فى 310 ص .

☼ رحلة الحيمي الى الحبشة ، تأليف الحسن بن احمد صلاح اليوسفي الحيمي اليماني تحقيق الدكتور مراد كامل ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار العالم العربي فى 128 ص .

☼ يعد الاستاذ تاجع عبد الحافظ مبروك ، المعيد بكلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراه فى اصول اللغة تحت اشراف الاستاذ الدكتور ابراهيم نجا عميد الكلية وقد اطلع على فهارس المعهد لاختيار موضوع مناسب للرسالة .

☼ تعد الانسة صفية احمد عليوة ، المعيدة بكلية البنات بجامعة عين شمس ، بحثا موضوعه : « الاطباء فى مصر الاسلامية والشام » وذلك تحت اشراف الدكتوراه سيدة اسماعيل الكاشف ، وقد اطلعت بالمعهد على مخطوطة روضة الالباء فى تاريخ الاطباء لداود بن نصر الموصلي .

☼ يعد الاستاذ احمد محمد سلامة ، المعيد بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، رسالة دكتوراه فى اصول اللغة باشراف الدكتور ابراهيم نجا عميد الكلية وقد اطلع على فهارس اللغة بالمعهد لاختيار موضوع مناسب للرسالة .

☼ يعد الاستاذ حسن احمد محمد علي ، خبير الانتاج التربوي والثقافي بوزارة التربية والتعليم السودانية ، رسالة دكتوراه موضوعها : « الحياة الاجتماعية الاندلسية كما يعبر عنها الشعر » وذلك فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة باشراف الدكتور نبيه حجاب الاستاذ المساعد بالكلية ، وقد اطلع على المراجع المتعلقة بموضوعه .

☼ ينتظر صدور كتابين من التراث بتحقيق الدكتور رضوان وهما :

ا : ديوان ابن خاتمة الانصاري ، من نشر وزارة الثقافة فى سوريا .

ب : شرح مشكلات ابيات المتنبي لابن سيده، وذلك عن المكتب الاسلامي .

☼ صدر عن الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر كتاب شرح الحكم العطائية من تاليف ابي العباس احمد بن محمد بن عيسى الفاسي الشهير بزروق ، وتحقيق الاستاذ احمد زكي عطي ، والكتاب من منشورات كلية الآداب بالجامعة الليبية ، ويقع فى 495 ص .

☼ الجزء الثامن من مسند الامام احمد بن حنبل بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة ، ويقع فى 309 ص .

☼ شرح الاربعين النووية فى الاحاديث الصحيحة النبوية للامام يحيى بن شرف الدين النووي ، وهي الطبعة السابعة للكتاب ، مطبعة شركة الشمرلي فى 95 ص .

☼ جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير اجلال الدين السيوطي ، العدد السابع من الجزء الاول فى السنن القولية ، مجمع البحوث الاسلامية بالازهر فى 128 ص .

☼ ينتظر ان يصدر قريبا كتاب « ما تفرد به بعض أئمة اللغة » للامام الحسن بن محمد الصاغاني المتوفى سنة 650 هـ ، بتحقيق الاستاذ مصطفى حجازي مراقب المعجمات واحياء التراث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويتضمن الكتاب اربعة

اقسام : الاول فى القراءات الشاذة منسوبة الى أصحابها ، والثاني ما تفرد به يونس بن حبيب ، والثالث ما تفرد به أبو حاتم السجستاني ، والرابع ما تفرد به بعض الائمة ووجد فى شروحهم لدواوين بعض الشعراء .

* اتم الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ فى جامعة بغداد المنتدب الى كلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، تحقيق كتاب « معجز احمد او اللامع العزيزي لابي العلاء المعري » ، ومن المنتظر ان ينشر الجزء الاول منه قريبا .

* توقفت لجنة الفاظ الحضارة فى المجمع اللغوي عن العمل نتيجة مرض مقررها محمود تيمور. حفظ الله الاستاذ الغالي ومتعه بالعافية .

* صدر بالقاهرة كتاب «المرأة والجنس» تأليف الدكتورة نوال السعداوي وهو اول كتاب باللغة العربية يعالج قضية المرأة والجنس من جوانب متعددة بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا .

* « النقد الادبي فى العصر المملوكي » للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة استاذ البلاغة والنقد الادبي بكلية الاداب بجامعة قسنطينة صدر عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة فى 500 صفحة حجم كبير .

* نوقشت بالمعهد العالي للتربية الموسيقية بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من السيدة نفيسة حسن زغلول عن « دور الموسيقى فى تربية الطفل » .

* « ادب شوقي فى السياسة والاجتماع » دراسات مقارنة تأليف الدكتور احمد سويلم العمري صدر عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

* صدر بالقاهرة كتاب « قضية السفود بين العقاد وخصومه » تأليف العوضي الوكيل . والكتاب مناقشة عادلة للقضية بخلفياتها السياسية والتاريخية واستعراض واف دقيق ومنصف لكتاب « على السفود » للرافعي ذلك الكتاب الذى احدث ضجة هائلة بصدوره . منشورات مكتبة الانجلو المصرية .

* صدر مؤخرا المجلد السابع عشر من مجلة معهد المخطوطات العربية (لسنة 1971) وهو يتضمن نصوصا مهمة منها :

أ ـ عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب فى صناعة الكتاب للمعز بن باديس .

ب ـ لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام للسكوني .

ج ـ مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة .

هذا غير المقالات الاخرى فى النقد والتعريف وقوائم المخطوطات غير المفهرسة فى العالم .

* نشر معهد البحوث والدراسات العربية فى القاهرة (قدسنا) فى 700 صفحة وهي المحاضرات التى القاها المؤرخ الاردني محمود العابدي فى المعهد خلال شهر فبراير من العام الجاري .

* صدر حديثا « الحب يسألكم المغفرة » الديوان الاول لشاعر اسيوط الشاب احمد هريدي.

* دراسة مقارنة عن القصص القصيرة التى كتبها نجيب محفوظ فى الفترة الاخيرة تجريها الآن الجامعة الامريكية بالقاهرة . تقوم بالبحث الطالبة فيوليت نجيب وتتناول فيه الاتجاهات الجديدة فى ادب نجيب محفوظ من خلال مجموعاته القصصية : تحت المظلة ، وحانة القط الاسود ، وشهر العسل .

* مجموعة الالفاظ التى عربها المجمع اللغوي بالقاهرة خلال دورته الحالية ستجمع فى مجلد واحد لراغبي الاطلاع عليها مع ذكر اصول كل كلمة .

* الصحفي المصري محمد نجيب استاذ لجيل كبير من الصحفيين اخرجت له المطبعة العربية حديثا كتابه « شخصيات وذكريات فى السياسة المصرية » .

* رسالة ابن المنجم فى الموسيقى وفك رموز كتاب الاغاني : كتاب جديد تأليف الدكتور يوسف شوقي خبير الموسيقى بوزارة الثقافة والاعلام المصرية تناول فيه رسالة ابن المنجم ، وهي اقدم رسالة علمية فىالموسيقى العربية بالتحقيق والشرح وانتهى

الى ان هذه الرسالة تحتوي ضمن ما تحتوي على مفتاح رموز كتاب الاغاني الاصفهاني على مذهب اسحاق بن ابراهيم الموصلي والكتاب باللغتين العربية والانجليزية . كذلك يهتم الدكتور يوسف شوقي بكتاب « شرح الفارابي » وهو فى عدة اجزاء يتناول كل واحد منها من الموضوعات التى تناولها الفارابي بالعرض فى كتابه الموسيقي الكبير .

❊ صدر عن الهيئة المصرية للتاليف والنشر بالقاهرة كتاب « معروف الرصافي شاعر العرب الكبير : حياته وشعره » تاليف قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي فى 394 صفحة حجم كبير .

❊ صدرت فى القاهرة الكتب التالية : تائه فى لندن لمحمد عفيفي . المرايا لنجيب محفوظ . الاسوار العالية قصة لعباس الاسواني . النقاب الازرق لعبد الحميد جودة السحار . ماذا كتب وقال هؤلاء عن امهاتهم والى امهاتهم ؟ لفتحي الابياري . جرائم عالمية لعبد الرحمن فهمي . رجال ونساء لاحمد الصاوي محمد . الدين والشباب لمنصور حامد نسيم . الاسلام والاسرة للدكتور محمود بن الشريف . كلمات خضراء فى طريق النور للشاعر محمد حليم غالي . من اخطاء القضاء لحسن الجداوي . الحرب عبر التاريخ لمونتجمري ترجمة وتعليق العميد فتحي عبد الله النمر . فى علم النفس التجريبي الدكتور احمد زكي صالح . الفلسفة الوضعية المنطقية فى الميزان للدكتور هديدي . دموع فى عين ضاحكة مجموعة قصص ليوسف جوهر .

❊ قدم الدكتور رمضان عبد التواب الاستاذ المساعد بكلية الاداب بجامعة عين شمس كتاب « الاشتقاق » للاصمعي المتوفي سنة 226 هـ الى دار الفكر ببيروت للقيام بطبعه . وقد اعتمد المحقق على 3 نسخ خطية للكتاب احداها من مكتبة رئيس الكتاب والثانية من مكتبة مشهد وكلتاهما باستامبول ثم نسخة من دار الكتب المصرية ومن المعروف ان طبعتين قد صدرتا للكتاب لم تعتمد كل منهما الا على نسخة واحدة للكتاب . كذلك ينتظر ان يصدر قريبا كتاب « البلغة فى تاريخ ائمة اللغة » للفيروزابادي المتوفي سنة 817 هـ . بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب أيضا عن دار الفكر العربي ببيروت .

❊ نوقشت بجامعة الازهر رسالة الدكتوراه المقدمة من محمد عبد الستار نصار المعيد بكلية اصول الدين وموضوعها « المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام — عرض ونقد » .

❊ صدر بالقاهرة « ديوان الحب » للشاعر عبد الرحمن الخميسي . سبق ان صدر له « أشواق انسان » و « دموع النيران » صدر الديوان عن سلسلة كتب جديدة بعنوان « مطبوعات عبد الرحمان الخميسي » .

❊ نوقشت فى كلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من اسماعيل سالم المدرس بالتعليم الثانوي وموضوعها « الحافظ بن كثير ومنهجه فى التفسير » .

❊ صدر بالقاهرة كتاب « طبقات المفسرين » للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداوودي المتوفى سنة 945 هـ ، بتحقيق استاذ علي محمد بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . ويقع الكتاب فى جزاين الاول فى 457 صفحة ، والثاني فى 548 صفحة وقد زود المحقق بـ 9 فهارس كاشفة للكتاب ومحتوياته ، وقامت بنشره مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة .

❊ تمت مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الاستاذ كاظم بحر ، وموضوعها تحقيق ودراسة كتاب التكملة لابي علي الفاسي ، وذلك فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكانت اللجنة مكونة من الدكتور حسين نصار رئيسا ، والدكتورين رمضان عبد التواب وحسن ظاظا عضوين ، وقد منحته اللجنة درجة الامتياز مع التوصية بطبع الرسالة .

❊ يعد الاستاذ فاروق احمد حسن دسوقي ، من الاسكندرية ، رسالة دكتوراه فى الفلسفة الاسلامية موضوعها : « مشكلة الحرية لدى الفلاسفة والصوفية فى الفكر الاسلامي » وذلك فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية باشراف الدكتور على سامي النشار .

* نوقشت مؤخرا الرسالة المقدمة من الاستاذ محمد طموم لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الازهر ، وكان موضوعها : تحقيق ودراسة كتاب الفروق فى فروع الحنفية لجمال الدين أبي المظفر اسعد بن محمد الكرابيسي النيسابوري المتوفى سنة 570 هـ ، وناقشتها لجنة مكونة من الدكتور محمد علي السايس عميد كلية الشريعة مشرفا ، وعضوية الدكاترة بدران ابو العينين بدران رئيس قسم الشريعة بحقوق جامعة الاسكندرية وعبد الغني عبد الخالق رئيس قسم الاصول بكلية الشريعة ومحمد انيس استاذ الفقه المقارن بالكلية وقد اجيزت الرسالة ومنح الطالب درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

* اقام المجمع اللغوي بالقاهرة حفل تأبين للمستشرق الانكليزي عضو المجمع السر هاملتون جب . تحدث فى الحفل الدكتور مهدي علام .

* فقدت الاسكندرية الشاعر عبد القادر العوا والقصاص المقدم احمد الجوهري ، كما فقدت شاعرها الكبير عبد اللطيف النشار عن 77 عاما ، ترك الشاعر ديوانين هما « نار موسى » و « جنة فرعون » كما ترك عددا كبيرا من الروايات المترجمة وفى مقدمتها كوخ العم توم وحاجي بابا اصفهاني وكان قد نشرها فى مجلة « الرواية » التى كان يصدرها احمد حسن الزيات رحمه الله

* تصدر وزارة الثقافة والاعلام بالقاهرة مجموعة كتب مصورة عن الفنانين المصريين راغب عياد ومحمود سعيد وعبد الهادي الجزار وتضم صورا عن لوحاتهم وأعمالهم . الكتاب الاول عن محمود سعيد . ويشرف على اصدار المجموعة الفنان عبد الفتاح عيد .

* « الفكر المصري الحديث » مجموعة محاضرات القاها الدكتور عبد المنعم تليمة مدرس الادب والنقد بكلية الآداب بجامعة القاهرة عن : رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعلى عبد الرزاق ولطفي السيد وشبلي شميل ومحمد مندور وطه حسين .

* رشح المجمع اللغوي بالقاهرة محمد خلف الله احمد والدكتور مهدي علام العضوين به للفوز بجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عن عام 1972.

* نوقشت بكلية الآداب بجامعة القاهرة رسالة الماجستير التى قدمها عبد العزيز شرف المحرر بالاهرام وعنوانها « الفن الصحفي عند الدكتور محمد حسين هيكل » .

* من كتب التراث العربي التى صدرت حديثا بالقاهرة : « درء تعارض العقل والنقل » للامام ابن تيمية تحقيق الدكتور رشاد سالم ونشر تحقيق التراث بدار الكتب المصرية و « كتاب الجفر الجامع والنور اللامع » المنسوب لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه وبآخره رسالة فى الشعرى اليمانية وهي فى علوم النجوم مجموعة من اقوال هرمس الحكيم ، والكتاب من نشر مكتبة الكليات الازهرية . و « الشكوك على بطليموس » للحسن بن الهيثم تحقيق عبد الحميد صبره ونبيل الشهابي ومراجعة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور نشر وتحقيق التراث بدار الكتب المصرية . و « نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان » لعلي بن داود بن ابراهيم المعروف بابن الصيرفي وهو الجزء الثاني من الكتاب تحقيق وتعليق الدكتور حسن حبشي ونشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب و « لطائف الاشارات فى علم التفسير » للقشيري صدرت منه ستة اجزاء بتحقيق الدكتور محمود بسيوني ونشر الهيئة المصرية للتاليف والنشر و « كتاب النبات » لعبد الملك بن قريب الاصمعي المتوفي سنة 226 هـ وهو من تحقيق عبد الله يوسف الغنيم .

العـــــراق :

* فرغ الدكتور يحيى الجبوري الاستاذ المساعد بكلية الاداب بجامعة بغداد من تحقيق الكتب الآتية ودفع بها الى المطبعة :

أ ــ شعر الحارث بن خالد المخزومي ــ جمع وتحقيق ودراسة .

ب ــ شعر عبده بن الطبيب ، جمع وتحقيق ودراسة .

جـ ــ الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، تاليف .

هذا وقد فرغ ايضا من تحقيق الكتب التالية وسوف تأخذ دورها الى الطبع :

ا ـ شعر عبد الله بن الزبير الاسدي ـ جمع وتحقيق ودراسة .

ب ـ الموفقيات للزبير بن بكار ـ حققه على عدة نسخ مخطوطة ومطبوعة .

ج ـ شعر هدبة بن الخشرم العذري ـ جمع وتحقيق ودراسة .

د ـ شعر عبد الرحمن بن حسان الانصاري ـ جمع وتحقيق ودراسة .

* صدر ايضا شعر ابي اسحاق الخريمي المتوفى سنة 212 هـ ، من جمع وتحقيق الاستاذين علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد ، وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره وطبع في بيروت في 102 صفحة .

* « الوشم » رواية قصيرة آخر ما صدر للقاص العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي .

* الاديب العراقي وحيد الدين بهاء الدين يعد كتابين للطبع . الاول عنوانه « شعراء وادباء » يضم دراسات عن المحاسني وشكر الله الجر ووديع رشيد الخوري والدكتور سليمان داود وسامي الكيالي وعدنان مردم بك وجبرا ابراهيم جبرا والدكتور عدنان الخطيب والندوي الملثم وغيرهم . والكتاب الآخر بعنوان « من الادب العراقي المعاصر » ويضم دراسات عن الرصافي والاثري ومصطفى علي وجعفر الخليلي ورفائيل بطي وخالد الشواف والدكتور صفاء خلوصي وغيرهم .

* دخلت مجلة « الكلمة » العراقية عامها الرابع وخصصت العدد الاول من هذا العام للنقد الادبي الحديث . وتضمن العدد الثاني مقابلة مهمة مع الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري . وتستعد لاصدار عدد خاص بالقصة .

* اعد الدكتور مهدي المخزومي كتابا جديدا عن الخليل بن احمد الفراهيدي بناء على تكليف من وزارة الاعلام العراقية لمناسبة مهرجان المربد الثاني وتخصيص يوم منه للفراهيدي .

* صدر للاديب العراقي مهدي شاكر العبيدي كتاب « في رحاب الكلمة » وكان قد اصدر قبله « حوار في مسائل ادبية » .

* تقوم وزارة الاعلام العراقية بنشر آخر ديوان لمحمد مهدي الجواهري بعنوان « خلجان » كما انها تعد العدة لنشر اعماله الكاملة موحدة .

* من المنتظر ان يصدر خلال الاشهر القريبة الجزء الثاني من كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني المتوفى سنة 27 هـ بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي من اساتذة كلية الاداب بجامعة بغداد ، هذا وقد عثر المحققان على نسخة اخرى من هذا الجزء كاملة في مكتبة الامبروزيانا بميلانو بايطاليا .

* زار معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في الفترة الاخيرة الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين ، الامين العام للمجمع العلمي العراقي ، وعضو المجمع والكتاب العراقيين ببغداد . بعد عودته من جولة في تونس القى خلالها عددا من المحاضرات بدعوة من الجمهورية التونسية وكان موضع حفاوة الاوساط الجامعية والادبية والعلمية وقد زوده المعهد بآخر مطبوعاته .

سوريا :

* صدر عن دار المكتب الاسلامي في دمشق كتاب « ابن خفاجة الاندلسي » وهي دراسة قيمة من تاليف الدكتور محمد رضوان الداية المدرس بكلية الآداب بجامعة دمشق .

* تلقى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رسالة من الاستاذ الدكتور شاكر الفحام ، رئيس المجلس الاعلى للعلوم ووزير التعليم العالي في سورية يطلب فيها تزويد المجلس بنسخة مصورة من كل من كتاب « الاغذية » وكتاب « جمع الفوائد المنتخبة » تاليف الطبيب العربي الاندلسي عبد الملك بن زهر الايادي (464 ـ 557 هـ) الموافق (1072 ـ 1167م) تمهيد الاصدار تحقيق او دراسة عنهما أو نشرهما مجددا .

وكان المجلس الاعلى للعلوم في سورية قد الف لجنة اوكل اليها تنظيم احتفال بالذكرى التسعمائة لمولد عبد الملك بن زهر الايادي وذلك خلال اسبوع العلم الثالث عشر الذي سيقام في مدينة حلب خلال الفترة من 18 الى 24 تشرين الثاني (نوفمبر) 1972 .

وقد اشار الاستاذ خير الدين الزركلي في الاعلام الى انه طبيب اندلسي من اهل اشبيلية لم يكن في عصره من يماثله في صناعته صنف كتبا منها : كتاب التيسير في المداواة والتدبير – وكتاب الاغذية – وكتاب الجامع في الاشربة والمعجونات . وتوفي في اشبيلية . وقد ترجمت كتبه الى اللاتينية والعبرية وظل تأثيره البالغ في الطب الاوربي حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، كما ان كتابه « التيسير » طبع باللاتينية في البندقية سنة 1490 م .

※ الكاتب الحلبي محمد رواس قلعجي يعكف على اعداد دراسة بعنوان (ابراهيم النخعي : عصره وحياته وفقهه) لنيل الدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الازهر في مصر .

※ اسرة الفقيد الدكتور زكي المحاسني تشكر الاخوة من ادباء العالم العربي الذين تفضلوا بالتعزية معتزة بصداقتهم الوفية .

※ الاديب السوري علي الامير ملحم حقق ديوان الامير مسجد الحلي الاسدي وسيصدر قريبا عن دار الثقافة ببيروت .

※ صدر عن دار دمشق للطباعة والنشر في سلسلة الافكار كتاب « دراسة في البيروقراطية السورية » تأليف سمير عبده في 48 صفحة حجم كبير .

※ يعد الاستاذ محمد خير الحلواني ، من حلب بسوريا ، رسالة دكتوراه في النحو موضعها : « الاحتجاج في اللغة » وذلك في كلية الاداب بجامعة عين شمس باشراف الدكتور رمضان عبد التواب .

※ وجه خلف الله احمد مدير معهد البحوث والدراسات العربية في جامعة الدول العربية بالقاهرة دعوة الى الشاعر عدنان مردم بك لالقاء سلسلة من المحاضرات عن المسرحية الشعرية في سوريا .

※ الاديب السوري محمد حسن الحمصي صدر له كتاب جديد بعنوان (النحلة تسبح الله : بلقة العلم ولسان الواقع) في 210 صفحات .

※ أتم الدكتور سهيل زكار المدرس بجامعة دمشق تحقيق الكتب التالية ، وسوف يدفع بها الى الطبع :

أ – بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (الجزء الاول) .

ب – سيرة الهادي الى الحق مؤسس الدعوة الهدوية الزيدية في اليمن في اواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجري .

ج – شرح الكسب وهو لمحمد بن الحسن الشيباني وشرح الامام السرخسي .

※ القي الدكتور عبد السلام العجيلي محاضرة في نادي شباب العروبة في حلب عنوانها (بين الداء والدواء) .

※ صدر في دمشق (الليالي) للشاعر الفرنسي الفريد دي موسيه ترجمة وجيه وهيه الخوري في 88 صفحة .

※ القي فريد جحا محاضرة في نادي الشبيبة بحلب استعرض بها كتاب المؤرخ الفرنسي سوفاجيه حول حلب الشهباء .

※ يقوم المجلس الاعلى للعلوم بالجمهورية العربية السورية بالاحتفال بالذكرى التسعمائة لميلاد العالم والطبيب العربي الشهير عبد الملك بن زهر الايادي الذي ولد عام (464 هـ – 1072 م) وذلك خلال اسبوع العام الثالث عشر الذي سيقام في حلب في الفترة بين 18 – 24 / 11 / 72 ، وستشارك في ذلك الاحتفال اللجنة الوطنية لليونيسكو الباكستانية والهيئات العلمية بالقطر العربي السوري .

هذا وقد بعث معالي الاستاذ الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي وأمين المجلس الاعلى للعلوم برسالة الى المعهد يستوضح فيها عن مخطوطات المؤلف العربي الموجودة بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ، وقد وافاه بما لديه منها ، ونحن نرجو لهذا الاحتفال وباحياء ذكرى ابن زهر كل التوفيق .

※ أصدرت مجلة « الضاد » الحلبية عددا خاصا عن « جامعة الادب العربي في أمريكا الشمالية وكندا »

ساهم في تحريره ادباء وشعراء الجامعة ، ويعتبر هذا العدد مرجعا في تاريخ حياة هؤلاء الادباء والشعراء .

❊ تم وضع أول معجم عربي لمصطلحات الطيران المدني خلال الاجتماعات التي عقدها ممثلون مختصون عن ادارات الطيران المدني في سوريا ومصر وليبيا والسودان والجزائر والعراق في القاهرة .

وسيعرض على المكتب الدائم للتعريب التابع لجامعة الدول العربية بهدف تعميم استخدامه في اقطار العالم العربي .

❊ صدر عن دار الاجيال بدمشق كتاب جديد لعدنان بن ذريل عنوانه « ظواهرية الوجود الجدلي : دراسة وجودية في النقيض » في 112 صفحة .

❊ من المنتظر ان يصدر في سلسله مطبوعات المجمع اللغوي بدمشق « شرح ديوان ذي الرمة » للامام ابي نصر احمد بن حاتم الباهلي صاحب الاصمعي المتوفى سنة 231 هـ . برواية الامام ثعلب المتوفى سنة 291 هـ . وقد حققه وقدم له الدكتور عبد القدوس ابو صالح المدرس بكلية اللغة العربية بالرياض وهو موضوع رسالة جامعية الى كلية الآداب بجامعة القاهرة نال بها صاحبها الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى . وقد امضى ست سنوات في اعداد هذه الرسالة واستطاع ان يجمع 42 مخطوطة من اصول الديوان وشروحه ومختارات متناثرة في مختلف المكتبات العالمية .

❊ « همزات شيطان » مجموعة شعرية لرفيق فاخوري صدرت في حمص وتقع في 114 صفحة وهي في شكل رباعيات .

❊ صدر في دمشق الجزء الثالث من المجلد الاول وهو عن حرف ت من الموسوعة الموجزة التي يصدرها حسان بدر الدين الكاتب .

❊ اهتدى الشاعر الحلبي محمد الحسناوي في بحثه الجامعي « الفاصلة في القرآن » الى أن اصل الموشحات الاندلسية ، خلافا للشائع ، يرجع الى فواصل القرآن الكريم . كما ان معطيات الفواصل ستثري الشعر الحديث فيما استقر عليه من أوضاع وفيما لم يستقر وفيما لم يخطر على بال الشعراء المحدثين بعد .

لبنان :

❊ توفي في بيروت الاستاذ محمد الباقر (80 عاما) مؤسس جريدة « البلاغ » والراحل الكريم من رجال الرعيل الاول ومن صحافيي الطليعة ، والده الميرزا باقر الذي رافق السيد جمال الدين الافغاني . وقد امتهن الصحافة ما يقرب من 60 عاما .

❊ صدر في بيروت للشاعر اسكندر داغر ديوانه الشعري الاول بعنوان « اللذة الهاربة » في 144 صفحة ويقول الشاعر في ديوانه الجديد : « انه مجرد مواقف من قضايا مختلفة ومشاعر خاصة عبر عنها باسلوب مشرق وعفوية صادقة وكلمة حلوة »، في (اللذة الهاربة) رؤى شعرية شفافة تسرد بتسلسل انعكاسات انسان اكتشف بطاقة هويته فكان اسمه الحقيقة وعمره عمر المحبة .

❊ توفي في بيروت الاستاذ فؤاد البدوي صاحب جريدة (الصباح) والفقيد من رجال الرعيل الاول وقد عمل في عدة صحف وراسل عدة صحف مصرية وسورية .

❊ امسية شعرية احياها عمر ابو ريشة في طرابلس بمعهد الفرير بدعوة من نقابة معلمي المدارس الخاصة وقد اعقب الامسية حفلة عشاء كبرى اقيمت تكريما للشاعر .

❊ نشرت دار النور في بيروت كتاب الجهاد للامام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة 181 هـ بتحقيق الاستاذ نزيه حماد .

❊ ينتظر ان يصدر قريبا الجزء الثاني من كتاب ادب القاضي للماوردي ، بتحقيق الاستاذ محيي هلال سرحان ، وهو الحلقة الرابعة من سلسلة احياء التراث الاسلامي التي تصدر عن رئاسة ديوان الاوقاف، وبهذا الجزء يتم الكتاب .

❊ توفي في بيروت الاستاذ حسن قبلان المدير العام السابق لوزارة العدل واستاذ علم الاجتماع

الاسلامي في معهد الاداب الشرقية واستاذ النظم الاسلامية في الجامعة اللبنانية ونائب رئيس معهد علم الاجتماع الدولي وعضو اكادمية البحر الابيض المتوسط في ايطاليا وعضو الجمعية الاسلامية للحقوق الدولية. والفقيد من مواليد بلدة شحيم 1907 وله مؤلفات وأبحاث عدة بالفرنسية والعربية في مواضيع قانونية واجتماعية .

السعودية :

* سيبدأ قريبا مشروع مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة . وقد روعي في اسلوب الخدمات التي ستؤديها المكتبة احدث ما وصل اليه العلم في مجال المكتبات كما روعي في تصميم المبنى العودة الى الطراز الاسلامي ، وتبلغ تكاليف اقامة المبنى الضخم للمكتبة 7 ملايين ريال وسيضم مليون كتاب .

* صرح الشيخ ابراهيم العنقري وزير الاعلام السعودي بانه بناء على توجيهات الملك فيصل لخدمة الاسلام والمسلمين وحتى يكون صوت السعودية دائما وأبدا مصدر خير وهداية فقد تقرر تخصيص موجة اذاعية في كل من جدة والرياض تسمى (اذاعة القرآن الكريم) لتبث برامجها يوميا مدة ست ساعات على ان يشكل القرآن الكريم بنسبة الارسال 75 ٪ وتشكل الاحاديث والبرامج الدينية وتفسير القرآن الكريم 75 ٪ من مجموع ساعات البث ، وستستمر باقي الموجات العاملة في كل من جدة والرياض والدمام في بث برامجها اليومية المعتادة .

* ظهر في الرياض العدد السادس من المكتبة الصغيرة التي يشرف عليها الاديب السعودي عبد العزيز الرفاعي وهو (عن أم عماره الصحابية الباسلة) بقلم الرفاعي ، ويظهر العدد السابع من المكتبة الصغيرة بعنوان « عبقري من ينبع » تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

* تبرعت المملكة العربية السعودية بما مجموعه 150 مليون ريال اي 15 مليون جنيه استرليني لمنظمات تعليمية وخيرية اسلامية مختلفة في جميع أنحاء العالم. وقد قدمت التبرعات على شكل اموال وكتب وخدمات تعليمية وغير ذلك . كما ان الحكومة السعودية تبرعت بمبالغ كبيرة لترجمة القرآن الحديثة الى اللغة اليابانية .

* أصدرت اللجنة الثقافية بكلية الاداب بجامعة الرياض العدد الاول من مجلة (الفكر) وهي مجلة ادبية ثقافية متنوعة اشترك في تحريرها طلاب ومعيدو الجامعة وكتب افتتاحية العدد عميد الكلية الدكتور عبد الرحمن الانصاري .

* صدر كتاب (ابو دلف عبقري من ينبع) تاليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في سلسلة المكتبة الصغيرة في 112 صفحة ، وقد طبع في مطابع الجزيرة بالرياض .

* افتتح في الدمام المعهد السعودي الفرنسي وقد وصل الى الدمام مدير المعهد المسيو لوردكا ريتيه ويقوم المعهد بتعليم اللغة الفرنسية باحدث الوسائل السمعية والبصرية والدراسة مجانية ومسائية وباشراف وزارة المعارف وهو ثالث معهد من نوعه في المملكة .

* تقوم ادارة المكتبات العامة بوزارة المعارف السعودية بدراسة اقامة معرض متنقل للكتاب يعرض في مدن المملكة بمناسبة العام الدولي للكتاب حيث اوصت اليونسكو بأن يكون عام 1972 عاما دوليا للكتاب .

* اكد الشيخ ابراهيم العنقري وزير الاعلام السعودي ان وكالة الانباء الاسلامية لا يمكن ان تلغي عمل وكالة الانباء السعودية ذلك أن نشاط الاولى ينحصر في تقريب وجهات نظر الدول المشتركة في المؤتمر الاسلامي وربط علاقاتها الاعلامية والتعريف بالانجازات وتوضيح المواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصحيحة عن طريق تعميم الحقيقة ونشرها ، وقال الشيخ العنقري بان الوكالتين تكملان بعضها البعض في اطار العمل الاعلامي الموحد الذي نرجو ان يتحقق في المستقبل .

* حرصا من الملك فيصل على العناية بالتراث الاسلامي وعونا منه على نشر العلم وتوفير الفرص للعلماء وطلبة العلم اصدر أمره الى وزير المالية السعودية بشراء دار المرحوم محمد نصيف بما تحويه من كتب لتكون مكتبة اسلامية عامة من ارتيادها والانتفاع بها أهل جدة والوافدين اليها .

* صدرت مجلة كلية الشريعة فى مدينة الرياض حافلة بالدراسات الاسلامية المختلفة .

* افتتح أول معهد للصم والبكم فى مدينة جدة حيث ستبدأ منطقة جدة التعليمية بتسجيل طلبات الالتحاق بهذا المعهد ، وقد أطلق الى قسمين للذكور والاناث ، وزود بالمتطلبات الفنية اللازمة له .

* اصدرت مجلة « العرب » لصاحبها ورئيس تحريرها العلامة الشيخ حمد الجاسر والتي تصدر عن دار اليمامة بالرياض عددا خاصا بالمجامع العربية : مجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* تعتزم جماعة الملك عبد العزيز القيام بتكملة وانشاء معامل المختبرات والمكتبة والمسجد فى كل من كليتي التربية والشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة . وتجدر الاشارة الى ان جامعة الملك عبد العزيز ستقوم ايضا ببعض الاعمال الانشائية التي من شانها توسعة جميع كلياتها حتى تستوعب عدد الطلبة الملتحقين بها فى المستقبل .

* صرح تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية لوكالة الانباء الاسلامية بأن الهزيمة التي واجهها المسلمون فى الشرق الاوسط وشبه القارة الهندية كانت اقسى تجربة يعانيها المسلمون فى العصر الحديث .

وقال الامين العام ان هذه التجربة ارادها الله ليذكر بها عباده باخطائهم وسيئاتهم .

وبالنسبة للشؤون العربية قال ان العرب كانوا امة عظمى حملت راية الاسلام لاقصى الارض واقاموا حضارة زاهرة فى بلاد لم تعرف التقدم ولكنم بمرور الزمن نسوا واجباتهم كشعب مسلم واستكانوا الى حياة الرفاهية فكان ذلك سببا فى انحدارهم .

واشار الى انه قد اشار الى ذلك فى الخطاب الذي القاه فى الجمعية الاسيوية الملكية فى مجلس اللوردات فى لندن فى 18 مايو الماضي والذي اعلن فيه عن ثقته وتصميمه على العمل لانجاح المؤتمر الاسلامي .

وقال ان الفيصل المعظم وملوك ورؤساء العالم الاسلامي الاخرين قرروا تركيز جهودهم تحقيقا للوحدة الاسلامية .

واعرب الامين العام عن اعتقاده بانه طالما تحققت هذه البداية فلن تكون هناك راجعة الى الوراء فى طريق التضامن الاسلامي .. وانه اذا فشل المؤتمر الاسلامي ـ لا سمح الله ـ فانه ليس هناك امل فى الشعوب الاسلامية لتحقيق وحدتها .. ولكن الدلائل المشجعة كثيرة .

وعن توقعاته حيال مساهمة الدول الاعضاء قال: ان تنفيذ الالتزام بما وعدت كل الدول المساهمة امر هام فى انجاح المؤتمر .

ورد على سؤال حول تطور مشروع وكالة الانباء الاسلامية قال : انه تقرر بعد مؤتمر جدة لوزراء خارجية الدول الاسلامية عام 72 اتخاذ اجراءات ايجابية لانشاء وكالة انباء اسلامية بعد ان شعرت باهمال اخبار المؤتمر من قبل الصحافة الاجنبية .

* وقعت سلطنة عمان بتاريخ 11 فبراير ـ شباط 1972 فى مدينة لندن على الميثاق التأسيسي لليونسكو ، وأودعت وثيقة قبولها لهذا الميثاق لدى حكومة المملكة المتحدة . وبذلك تصبح عمان الدولة العضو رقم 128 بالمنظمة . وقد سبق ان انضمت البحرين وقطر ، وهما دولتان واقعتان على ساحل شبه الجزيرة العربية ، فى شهر يناير ـ الماضي .

* وصل السعودية وفد من الحقوقيين العالميين الفرنسيين فى زيارة للمملكة نظمتها جمعية الصداقة الفرنسية السعودية للاطلاع على آفاق تطبيق حقوق الانسان فى شريعة الاسلام ، كما شرحتها مذكرة المملكة العربية السعودية الموجهة للهيئات الدولية .

عمان :

* باشرت مطبعة القوات العسكرية فى عمان طبع (ذكرى العودات البدوي الملثم) وهو كتاب فى 100 صفحة حجم كبير يحتوي على المراثي الشعرية والنثرية التي كتبت فى اثر وفاة يعقوب العودات وعلى مقدمه لمكتب لجنة التأبين والقصائد والكلمات التي القيت فى حفلة التابين وقصائد وكلمات الدول العربية

وستبعث لجنة التأبين نسخة من الكتاب الى أصحاب القصائد والكلمات والى أصدقاء الفقيد .

* صدر في منشورات مكتبة عمان كتاب (كيف تكتب بحثا جامعيا) تأليف الدكتور عمر جبرين .

* بدأت المطبعة العصرية في بيروت بطباعة كتاب « عروبة فلسطين في التاريخ » تأليف محمد اديب العامري وزير الخارجية الاردنية السابق ويتناول الكتاب التاريخ السياسي لفلسطين منذ القدم الى العهد الاسلامي مبينا عروبة فلسطين الدائمة وزيف الدعاوي اليهودية والصهيونية في أي « حق » او « وعد » تاريخي لهم في البلاد ويقع الكتاب في 300 صفحة حجم كبير ، ويصدر باشراف « مركز الابحاث الفلسطينية » .

* صدر عن مكتبة الاقصى بعمان كتاب « التركات والوصايا في الفقه الاسلامي » تأليف الدكتور أحمد الحصري الاستاذ بكلية الشريعة في الجامعة الاردنية ويقع في 600 صفحة .

أوروبا :

فرنسا :

* قرر وزير التربية الوطنية في فرنسا بمناسبة العام الدولي للكتاب ، أن يسلم لكل عروسين « هدية زواج » عبارة عن خمسة من الكتب الادبية المجلدة احسن تجليد ، من يد عمدة المدينة أو البلدة بعد عقد مراسم الزواج . وسيبدأ تسليم هذه الهدية اعتبارا من ابريل وحتى آخر ديسمبر 1972 .

وقد وقع الاختيار على عشر مؤلفات من روائع الادب الفرنسي الكلاسيكي على ضوء نتائج الاستفتاء التي اجريت بالمكتبات . وهي تشمل مؤلفات كبار الادباء الفرنسيين من امثال بلزاك وشاتوبريان وفلوبير وفيكتور هيجو وستندال وفولتير ومدام لافييت وفرومانتان .

وتبلغ تكاليف هذه العملية حوالي 6 500 000 فرنك فرنسي تمثل 1 900 000 نسخة ستوزع على 350 000 اسرة جديدة .

* يجري العمل حاليا في العاصمة الفرنسية لاقامة مركز اسلامي في باريس .. وقد أسهمت بعض الدول العربية والاسلامية في هذا المشروع الاسلامي الكبير .. كما أسهمت المملكة العربية السعودية في المشروع بمبلغ قدره خمسة الاف دولار .. وقد ارسل انفاذا للامر الملكي السامي شيكا بالمبلغ الى السفير السعودي في باريس لتقديمه الى اللجنة بتنفيذ المشروع .

* يجري الان في مدينة ليون ، الانتهاء من بناء اكبر مكتبة اوربية ، وهي عبارة عن عمارة تتألف من 17 طابقا ، حسب التصميم الهندسي ، تبدو البناية كمستودع حقيقي للكتب .. حيث نظمت الطوابق بشكل يسهل معه التعريف الشخصي للجمهور الذي يرفض غالبا لمكتبات البلدية العادية . أعدت ساحة خاصة للاطفال في الطابق الارضي .. تشمل القاعات الاخرى: المعلومات العامة العلوم الانسانية ، الحقوق الخ ..

من بين الامور الجديد التي تتوفر عليها البناية آلات النسخ بالتصوير وستوضع تحت تصرف القراء الذين يستغنون عن الحاجة عن تسجيل الملاحظات .. والى جانب المكتبة اقيم اكبر نادي في فرنسا .

سويسرا :

* مجلس الكنائس العالمي في جنيف بسويسرا استاذن الكاتب الانجليزي ديزموند ستيوارت باستخدام قصيدة « بكائية الى شمس حزيران » للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي مادة من ضمن المواد التي سيتدارسها في ندوته العالمية التي يعقدها بعنوان «اليأس في العالم الحديث» والمعروف ان ديزموند قد ترجم قصيدة البياتي الى الانجليزية وقدم لها بمقدمة عن الشاعر والقصيدة ، وقامت بنشرها مجلة « انكاونتر » في عدد اكتوبر 1971 .

تشيكسلوفاكيا :

* اصدرت دار الطباعة والنشر التشيكية (فمبرك) في ذكرى مرور 100 سنة على انشائها القرآن الكريم في طبعة نادرة داخل جلد فاخر ، ومعه عدسة مكبرة ... المصحف في حجم علبة الكبريت بل أصغر منها ...

النمســـــــا :

✻ نظم النادي الدولي للطلبة بفيينا حملة أطلــق عليها « غرف خالية » بدأت فى عام 1971 وما زالت مستمرة حتى الان وذلك كمساهمة من النادي فى العام الدولي لمكافحة العنصرية .

والغرض من هذه الحملة هو محاربة الاراء المنحازة التي تقضي ببعض الملاك الى رفض تأجير الغرف الى الطلبة الاجانب وخاصة الملونين منهم (علما بان 20 ٪ من الطلبة المسجلين فى مختلف الكليات فى النمسا هم من الاجانب ، من بينهم 6 ٪ من الملونين) .

وقد وصلت هذه الحملة سريعـــا الى المـــدن الجامعية الاخرى بالنمسا . وتم توزيع عشرات الآلاف من الخطابات لشرح حالة الطلبة الاجانب للجمهـــور ، وفرضت المقاطعة على الملاك المتزمتين . وكانـــت النتيجة ان جميع الطلبة الاجانب قد وجدوا سكنا لهم مع بداية العام الجامعي 1971 / 1972 . ومن جهـــة اخرى فقد نجحت الحملة فى حمل البرلمان النمساوي على الموافقة على منح الطلبة من الدول النامية مزايـــا الاعفاء من الرسوم الجامعية اسوة بما تقرر بالنسبـــة للطلبة النمساويين .

بـريطـــانيــــا :

✻ حذر الامين العام للمؤتمر الاسلامي تانكو عبد الرحمن من خطورة الصعاب والمحن التي يعاني منهـــا المسلمون فى هذه الايام .

وقد ورد هذا التحذير فى رسالة بعث بها السيد عبد الرحمن الى الاجتماع السنوي الثاني لمنظمة اتحاد المسلمين فى بريطانيا .

وقال ان الهزائم التي لحقت بالمسلمين مردها الى ضعف تعلقهم بالاسلام .

واضاف ان المسلمين فى الفليبين يتعرضـــون للاضطهاد والمذابح الوحشية .. وقد بلغ عدد الذين قتلوا هناك باعتراف الحكومة الفليبينية 1845 شخصا واعرب عن اعتقاده بأن عدد القتلى يبلغ فى الحقيقـــة 2 000 .

✻ فى الذكرى العاشرة لتأسيس اتحاد النســاء المسلمات فى بريطانيا صعد الاتحاد حملته لجميـــع التبرعات لانشاء ملجأ ومدرسة يمكن فيـــه للايتـــام والاطفال المسلمين المحتاجين العناية خاصة ان يجدوا الرعاية فى جو اسلامي ، والهدف من هذه الحملة جمع والذي سيسمى مركز المدينة المنورة ، وقد جمع حتى 30 000 جنيه استرليني لشراء المقر واعداده فى لندن الان مبلغ 200 1 جنيه ، ويأمل الاتحاد فى اقامة مراكز مماثلة فى اجزاء أخرى من بريطانيا . ومن المهتميـــن بالاتحاد راجا محمود اباد ومدير المركـــز الثقافـــي الاسلامي بلندن والاميرة دينا عبد الحميـــد العقيلـــة السابقة لجلالة الملك حسين عاهل الاردن ، وتـــراس الاتحاد السيدة ليلة الدروني التي ذكرت لوكالة الانباء السعودية فى لندن ان هذا المركز سيلبي احتياجين ضروريين، اولاهما تامين الملجا والرعاية بصورة دائمة للايتام والاطفال الآخرين الذين ليس لهـــم معيـــل ، وثانيهما تامين الملجأ والسكن للاطفال الذين انفصلـــوا مؤقتا عن عائلاتهم لاى سبب كان .

وتأتي خطة هذا المركز ضمن جهود بدأت منذ عشر سنوات فى مجال الاعمال الخيرية للمسلمين التي يقوم بها اعضاء اتحاد النســاء المسلمات ، والاتحاد يقوم بجمع وتوزيع الملابس والاغطية والمواد الضروريـــة للمعوزين وينظم أيضا الاجتماعات والندوات لجمـــع التبرعات للاعمال الخيرية للمسلمين ، وقد شكـــل الاتحاد مجموعات يتكلم اعضاؤها لغات عـــدة لزيارة المستشفيات والسجون لتقديم المساعدة والعـــون للمسلمين بتعرفهم على قوانين البلاد والحياة فيهـــا وللاتحاد مستشارة للشؤون الدينيـــة من ترينـــداد وسكرتيرة من باكستان وأمينة للخزينة من المانيا .

وهناك خمسون سيدة مسلمة يعملون ضمـــن نطاق نشاطات الاتحاد تتراوح أعمارهن من بين 19 و 65 سنة وينتمين الى خمسين بلدا مختلفا تجمعهـــم وحدة العقيدة الاسلامية التي تحض على فعل الخير والاحســـان ..

ايــرلانــــــدة :

✻ وكالة الانباء الاسلامية ـ (اينا) ـ صرحـــت مصادر الامانة الاسلامية بأن جمعية دبلن الاسلامية قد ارسلت مساعدة مالية للامانة الاسلاميـــة لصالـــح المسليمن فى الفيلبين .

فقد ارفقت الجمعية شيكا بمبلغ 108 جنيـــه استرليني مع خطاب عبرت فيه الجمعية عن تضامنها مع المسلمين فى الفيلبين واستنكارها للمذابح البشعة التي تدبر ضد المسلمين هناك .

وتتكون الجمعية من الطلبــة المسلميــن فى جمهورية ايرلندا .

ومن بين اهداف الجمعية ان تقــوم بمعاونــة المسلمين فى ايرلندا على سد احتياجاتهم الدينيــة والثقافية والاجتماعية .

كما تحاول الجمعية ان تقيم مركزا اسلاميــا فى دبلن وتقديم الخدمات الخيرية للمسلمين فى كافــة ارجاء جمهورية ايرلندا .

سراييفــــو :

❊ نشرت مجلة « الصدى » فى سراييفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك مقالة عن الشاعر العراقي البياتي بعنوان « من قمم الشعر العالمي » مع قصيدتين هما « عندما لا تمطر السماء » و « اغنية المحكوم بالحب » وترجم القصيدتين لطيف جواد . ونشــرت مجلــة « العالم » اليوغسلافية مقالة بعنوان « عبد الوهــاب البياتي العيون المتطلعة الى النجوم » للاديبة منكاماميا كما نشرت « الجريدة الادبية » فى بلغراد للبياتــي قصيدة « عن وضاح اليمن والحب والموت » قــام بترجمتها الدكتور سليمان جروز دانتشن .

المانيــا :

❊ اقيمت اخيرا فى بون اول جمعية اسلاميــة اطلق عليها اسم « جمعية التعاون الاسلامي ـ المسيحي »

وقد بدأت الجمعية ، التي أسسها الشيخ عثمان يادجي نشاطها بمحاضرة للمستشرق الايطالي الدكتور كبوزي، عضو الجماعة الاسلامية فى فرانكفورت تناول فيها أوجه التشابه والخلاف بين المسيحية والاسلام .

ومما يذكر ان الدكتور كيوزي يعشق الديــن الاسلامي وهو اول من ترجم معاني القرآن الكريم الى لغــة الاسبرانتو .

ايـــران :

❊ توفى فى طهران العالم الشاعر العراقي عباس الخليلي الوطني المجاهد المعروف عن 76 عاما وهو الشقيق الكبير للاديب الباحث جعفر الخليلي . وكان الفقيد احمد اركان حركة الثورة النجفية فى وجــه الاحتلال الانجليزي عام 1918 فحكم عليه بالاعــدام وتمكن من الفرار الى طهران . وله اكثر من 80 مؤلفا فى مختلف المواضيع والبحوث وترجم البعض من بحوثه الى الانجليزية والفرنسية والروسية وهو الذي نقــل تاريخ ابن الاثير واجزاء « ضحــى الاسلام » الى الفارسية وكان قد حصل على جائزة « المقتطف » فى مسابقة « الرائد » الشعرية بين مئات من الشعراء . وقــد وردت ترجمتــه فــى الكثيــر مــن المعاجــم والانسكلوبيديات .

تــركيــا :

❊ حمل سليمان ديميريل رئيس وزراء تركيــا السابق فى تصريح له على الشيوعية وانصارهــا فى الشرق ، وقال ان العالم يشهد الآن صراعا شديدا بين الشيوعية والديمقراطية التي ستنجــح فى النهايــة وتقضي على الشيوعية ومؤمراتها .

جاكارتــا :

ان حوالي الفي شخص من رجال قبائل « كادازان » قد اعلنوا اعتناقهم للدين الاسلامي ، وذلك فى احتفــال كبير اقيم بهذه المناسبة فى ولاية صباح .

ومما هو جدير بالذكر ان قبائل كادازان هــي

❊ فى نبأ لرويتر من ولاية صباح شرقي ماليزيا القبائل المسيطرة على الولاية .

❊ تفيد الانباء الواردة من جاكرتا ان مشــروع بناء المركز الاسلامي الواقع قرب مدينة جاكرتا والذي تشرف عليه البحوث الاسلامية قد شارف على الانتهاء .. وسيجري افتتاحه قريبا .. وذلك فى مناسبــة احتفال الهيئة بمرور عشر سنوات على قيامها .

والجدير بالذكر ان الهيئة التي يرأسها الاستاذ عبد الله بن نوح تقوم بنشاطات ملموسة على صعيــد العمل الاسلامي .. واعداد دعاة من الشباب لنشــر الاسلام فى المجتمعات غير الاسلامية .

ماليـزيــا :

❊ كوالالمبور (اينا) : فى نبأ لوكالــة الانبــاء الماليزية (برل اما) قال شريف احمــد السكرتيــر البرلماني لوزارة الاعلام ان انشاء كلية اسلاميــة فى

الجامعة الوطنية يجب ان يعتبر اعلى نقطة فى الجهود الرامية الى توطيد الاسلام فى المجال الاكاديمي .

واضاف قائلا : لقد وضعت الحكومة الان الاساس لاستخدام التعاليم الاسلامية كدليل اجتماعي .

وعلى الناس ـ خصوصا الجيل الصاعد ـ ان ان يلعبو دورهم .. وقال عند افتتاح مسابقة ترتيل وتفسير القرآن الكريم ان الجيل الصاعد بمكنه ان يفسر القرآن تفسيرا صحيحا ، مع التأكيد على صلته الوثيقة بظروف عالم اليوم . واضاف قائلا : ان ترجمة معاني القرآن الكريم يجب ان تكون فى ابسط صورة ممكنة .

الهند :

* بعد القرار الذي اتخذته الحكومة الهندية بتصفية جامعة (عليكرة) الاسلامية واعتبارها مؤسسة حكومية قامت مظاهرات ضخمة فى المدن التي تسكنها اقليات اسلامية فى الهند ، وكانت الجماهير تطالب بأن ترفع الحكومة الهندية يدها عن الجامعة ليتسنى للمسلمين ـ وهم الذين انشأوها ـ ان يشرفوا على تعليم ابنائهم كما يريدون . وقد تصدت قوات الامن للمتظاهرين فى مدينتي بنارس وفيروز أباد ، وكانت التعليمات لديها صريحة فى اطلاق النار على اى متظاهر لمجرد رويته فوقع تسعة قتلى وعشرات الجرحى .

كما تقول التقارير الرسمية ـ القي القبض على 400 شخص فى فيروز اباد وعلى 150 شخصا فى كل من بنارس والله اباد ، والمدن الثلاث تقع فى ولاية اوتا ـ برادش حيث تقوم الجامعة المصادرة .

الاتحاد السوفياتي :

* وقعت فى موسكو اتفاقية للتعاون بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية الشعبية الديمقراطية اليمنية، وذلك لسنة 1972 ـ 1973 .

وتنص هذه الاتفاقية على توسيع نشاط منظمات البلدين بقصد تحسين التعاون والاطلاع على مختلف مظاهر الحياة فى كل من القطرين . وسيبدا تنفيذ الاتفاقية بتبادل الوفود والفرق الفنية ، وتنظيم زيارات للعلماء والفنانين .

هذا وقد وقع الاتفاقية السيد سيركي كافتنوف رئيس مجلس ادارة الجمعية السوفياتية للروابط الثقافية مع البلدان العربية ، والسيد مصطفى عبد لخالق رئيس الصداقة اليمنية ـ السوفياتية .

* نظم فى دمشق اسبوع للصداقة بين الشباب السوري والشباب السوفياتي ، وشارك فيه الطلبة السوريون والشبيبة العاملة والاساتذة والفنانون ، وكذا وفد عن شباب الاتحاد السوفياتي برئاسة فلاد يمير كانيتشيف العضو المساعد بمكتب اللجنة للكومسمول .

وقد اجرى اعضاء الوفد السوفياتي اتصالات مع قادة الشبيبة السورية ومع المسؤولين عن لجن حزب البعث الاشتراكي العربي .

* يبلغ عدد الاشخاص الذين يعرفون اللغة الروسية فى العالم : 500 مليون . وتدرس اللغة الروسية للتلاميذ والطلبة فى نحو مائة قطر . وقد سجلت هذه المعطيات فى الندوة التي عقدها اساتذة المدرسة العليا للاتحاد السوفياتي بكركوف ، وشارك فيها ممثلو المعاهد العليا واساتذة الكليات التحضيرية للطلبة الاجانب .

ومن اهم هذه الكليات كلية جامعة كركوف التي تلقن اللغة الروسية منذ عشر سنوات لشبان البلدان النامية والذين جاءوا الى الاتحاد السوفياتي بقصد متابعة دراساتهم العليا . ويوجد من بينهم عدد كبير من الطلبة العرب .

* قامت الاديبة الصحفية غريغور بيفا بترجمة ونشر مجموعة شعرية للشاعر العراقي الدكتور باقر سماكة الى اللغة الروسية كما يعكف الاديب مظفر خوجيوف استاذ اللغة العربية فى الكلية الشرقية بجامعة طشقند على ترجمة مجموعة شعرية اخرى للدكتور سماكة الى اللغة الاوزبكية ، ومما هو جدير بالذكر ان الدكتور سماكة موجود فى الوقت الحاضر فى طشقند للتدريس فى جامعتها موفدا من قبل وزارة التعليم العالي العراقية .

* ستخرج دور النشر السوفياتية 400 كتابا لمؤلفين من آسيا وافريقيا بمناسبة انعقاد مؤتمر كتاب القارتين فى سبتمبر 1973 فى آلما آتا عاصمة قازاخستان . وقد ناقش المكتب الدائم لاتحاد كتاب

آسيا وافريقيا فى موسكو برئاسة الامين العام يوسف السباعي برنامج اللقاء الشعري الافريقي الآسيوي والمشاكل المتعلقة بنشر مجلة « اللوتس » لسان الاتحاد . وقد شارك فى الاجتماع ممثلون عن الجزائر والسودان ولبنان وانغولا وباكستان واليابان ومنغوليا والاتحاد السوفياتي .

وكان المؤتمر الاول لكتاب آسيا وافريقيا قد انعقد فى طشقند سنة 1958 وتمت المؤتمرات التالية فى بيروت ودلهي . وقد كونت مجلة « اللوتس » التى ينشرها الاتحاد منذ 1968 جائزة ادبية لكتاب اقطار القارتين .

وقد صرح اولينغ اغيز بيكوف سكرتير اللجنة السوفياتية للعلاقات مع كتاب آسيا وافريقيا بان ممثلين لخمسين بلدا قد شاركوا فى المؤتمر الاخير للاتحاد وبحثوا المشاكل التى تهم رجال الادب. وقد سجل فى القرار الختامي للمؤتمر ان الكفاح ضد الامبريالية يهم سائر سكان المعمور وان كتاب آسيا وافريقيا يوجدون فى طليعة هذا الكفاح . وانهم يساهمون بنشاط فى حركة التجديد فى الاقطار التى حصلت على استقلالها السياسي وتكافح من اجل تحررها الوطني .

امريكا :

* استقبل المعهد الاستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية الاستاذ فى معهد دراسات الشرق الاوسط فى جامعة يوتا بامريكا ، الذي يزور القاهرة الان .

وكان للدكتور عطية الفضل الاول فى ارساء اسس التعاون بين المعهد وجامعة يوتا ، فى تبادل المطبوعات وصور المخطوطات .

وقد تلقى المعهد من جامعة يوتا صور المخطوطات المحفوظة فى دير طور سينا وزودها بمجموعة من صور المخطوطات العربية التي اختارتها .

وقد اخبر الدكتور عزيز سوريال عطية ان جامعة يوتا قد حصلت على مجموعة صور المخطوطات العربية التي جمعها من مختلف انحاء العالم الفقيد البروفيسور مارتن ليفي استاذ العلوم السابق فى جامعة نيويورك وتبلغ حوالي 1000 ميكروفيلم تضم صور مخطوطات تبحث فى علوم الهندسة والكيمياء والطبيعة والعلوم التطبيقية (التكنولوجي) ، وتعد اكبر مجموعة فى تاريخ العلوم الاسلامية والعربية .

ووعد الدكتور عطية بتزويد المعهد بنسخة من صور هذه المجموعة كاملة ، وسيقوم المعهد مقابل ذلك بتزويد جامعة يوتا بما تختاره من صور المخطوطات المحفوظة لديه .

وسيقوم المعهد بعد حصوله على هذه المجموعة بنشر فهارسها المفصلة ووضعها تحت يد الباحثين والعلماء .

والدكتور عزيز سوريال عطية ، وكيل جامعة الاسكندرية السابق ، عمل استاذا فى جامعات امريكا عدة سنوات وهو يعمل فى جامعة يوتا منذ خمسة عشر عاما ، عمل خلالها استاذا ومديرا لمعهد دراسات الشرق الاوسط ، وهو الان متفرغ للاشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير والبحوث المتعلقة بالشرق الاوسط ، وقد اسدى أجل الخدمات للتراث العربي الثقافي والحضاري .